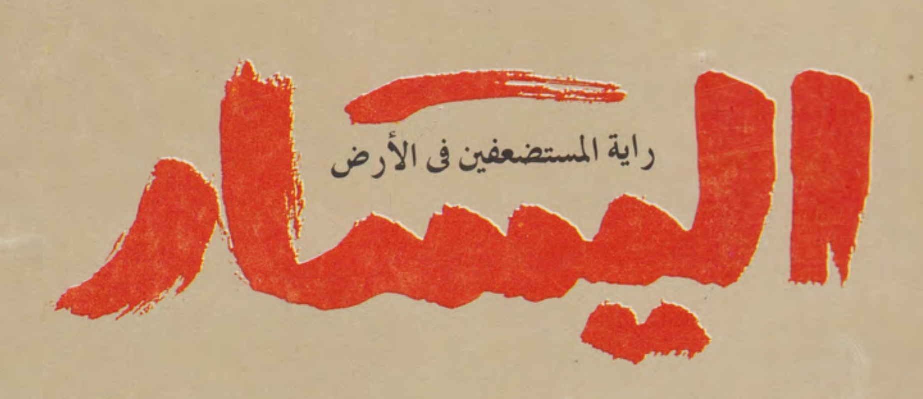


العدد الثالث / مايو ١٩٩٠ م / شوال ١٤١٠ هـ / الثمن جنيه مصرى





خالد محيى الدين:
هذه بداية النهاية للأوضاع الراهنة

تهمة الإلحاد لعبة أعداء الإصلاح

ماذا فعل وفد النقابات المصرى فى إسرائيل ؟

سلطات جديدة للمشير "أبو غزالة"

تلاميذ زكى بدر يملأون أقسام الشرطة



التقليد الذى تتبعه معظم الصحف والمجلات الجديدة، هو إصدار مايسمى بالعدد التجريبى، وهو عدد تطبع منه نسخاً محدودة، ولا يطرح للجمهور، ولا تتداوله إلا اسرة تحرير المجلة، ومن ترى استشارتهم من اصدقائها، فهو أشبه بالبروفه النهائية للعروض المسرحية، التى لا يدعى إليها إلا النقاد، بهدف ضبط إيقاع العمل، واكتشاف نواقصه قبل رفع الستار عنه، ومواجهة الجمهور به..

ومن وظائف العدد التجريبى، أو العدد صفر، أنه يقدم للمعلنين لكى يطلعوا على المجلة الجديدة، إذ قد يشجعهم هذا على الاعلان فيها.

ولأسباب شتى، فقد أصدرنا العدد الأول من «اليسار» دون أن يسبقه عدد تجريبى، وارتفع الستار عنا، دون أن تتاح لنا فرصة لرؤية عملنا وتقييمه واكتشاف نواقصه الفنيه قبل مواجهة القراء والزملاء، خاصة وأننا نجهز «اليسار» بطريقة تتبع لأول مره فى المجلات العامه فى مصر..

من هذه الأسباب نقص الإمكانيات المادية، وحرصنا على أن نصدر خلال الشهور الثلاثة التى تتلو تصريح المجلس الأعلى للصحافة لنا بالصدور طبقا للقانون، أما أهمها فهو أننا كنا ندرك أن قارئ «اليسار» سيتحمل نواقصنا ولن يضيق بنا الى أن نستكمل استعدادنا..

وهذا هو ماحدث..

ومع أن هذا هو عددنا الثالث، إلا اننا نعتبره - من ناحية الاستعداد الفنى لمواجهة الجمهور- عددنا الأول..

إننا نؤمن أن المضمون الجيد، لايعنى إهدار القيم الجمالية وقد كان اليسار المصرى دائما، صاحب أهم الابداعات فى تطوير شكل المطبوعات الصحفية، بامكانيات قليلة، وذوق رفيع.

فشكرا للقراء على صبرهم، الذى نرجو أن يقنعهم هذا العدد، أنه لم يضع هدرا!

«المحرر»



فى هذا العدد



اليسار : منبر ديمقراطى يصدر عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر .

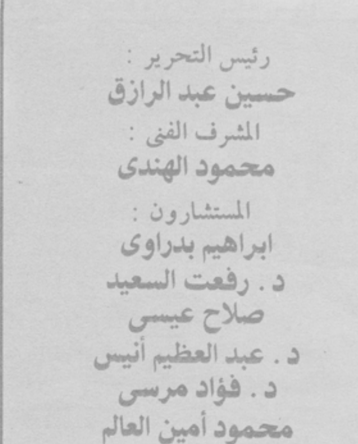
AL — YASSR — 3 MIDANEL MALEKA ZOBAIDA — IMBABA — GIOZA — A.R.E

الاشتراكات : لمدة سنة واحدة مصر : ١٢ جنيها للأفراد ٣٠ جنيها للهيئات .
الوطن العربى : ٥٠ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها .
العالم : ١٠٠ دولار أمريكى أو ما يعادلها .

ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حواله بريدية الى إدارة المجلة .

الادارة والتحرير : ٣ ميدان الملكة زبيدة شقة ٣ — مدينة الطلبة — إمبابة . جيزة
تليفون ٣٤٤٧٩٤٠ فاكس ٣٤٤٢٠١٣





رئيس التحرير :
حسين عبد الرازق
المشرف الفنى :
محمود الهندى
المستشارون :
ابراهيم بدراوى
د . رفعت السعيد
صلاح عيسى
د . عبد العظيم أنيس
د . فؤاد مرسى
محمود أمين العالم

موقفنا

"جريمة" بيع القطاع العام وكيف نوقفها؟

كلما قرأت تصريحات السادة الذين يحكموننا فى هذا الزمن الردئ، والقرارات التى يصدرونها، حول بيع القطاع العام و«الخصخصة».. تلح على سطور إفتتاحية نشرتها جريدة الأهالى منذ ١٢ عاما بالضبط، وعلى وجه التحديد يوم ١٢ أبريل ١٩٧٨. كان عنوان الأفتتاحية.. «نستحلفكم بالله لاتبيعوا مصر». تقول هذه السطور..

«كل شيئ معروض للبيع!

الماضى والحاضر والمستقبل. أرض مصر وفكرها. صناعتها وثقافتها. ودواؤها وخبزها!

أصبح المشهد كئيبا وحزينا. كمنظر بيت مات عائله، وإحتاج أبناؤه. كمنظر منشأة أشهرت الأفلاس. كمنظر ولى يسيئ التصرف ولايستطيع الأبناء أن يقولوا له: قف.. أو يذهبون للمحكمة يطالبون الحجر عليه!

ومع ذلك فالمشهد مستمر.

للبيع: أرض الهرم وتاريخه. رأس الحكمة وموقعها ١٣٠ حيا فى القاهرة. عدد من شركات الصناعة والاسكان.. وقبلها بيع سوق المال أو معظمه، عندما أنشئ (٢٤) بنكا أجنبيا في مواجهة ستة بنوك مصرية!..»

وما أشبه الليلة بالبارحة. بل إن مايجرى اليوم أخطر وأبشع.

فالدولة المصرية- أو من احتكروا السلطة فيها- يشهرون إفلاسها غصبا، ويعرضون كل ماتملكه للبيع. أو على الأصح يتنازلون عنه بلامقابل، لحفنة من الرأسماليين، يسمونهم رجال الأعمال، تحت عناوين كاذبة .. تطوير القطاع العام.. برنامج الاصلاح الاقتصادى..و..و..

وتبدو أى محاولة للحوار معهم بالمنطق والعقل والحقائق المادية.. محاولة فاشلة.

فما معنى أن نقول لهم أن قرارهم إنتهاك صارخ للدستور وللشرعية القائمة. وأن المادة ٣٠ من الدستور (الفصل الثانى- المقومات الاقتصادية) تنص على أن «الملكية العامة هى ملكية الشعب، وتتأكد بالدعم المستمر للقطاع العام. ويقود القطاع العام التقدم فى جميع المجالات، ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية» وأن المادة ٣٣ تنص على أن «الملكية العامة حرمة، وحمايتها ودعمها واجب على كل مواطن وفقا للقانون بإعتبارها سندا لقوة الوطن وأساسا للنظام الاشتراكى ومصدرا لرفاهية الشعب».. ماقيمة هذا القول وقد مرغوا الدستور فى التراب منذ ١٦ عاما وحتى الآن بسياسة الانفتاح، وبالقوانين التى تنتهك الدستور، كما ثبت من أكثر من حكم للمحكمة الدستورية العليا.

وهل نضيف الى علمهم جديدا، عندما نكرر مجموعة من الحقائق فى مقدمتها..

** وجود القطاع العام أصبح حقيقه فى مختلف النظم الاجتماعية بما فيها الولايات المتحدة الامريكية. ولا يتكلم أحد عن تصفية القطاع العام فى هذه البلاد. والحديث عن سياسة «الخصخصة» التى اتبعتها «مارجريت تاتشر» فى بريطانيا ونجاحها، أمر يحتاج الى إعادة نظر . فلا وجه للمقارنة بين بريطانيا كدولة رأسمالية متقدمة ومصر، كواحدة من دول العالم الثالث المتخلفة. والأهم من ذلك المصير الذى وصلت اليه بريطانيا نتيجة لهذه السياسة. وأحداث العنف فى العاصمة البريطانية وتضاؤل شعبية «تاتشر» خير شاهد و دليل.

** ومحاولة القياس على أحداث أوربا الشرقية وإتخاذها مبررا. قياس خاطئ تماما. فالظروف الاقتصادية والاجتماعية تختلف تماما وكما كانت محاولات النقل عن تجارب هذه البلاد فى السابق خطأ قاتلا، فمحاولة النقل اليوم ترد فى خطأ أفدح.

** لعب القطاع العام الدور الأساسى فى التنمية فى الستينات، وتحمل أعباء ضخمة خلال حربى ٦٧، ١٩٧٣. وبدلا من دعمه وتطويره وتعويضه عن هذه الأعباء، تعرض لهجوم شرس من السلطة السياسية خلال حكم الرئيس الراحل أنور السادات وبعده.

«وترتب على هذا الموقف من القطاع العام



- إيه رأيك .. مش أحسن من الهباب القديم .. اللى بقاله ٢٩ سنه على جتتك ؟!

ومن التصنيع، حرمان القطاع العام من استثمارات جديدة لازمة للاصلاح والتجديد أو للتوسع فيه. كما أدى الى هبوط معنويات أفضل عناصر القطاع العام من مديرين وفنيين وكفاءات عمالية، مالبث أغلبهم أن هجر القطاع العام.. وتحملت وحدات القطاع فضلا عن ذلك بعبئ التمويل عن طريق القروض المصرفية بأسعار فائدة مرتفعة... وترتب على ذلك كله خلل فى الهيكل التمويلى للعديد من شركات القطاع العام وتحملها لأعباء مالية كبيرة. والى جانب الأعباء المالية التى تتحملها شركات القطاع العام، فانها أثقلت أيضا بأعباء اجتماعية (علاج البطالة عن طريق تشغيل الخريجين- تحميل شركاته بعبء الدعم بدلا من الخزانة العامه- تحميله بعبء انتاج منتجات شعبيه منخفضة الأسعار....،.... وأدى ذلك جميعه الى تحمل شركات القطاع العام لخسائر كبيرة، أو عدم قدرتها على تحقيق أرباح مناسبة للأستثمارات التى تمت فيها..»

وكما يقول د. «عادل جزارين» رئيس اتحاد الصناعات المصرية «لقد كبلنا ادارة القطاع العام بالقيود والتشريعات، وأدخلنا اللوائح الحكومية وما يرتبط بها من بيروقراطية فى نظمها، وهكذا دفعنا ادارة القطاع العام للشلل.. ثم بدأت الصيحة بتحرير ملكية القطاع العام ونقلها الى القطاع الخاص بدلا من أن ننادى بتحرير ادارة القطاع العام ونقلها الى القطاع الخاص، بدلا من أن ننادى بتحرير ادارة القطاع العام بصرف النظر عن ملكيته. ان الدولة نفسها التى تمتلك القطاع العام. وهى التى أدت بما فرضته من قيود ولوائح الى تعثره.. ولديها القدرة لوشاءت على انجاحه دون ضرورة لبيعه».

ويضيف أحمد نور» وكيل تجارة الاسكندرية..«لايوجد ارتباط بين شكل الملكية، وما اذا كانت ملكية خاصة أو ملكية عامة، وبين تحقيق الكفاءة الاقتصادية فى إستغلال الموارد.» ورغم هذه الحملة الحكومية الشرسة ضد القطاع العام، فالأرقام التى تذيعها الحكومة تؤكد نجاح القطاع العام وحيويته للاقتصاد القومى.

فاستثمارات القطاع العام بالنسبة لأجمالى الاستثمارات القومية فى ميزانية ٨٩/ ٩٠ تصل الى ٣٢٤٩٫٥ مليون حنيه بنسبة (٣١٫٥٪) ويحقق القطاع العام فائض صافى يقدر فى مشروع موازنة ٨٩/ ٩٠ بنحو ١١٥٠ مليون جنيه بنسبة (٣٥٫٤٪) وكانت نسبة عام ٨٦/ ٨٧ (٤٦٫٥٪) ويعمل فى القطاع العام حوالى ٢٫٥ مليون عامل يتقاضون أجورا تقدر بنحو ٨٣٦٧ مليون جنيه. والقطاع العام هو



- إنما ما قلتليش.. إنت ليه عايز تستلف الكتاب بتاع أحداث ١٨ و١٩ يناير ؟!!.

الممول الرئيسى للضرائب فالتحصلية الغربية للقطاع العام ٢٥٠٦ مليون جنيه بنسبة (٥٨٫٦٪). ولاتختلف الصورة فى الضرائب الجمركية ورسوم الاستهلاك والتأمينات الاجتماعية.

** نقل الأصول من ملكية إلى ملكية أخرى لايمثل إستثمارا جديدا، ولن يضيف الى ثروة البلاد إضافة حقيقية. وكل ما سيحققه على المستوى العام- هو إنتقال مصنع من يد الى أخرى مع بقاء حجم الانتاج فى الغالب كماهو.

**إن جوهر الحملة ضد القطاع العام هو الخضوع لقوتين.. صندوق النقد الدولى الذى أصبح له برنامج للاصلاح الاقتصادى والتغيير فى فلسفة النظام الاقتصادى والاجتماعى، ثبت فشله فى كل البلاد التى طبق فيها.. و«العناصر الرأسمالية الطفيلية التى راكمت ثرواتها عن طريق المضاربة والفساد والافساد، خاصة منذ بدء الانفتاح الاقتصادى بعد حرب أكتوبر، والتى تهدف للاستيلاء على المال العام بثمن بخس وبالتقسيط المريح، عن طريق بيع القطاع العام وتمويل شرائه بقروض من البنوك، ليزيدوا من تراكم أموالهم التى يهربونها الى خارج البلاد..»

ويتجاهل هؤلاء جميعا أن «قيام القطاع العام بدور قيادى فى النشاط الانتاجى يرجع الى أن ما أوضحته التجربة المصرية بجلاء قبل قرارات يوليو ١٩٦١، وبعد بدء سياسة الأنفتاح من عجز الرأسمالية المصرية عن تحقيق تقدم حقيقى فى اتجاه تصنيع البلاد أو فى اتجاه بناء قاعدة إقتصادية يرتكز اليها فى انجاز نمو إقتصادى مستمر، أو فى تحقيق الاستقلال الاقتصادى لمصر. لقد إختارت الرأسمالية المصرية قبل قرارات يوليو ١٩٦١ أن توجه استثماراتها بصفة أساسية الى بناء العقارات. واختارت الرأسمالية الجديدة بعد بدء سياسة الأنفتاح الاقتصادى أن توجه الجانب الأكبر من أموالها لأعمال المضاربات، والى النشاط المالى والتجارى أساسا..» وعلى حد قول د. محيا زيتون، على ضوء تجربة ١٤ عاما من الانفتاح..» فإن ما قدمه القطاع العام من إنجازات يعد متواضعا للغاية بالقياس الى هذا الفيض من الحريات والتسهيلات. والحديث عن عدم توافر المناخ المناسب للاستثمارات الخاصة هو حجة يتم الاستناد اليها عندما تخيب الآمال وتخبو التوقعات.»

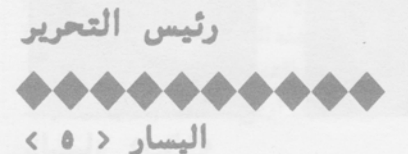
إن الحكم يعرف هذه الحقائق وكثيرها غيرها بل ان أغلبها نشر فى صحفية الاهرام ودراسات أخرى منشورة على الكافة. ولا معنى من تكرارها أمام حكم إختار أن يتبع سياسات البيت الأبيض والمؤسسات الدولية الرأسمالية، ومصالح الأقلية الطفيلية التى تحتكر السلطة والثروة.

وليس معنى هذا أنه لاأمل فى وقف هذه الجريمة. ولكن الأمر يتوقف على القوى المنظمة للجماهير.

على العمال فى نقاباتهم وتجمعاتهم وتنظيماتهم المختلفة.. على المهنيين.. وتجمعات المستهلكين.. على أحزاب ومنظمات اليسار.. على كل القوى الحية فى المجتمع الحريصة على الوطن واستقراره وتنميته وإستقلاله..

فالجميع مطالبون بالتحرك بكافة الأساليب والوسائل الديمقراطية.. لوقف هذه الجريمة.. والا فلا يلومن إلا أنفسهم.

رئيس التحرير



الجو السياسي

رسالة من البيت الأبيض للرئيس مبارك تنتهي إلى صدور ثلاثة قرارات سياسية هامة

◆◆◆◆◆◆◆◆

تلقى الرئيس «حسنى مبارك» فى الأسبوع الأخير من مارس الماضى رسالة هامة من البيت الأبيض، نقلها اليه «فرنك ويزنار» السفير الأمريكى بالقاهرة. عبرت الرسالة عن قلق الادارة الامريكية من الأوضاع السياسية والاقتصادية فى مصر. أشار السفير الى أن مانشر فى الصحف المصرية وعلى لسان بعض المسئولين المصريين حول أحداث المنيا و أبو قرقاص، يكشف عن تهاون الحكومة فى التصدى لتصاعد نفوذ جماعات الاسلام السياسى المتطرفة، ووجود خطر حقيقى أن تستولى الجماعات الدينية على السلطة فى مصر، وقال السفير ان الحكومة الأمريكية تشعر بالقلق وكذلك المؤسسات المالية والاقتصادية الدولية والمستثمرون. وتنصح الادارة الأمريكية الرئيس مبارك بضرورة التحرك السريع لضرب نفوذ وحركة هذه الجماعات. وأشارت رسالة واشنطون الى عدم ارتياحها إلى قيام الحكومة بإجراء انتخابات برلمانية جديدة تضطر الحكومة خلالها الى التزوير الفاضح أو اللجوء الى عقد صفقة مع الاخوان المسلمين وحزب العمل مما يزيد من نفوذ الجماعات الدينية. وقال السفير أن استمرار تزوير الانتخابات العامة فى مصر يحرج ادارة الرئيس بوش ويؤثر على قدرتها فى تقديم المعونات للحكومة المصرية.

وختم السفير الامريكى رساله البيت الابيض، بالمطالبة بسرعة تنفيذ طلبات صندوق النقد الدولى، وخاصة بيع القطاع العام للقطاع الخاص دون تردد، وولا فإن الادارة الامريكية لن تكون فى وضع يمكنها من إقناع الصندوق بتوقيع الاتفاق مع مصر قبل نهاية يوليو القادم، وان عدم التوصل إلى اتفاق حتى نهاية يوليو سيضع مصر فى وضع بالغ الخطورة فى مواجهة الدول الدائنة.

وقد سارع الرئيس بعقد سلسلة من الاجتماعات مع معاونيه لدراسة الرساله الأمريكية، إتخذ بعدها ثلاثة قرارات هامة أبلغها لمجلس الوزراء فى الجلسة الخاصة الطارئة التى عقدها المجلس يوم ٢ أبريل الماضى.

القرار الاول خاص بالتصدى للجماعات الاسلامية «المتطرفة» ويكلف الحكومة بشن حملة أمنية وفكرية وسياسية لاجتثاث جذور هذه الجماعات وإجهاض أية نشاطات إجرامية لها بمجرد توافر معلومات عنه وقبل تنفيذه. وأعطيت لوزارة الداخلية فى هذا المجال سلطات كاملة ومطلقة.

القرار الثانى، هو العدول عن حل مجلس الشعب وعدم إجراء انتخابات عامه فى الوقت الحاضر.

والقرار الثالث، حسم الخلافات بين الوزراء حول بيع القطاع العام لصالح بيع كافة الشركات، عدا المشاريع الاستراتيجية الكبرى، وتأكيد أن الخيار الذى أعلنته الحكومة المصرية فى مذكرتها الى الدائنين والمنظمات الاقتصادية الدولية والقائم على تقليص دور الدولة فى الاقتصاد وبيع القطاع العام وإلغاء الدعم وتعويم الجنيه وتخفيض الخدمات ورفع الاسعار، خيار نهائى ولا رجعة فيه.

مصادر رسمية تؤكد أن الحكومة ستتراجع عن بيع شركات القطاع العام الا فى أضيق الحدود، بعد رد الفعل العنيف من العاملين فى هذه الشركات والنقابات العمالية.

حسنى مبارك





ماذا وراء السلطات الجديدة التى حصل عليها "أبو غزالة"؟

إهتمت الدوائر السياسية المصرية والاجنبية بقرار الرئيس مبارك تكليف مساعده والقائد العام السابق للقوات المسلحة المشير «عبد الحليم أبو غزالة» بمتابعة تنفيذ قرار بيع القطاع العام وتطبيق سياسه «التخصيص». وأشار مصدر حكومى مطلع أن التكليفات التى أعطيت للمشير أبو غزالة منحته مسئوليات كبيرة فى ادارة السياسة الاقتصادية المصرية فى المرحلة المقبلة، بعد أن

أبو غزالة



عاطف صدقى

بوش



الجو السياسى

أصبح مسئولا عن أهم قضية إقتصادية يهتم بها الحكم حاليا.

وقد جاء هذا القرار مفاجأة لمجلس الوزراء ورجال الاقتصاد.

وتقول دوائر مسئوله فى الحزب الوطنى أن القرار هو حل وسط ومؤقت بين المؤيدين لاستمرار حكومتد. عاطف صدقى ، والمطالبين بتغييرها.

وكان عدد من الاقتصاديين المصريين وبعض مستشارى الرئيس قد اقترحوا عليه ضرورة تغيير الحكومة الحالية التى عجزت عن توقيع اتفاق مع صندوق النقد الدولى، والتوصل لصيغة نهائية واضحة لسياسات الاصلاح الاقتصادى والمالى. وطالبوا بأن يتولى رئاسة الوزارة شخصية حازمه وتغيير المجموعة الاقتصادية التى تنفذ السياسة الحالية وعجزت عن توقيع الاتفاق مع الصندوق مما ترك آثارا سلبية على الاقتصاد المصرى.

وقد حدد الرئيس مبارك فى تكليفاته للمشير أبو غزالة تنفيذ ثلاث مهام خلال فترة زمنية محددة:

– تحديد موقف شركات القطاع العام التى ستطرح للبيع .

– تحديد موقف الشركات التابعة للمحافظات.

– تحديد موقف الشركات المتعثرة ، سواء كانت تابعة للقطاع العام او استثمار مشترك، وتحديد وسائل اصلاح هياكلها وحل مشاكلها، تمهيدا لطرح حصة الحكومة فيها للبيع للقطاع الخاص والعاملين فيها.

على أن يعقد اجتماع لمناقشة النتائج قبل نهاية مايو، بحيث تكون الحكومة جاهزة لتوقيع الاتفاق مع صندوق النقد قبل نهاية شهر يونيه المقبل.

ديون مصر!

حذر تقرير آخر صادر عن «البنك الدولى للإنشاء والتعمير» من تزايد حجم الديون الخارجية لمصر بصورة خطيرة خلال السنوات العشر الماضية، أى منذ تولى الرئيس مبارك للسلطة.

وطبقا للبيانات التى أذاعها البنك، ففى عام ١٩٨١ كانت ديون مصر الخارجية ٢١ مليار دولار، إرتفعت عام ١٩٨٣ (خلال عامين) الى ٣٢ مليار دولار (بزيادة ٥ر٥ مليار دولار سنويا)، ثم قفزت الى ٤٠ مليار دولار عام ١٩٨٥ وتجاوزت فى عام ١٩٨٩ ال ٥٠ مليار دولار.

وقال التقرير أن هذا الرقم يمثل ٤٠٠٪ من قيمة الصادرات المصرية ، كما تمثل الديون الخارجية نسبة ٤٢٪ من إجمالى الناتج القومى العام فى مصر.

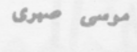
وأوضح التقرير أن مصر تحتل الأن المرتبة الأولى بين الدول العربية كأكبر دولة مدينة فى العالم العربى ، يليها الجزائر (٨٥ر٢٤ مليار دولار) ، فالمغرب (٩ر١٩ مليار دولار). وتبلغ اجمالى ديون ١٤ دولة عربية ١٣٩ر١٩٩ مليار دولار.

وتضيف المصادر المصرية أن عبء خدمة هذه الديون (الاقساط + الفوائد) أكثر من ٤ مليار دولار سنويا وهو يوازى ٤٠٪ من حصيله مصر من العملات الاجنبية خلال عام ١٩٨٩ – ١٩٩٠ واذا تعذر الوصول الى اتفاق مع صندوق النقد الدولى وبالتالى استحالة جدولة الديون المصرية، واضطرت مصر الى دفع المستحقات من أصول وفوائد، فان مايتبقى من حصيلة العملات الاجنبية لن يكفى لتمويل الواردات الضرورية. وستواجه مصر بنقص دائم فى المواد الغذائية والمواد الأولية، واختلال الجهاز الانتاجى وارتفاع معدلات التضخم (٣٥٪ حاليا) بصورة متسارعة، وتراجع معدلات النمو. أما اذا امتنعت الحكومة المصرية عن الدفع كليا أو جزئيا ، فسيؤدى ذلك الى « إهدار الاهلية الائتمانية» وتعذر الحصول على تمويل خارجى فى المستقبل.

وتلجأ الحكومة حاليا الى سياسة تعرف بسياسة «الدفع الانتقائى» أى دفع المستحقات التى يؤدى التأخير فى تسديدها الى ضرر عاجل، مثل الديون العسكرية الامريكية التى تحتل المرتبة الاولى فى جدول تسديد الديون ، خوفا من تطبيق الادارة الامريكية لقانون «بزدل» ووقف كافة المعونات الامريكية للحكومة المصرية.

والمعروف أن الاتفاق مع صندوق النقد الدولى ومن ثم فتح الباب أمام جدولة الديون لن يؤدى الى حل جذرى للمشكلة ، بل مجرد تأجيل لها. والمعروف أن الديون التى تمت جدولتها فى نادى باريس عام ١٩٨٧ يبدأ استحقاقها فى العام القادم (١٩٩٢/٩١)!!







موسى صبرى

يهمسون:

.. أن الرئيس مبارك قد اجتمع خلال رحلة العودة من بغداد الى القاهرة– برؤساء تحرير الصحف المصرية. لفت الرئيس نظرهم الى توقى الدخول فى معارك متبادلة بينهم ، تهز من صورتهم، وصورة مصر أمام الرأى العام، وقال الرئيس: أن مكانة مصر من مكانة صحافتها، وكبار كتابها، وأنه لايليق أن ينحاز أحد رؤساء التحرير ، الى أحد «الاثرياء العرب » ضد زميل له، من أجل «الفلوس»، أو أن يعمل إدارى كبير فى مجال الأعلام، حاملاً لحقيبة هذا الثرى..

من بين رؤساء التحرير الذين سمعوا هذا الحديث «موسى صبرى» و«صلاح منتصر»!



.. تتحدث الدوائر السياسية عن احتمال تكليف رجل الأعمال المعروف «محمد ابراهيم كامل أبو العيون» بتشكيل الوزارة الجديدة بعد توقيع الإتفاق مع صندوق النقد الدولى !!

... تشير هذه الدوائر إلى اعجاب الرئاسة بنجاحه فى التصدير الى الاتحاد السوفيتى مصادر أخرى ترجع تكليف المشير أبو غزالة.

خالد محيى الدين

فقدان الشعب للأمل في الديمقراطية هو بداية النهاية للأوضاع القائمة

على إمتداد اكثر من ثلاث ساعات، تحدث خالد محيى الدين- الأمين العام لحزب التجمع- مع «اليسار»، فى العيد الرابع عشر لتأسيس التجمع..

دار الحوار حول قضية أساسية ، هى قضية «الديمقراطية» باعتبارها الملمح الرئيسى فى شخصية الرجل الذى اختار - فى عام ١٩٥٤- أن يقف فى صف الدفاع عنها، وأن يترك مكانه كعضو فى مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، بسبب ايمانه بأن حاجة الشعب الى الثورة، لاتقل عن حاجة الثورة الى الديمقراطية..

وفى هذا الاطار-، تناول الحوار بين «اليسار» وبينه تنويعات مختلفة على القضية ذاتها.. تناولت وضع الاحزاب السياسية فى مصر، والفتنة الطائفية.. والعلاقة بين التجمع والحزب الوطنى، والديمقراطية داخل التجمع..وتأثير مايجرى فى العالم الاشتراكى على رؤى التجمع وتوجهاته..

اشترك فى الحوار مع خالد محيى الدين من أسرة تحرير «اليسار» كل من حسين عبد الرازق وصلاح عيسى وماجدة موريس وعبله الروينى ومصباح قطب..

وهذا هو نصى الحوار..

اليسار: فى العيد الرابع عشر لتأسيس التجمع، يسعدنا أن نتحاور معك، فى اكثر الموضوعات التى ارتبط بها اسمك فى التاريخ المصرى المعاصر، وهو «الديمقراطية».. التى كانت موضوع خلافك الشهير مع زملائك أعضاء مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو، فى عام ١٩٥٤.. والتى مازالت أحد الموضوعات الجوهرية، لمعارضتك- كرئيس لحزب التجمع- للأوضاع الحاليه.. والسؤال الآن:

هل لو تكررت الظروف والأوضاع التى كانت قائمة فى عام ١٩٥٤، كان موقفك سيختلف عما كان عليه؟

خالد محيى الدين: موقفى فى عام ١٩٥٤، كان نابعاً من قناعتى بأن ثورة ٢٣ يوليو، قد جاءت وانتصرت لأنها كانت تعبيراً عن نزوع شعبى عام، وأنها كانت مؤهلة للقيام بأعمال عظيمة، وقد قامت فعلاً بهذه الأعمال العظيمة، وأن الخطر الرئيسى الذى يتهدد ماتنجزه لصالح الشعب، هو عدم ارتباطها- بالشكل الملائم- بهذا الشعب، وافتقاد اسلوبها فى الحكم للديمقراطية.. وهو ما اثبتت الأيام والتجارب صحته، ولذلك فلو تكررت الظروف والأوضاع التى كانت قائمة فى عام ١٩٥٤، لما غيرت موقفى.. أما الذى قد يتغير فهو طريقة ممارستى للصراع.. إذ لو كانت خبرتى السياسية فى ذلك العام، اكثر مما كانت عليه لكنت قد أدرت الصراع بصورة أفضل.

اليسار: ماهو الخطأ الذى وقع فى إدارة الصراع؟..

خالد محيى الدين: فى عام ١٩٥٤ نجح الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، فى أن يضع «الثورة» فى مواجهة «الديمقراطية» فبدا لمن يتابعون الصراع، أن المطالبين بالديمقراطية، وكنت منهم، يطالبون بتصفية الثورة، والعدول عما كانت قد انجزته حتى ذلك الحين ولم يكن هذا صحيحاً، خاصة بالنسبة لى، ولو كنا قد تنبهنا إلى ذلك فى حينه، لكسبنا المعركة، التى كانت ستكون لصالح الثورة،

اليسار: ولكن الثورة لم تكن قد انجزت- آنذاك- شيئاً له قيمه.. كما أن العامين السابقين عليها كانا قد شهدا تحركا ديمقراطياً

خالد محيى الدين: بل كانت قد انجزت أعمالاً هامة، اعتبرتها الجماهير الشعبية مؤشراً على مايمكن أن تقوم به، مثل الاصلاح الزراعى، وبشائر تدخل الدولة فى التنمية الاقتصادية، ومنع الفصل التعسفى للعمال- وهو المشروع الذى قدمته لمجلس الثورة، ودافعت عنه حتى استصدرته- ثم أن التحرك الديمقراطى الذى حدث فى العامين الأخيرين قبل انتصار الثورة، كان يتجه نحو تغيير الأوضاع الاجتماعية والسياسية.. بينما فقدت الأبنية السياسية التى كانت قائمة قبلها مبرر وجودها، بعد أن عجزت عن إتمام هذا التغيير.. فلم يكن للديمقراطية السياسية البريق الذى اكتسبته عندما طال غيابها..

ولهذا فإن الدعوة للعودة للتعددية الحزبية،عام ١٩٥٤ لم تكن لها شعبية كافية آنذاك.. وهكذا نجح القطب الآخر فى كسب المعركة، حين وضع أمام الناس خيارين لاثالث لهما: ديمقراطية على النحو الذى كان قائما قبل الثورة وهى الديمقراطية التى كانت فئات معينه قد عمقت لدى الناس احساساً بأنها هزل لايفيد، أو انفراد مجلس قيادة الثورة بالحكم، ليواصل تنفيذ إصلاحاته..لبيان الشعب

اليسار: انتقالاً من الماضى إلى الحاضر.. هناك إحساس شائع فى المجتمع، بعد ١٤ سنه. من عودة التعددية الحزبية، بأن أحزاب المعارضة القائمة الآن، لم يعد لها التأثير الجماهيرى الذى كان لها عند نشوئها، وحتى سنوات قليله مضت.. فهل هذا الاحساس صحيح فى تقديرك.. وإذا كان.. فلماذا؟

خالد محيى الدين: صحيح.. لأن تكرار هزيمة المعارضة فى الأنتخابات العامة، بسبب التدخلات الادارية وإحساس الناس، بأن كل مايريده الحزب الوطنى يحققه، جعلهم يشعرون بأن المعارضة لاتستطيع أن تفعل شيئاً.. ووجود هذا الاحساس لايعنى أنه يعكس حقيقه، إذ الواقع أن أحزاب المعارضة فعلت أشياء كثيرة.. وعجزها عن التأثير يعكس أحدى سلبيات الشعب المصرى، الذى يتصور أن هذه «الأحزاب» يمكن أن تقوم بكل شئ،

دون تحرك الشعب معها.. فالأحزاب تنجز بالناس، وليس بعيداً عنهم..

وفى مصر هناك أوضاع معقدة، موروثة، تجعل معركة احزاب المعارضة صعبه، ففى

البلاد الديمقراطية العريقة، تكون المعركة بين أحزاب.. تتنافس على اجتذاب تأييد الناس، وهناك فصل بين هذه الأحزاب وبين جهاز الدولة الذى يحتفظ عادة باستقلاليته وحياده..أما فى مصر، فالمعركة الحزبية، لاتدور بين احزاب المعارضة والحزب الحاكم، بل بين هذه الأحزاب وجهاز الدولة نفسه، الذى يشمل رئيس الجمهورية، والمحافظين، وقوات الشرطة، وأجهزة الخدمات..... الخ. ولذلك فإن التغيير فى مصر يتم عادة بأسلوب واحد، هو «القيامة الشعبية» أو «الأنتفاضة الشعبية»، وقد تقوم هذه القيامة، ولاتحقق شيئاً، كما حدث فى ١٨و ١٩ يناير ١٩٧٧.

وفى رأيى أن الاحساس الشائع بعدم نجاح أحزاب المعارضة فى التأثير على القرار السياسى، وإن كان قد أثر فى جماهيرية هذه الأحزاب، إلاّ أن ذلك لاينبغى أن يكون مبرراً لرضاء الحكم، إذ أن زيادة احساس الناس بالاحباط، بسبب التزوير المتوالى للأنتخابات العامة، قد انتهى إلى احساس عام، بأن اللعبة الديمقراطية «غير مفيدة».. وأنها لاتؤدى إلى تغيير فى السياسات أو الممارسات وهو ما انتهى إلى فقدان الأمل فى أن يحدث التغيير عبر صناديق الأنتخاب. وتلك فى رأيى هى بداية النهاية للأوضاع القائمة، لأن هذا هو بداية الفساد، الذى قد يدفع الناس لكى تقوم

وهى حالة شبيهة بما حدث فى أوروبا الشرقية، حيث استمرت انظمتها تمارس الحكم لفترة طويلة، دون أن تسمع رأياً آخر، أو تقبل نقداً، فكانت النتيجة أن أصبحت مسئولة أمام الرأى العام عن كل ما حدث من فساد.. والمسألة هنا ليست مسألة أفكار النظام، أو نواياه..

البديل الدينى

اليسار: هل تعتقد أن تهميش دور المعارضة السياسية، هو السبب فى وجود جماعات الاسلام السياسى، وانتشار نفوذها

خالد محيى الدين: انتشار جماعات الاسلام السياسى بدأ منذ هزيمة ١٩٦٧، وارتبط بها، لأن الهزيمة كانت هزيمة لفكرة القومية العربية، لذلك بعث المشروع الدينى، كبديل لها، وهذا لم يحدث فى مصر أو البلاد العربية، بل حدث أيضا فى اسرائيل، فقد زاد نفوذ الاحزاب الدينية بها، لنفس السبب، إذ بدا أن العرب قد هزموا لإهمالهم لما يتصور البعض أنه الدين، بينما انتصر الاسرائيليون، لما أدعت الأحزاب الدينية الاسرائيلية، أنه تمسك بالدين.. وبعد وفاة عبد الناصر، وبدأ الحملة على ثورة يوليو ودخول الإعلام المصرى، فى معركة تلويث الاشتراكية وتلويث التاريخ المصرى والعربى، بسبب عجزه عن الدعاية المباشرة للرأسمالية او تمجيدها، فكانت النتيجه أن أصبحت هناك أرضية فكرية تمهد للبديل الوحيد الذى لم يلوث بعد

وهناك عامل هام آخر، هو أن الحركة الاسلامية، فى فترة كمونها، ركزت على قضية فى غاية الأهمية، هى المشروعات الاقتصادية، فكونت مليونيرات، فاستطاعت حين آن الأوان لتخرج إلى السطح، أن تهىء المناخ. لتخدم أغراضها.. فدخلت البرلمان أولاً عن طريق الوفد، ثم عن طريق حزب العمل.. فالقدرة الأقتصادية التى امتلكتها هذه الجماعات فى فترة الكمون، أحد اسلحة انتشارها.. وفضلاً عن هذا، فان هذه الجماعات فى استطاعتها أن تجمع رجالا بسرعة، بعكس الحركة اليسارية أو القومية، فهذه الجماعات تخاطب تدينا طبيعيا، نشأ عبر التربية فى الطفولة، وتبنى عليه وتزيد من حدته فى حين أن غيرها من الحركات السياسية – وخاصة اليسارية والقومية– تحتاج إلى وقت أطول لبناء كوادرها، وقيادتها.. ثم أن مجالات النفوذ إلى نفوس الجماهير وتجنيد القيادات أوسع، فهناك عشرات الألوف من المقار الحزبية تستغلها هذه الجماعات، وتتمثل فى المساجد والزوايا

اليسار: هل يعنى هذا أنه ليس هناك ارتباط بين ضعف مايمكن أن نسميه قيادات المعارضة المدنية فى مصر، وبين انتشار وجماهيرية تيار الاسلام السياسى؟!

خالد محيى الدين: بل هناك ارتباط بالقطع.. وما أقوله أن تيار الاسلام السياسى، كان قائماً حتى مع قوة التيار الآخر.. إذ كان له دائما قيادة تعمل على تفريخ أجيال جديدة منها.. وهذا لاينفى أن الأوضاع الراهنة قد اعطتها نفوذاً، لأن الديمقراطية المحدودة القائمة الآن، تقلل من حجم المنافسة السياسية

التيار الدينى يستطيع– فى الأوضاع الراهنه– أن ينشىء جمعيات تشهر طبقا لقانون الجمعيات فى وزارة الشئون الاجتماعية، وتكون احتياطيا لنفوذه، وانتشاره، بينما لانستطيع ذلك نحن، ولاغيرنا.. وهذه الجمعيات كلها قد ساعدت الجماعات الاسلامية فى الأنتخابات الماضية..

المعارضة مسئوله

اليسار: إذا كنا نقول أن الحكومة مسئولة عن الوضع الديمقراطى، أو اللاديمقراطى القائم، بحكم أنها تخطط لتهميش المعارضة، والشعب مسئول لأنه لايسند هذه الأحزاب، ويتصور أنها بديل عن حركته.. فهل....

خالد محيى الدين: والمعارضة أيضا مسئولة.. أنا الاحظ مثلاً من متابعتى لما يذاع وينشر من مناقشات مجلس الشعب، أن

المعارضة البرلمانية تحصر نفسها فى قضايا لاتحشد الجماهير فى صفوفها

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

معركة تلويث الاشتراكية مهدت الأرض لانتشار الجماعات المتطرفة

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

المعركة الديمقراطية فى مصر لاتدور بين أحزاب بل بين المعارضة وجهاز الدولة!

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

الأحزاب لايمكن أن تقوم بكل شىء دون تحرك الشعب معها

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

المعارضة البرلمانية، قد حصرت نفسها فى قضايا لاتساهم كثيراً فى حشد الجماهير فى صفوفها، إذ هى تحصر نفسها فى قضايا مثل تطبيق الشريعة، والمعارك بين الحكومة والجماعات الاسلامية، ومع أن بعض هذه القضايا مهم بالفعل، إلاّ أنها بجملتها بعيدة نسبيا عن الهموم اليومية للمواطنين، وليست بأهمية قضايا مثل الارتفاع المتوالى فى الاسعار، وقضايا التعليم والخدمات، وهى لاتتقدم ببدائل فى المسائل المتعلقه بحياة الناس.. وحتى لو قيل بأن مايذاع وماينشر من هذه المناقشات ليس دقيقاً، فإن هذا الذى يذاع هو الذى يصل إلى الناس، وهو يعطى انطباعا بأن ردود الحكومة سواء جاءت من رئيس الجمهورية أو د. رفعت المحجوب أو الوزراء، اكثر منطقية، واكثر قوة.. وأى مقارنه بين الدور الذى لعبته المعارضة فى برلمان ١٩٧٦، تكشف عن أن المعارضة البرلمانية تتقهقرت.. وهذه إحدى النتائج التى تزيد من تكثيف إحساس الناس بعدم جدوى اللعبة الديمقراطية..

اليسار: أين تقع لقاءات أحزاب المعارضة، ومحاولات التعاون بينها فى هذا السياق؟..

خالد محيى الدين: تقع فى قلب الأزمة.. فالمعارضة تلتقى وتتحاور حول القضايا الكبيرة فقط.. فكل لقاءاتها واتفاقاتها تدور حول القضايا الكبيرة فقط.. مثل «الديمقراطية»، صحيح أن الديمقراطية محبوبة ومطلوبه من الناس، ولكنها ليست هى القضية التى قد تحشد الناس فى صفوف أحزاب المعارضة، وتدفعها للتحرك معها،، فإذا ما انتقلنا إلى المسائل المتعلقه بحياة الناس اليومية ومشاكلهم، فلن تستطيع أن تجمع احزاب المعارضة حول قضية واحدة من هذه القضايا، وأبسط مثل على ذلك هو التباين فى وجهات النظر بين «التجمع» و «الوفد» فى قضايا مثل قضية بيع أو تصفية القطاع العام.. والاسكان..

وفى تقديرى أن المعارضة تقوى فى أى بلد من بلاد العالم، عبر ثلاثة أشياء اولها هو نفوذها فى المحليات، أى تنجح كوادرها وقيادتها المحلية، فى خلق صلات بالناس، وإدارتها للخدمات، وتقديمها لنموذج لما يمكن أن تفعله وتنفذه إذا مانجحت فى الأنتخابات العامة وهذا منعدم.. والثانى: أن يكون لها موقع فى أجهزة الأعلام القومية، تخاطب منه الناس، وهذا لايعنى أن تظهر على شاشة التليفزيون لمدة ثلث ساعة فى كل أنتخابات، ولكن أن تظهر كل يوم، تتحدث فى كل قضية تمس حياة الناس، من الأسعار إلى التموين، ومن التعليم.. إلى مشاكل الرى.. وبذلك يتابع الناس رأى الاحزاب فى كل القضايا.. وأخيراً: النضالات اليوميه.. أى الحركة السياسية اليومية، التى تهدف إلى ممارسة ضغط لتحقيق مصلحة للشعب، أو إحدى فئاته، ومنها المسيرات والمظاهرات،

و فى حدود ما هو متاح، لابأس بحركة الاحزاب المعارضة، ولكن ذلك مازال أقل مما هو مطلوب، ولذلك أقول أن أحزاب المعارضة، ما تزال أحزاب معارضة فى قضايا عامة وكبيرة: كامب ديفيد.. هجرة اليهود.. الديمقراطية وهى قضايا أقل من المطلوب لكى تتحول قيادات الاحزاب فى مناطقها إلى قيادات شعبيه..

نحن ضد الاتجاه الذى يطالبنا أن ننوب عن الجماهير فى المواجهة

تزوير الحكومة للانتخابات ليس قدرًا ولكنه محصلة لتوازن القوى!

الديكور الديمقراطى

اليسار: ولكن إذا وضعنا فى اعتبارنا أن هذا هو المحظور، وأن الحكم ينحو إلى تهميش المعارضة، باجبارها على ممارسة «ديمقراطية الغرف المغلقة» أو «ديمقراطية الكلام فى المقرات» و «ديمقراطية المطبوعة التى تباع بنقود».. فما رأيك فى النقد الذى يوجه لأحزاب المعارضة، بأنها تساهم فى بقاء هذا الديكور الديمقراطى، وأنها لو اتخذت موقفا حاسماً يهدد بقاء هذا الديكور، بحيث يجد الحكم نفسه أمام خيارين لاثالث لهما، هو أن يسمح بمشاركة حقيقية للجميع على قدم المساواه والتكافؤ.. وإلاّ فليتحمل المسئو لية وحده..

خالد محيى الدين: هذه وجهة نظر يدعو لها البعض داخل أحزاب المعارضة ومنها حزبنا، ولكننى أرى أن هناك فارقاً بين أن هامش الديمقراطية المتاح ضيق، وأن المطلوب هو كسر القيود التى تحيط بهذا الهامش، وبين أن



أحطم الديكور الديمقراطى على رأس الجميع، بما فيها رأسى أنا نفسى، أى أن ألغى ما حصلت عليه- كحزب معارض- من حقوق.. وهنا ممكن لوأن الحركة الجماهيرية قوية ومن أساليبه مقاطعة الأنتخابات العامة مثلاً..

اليسار: هذا هو المقصود بالسؤال..

خالد محيى الدين: وحتى فى هذه الحالة، يمكن أن يجد أصحاب المصلحة فى استمرار هذا الديكور عشرات يقبلون دخول هذه الانتخابات وخاصة بعد إتاحة الفرصة للمستقلين بخوض المعارك الانتخابية..وهو مايفقد المقاطعة كسلاح فاعليتها.. فضلاً عن أن انسحابنا من المواجهة لن يدفع الذين يقيمون الجدران، حول الممارسة الديمقراطية، إلى تحطيم هذه الجدران، بمجرد انسحابنا، ولذلك افضل أن نواصل المحاولة، وسيأتى الوقت الذى نحطم فيه هذه الجدران بانفسنا،،

اليسار: ألا ترى أن الوضع العام الآن، يسمح بأن يكون سلاح مقاطعة الأنتخابات سلاحاً فعالاً ومؤثراً؟

خالد محيى الدين: ربما يكون هذا صحيحاً.. وأنا أوافق بشرط أن تكون المقاطعة شاملة، بحيث تلتزم كل القوى السياسية بأن تقاطع الأنتخابات إذا لم يتحقق برنامج الاصلاحات الديمقراطية الذى تطالب به. إما مطالبتنا بان نقاطع وحدنا.. فنحن لانقبلها..

اليسار: ولكن اشتراط الجميع، يعقد المسألة، إذ أن هناك أحزاب معارضة لاقيمة لمقاطعتها أو دخولها..

خالدمحيى الدين: هذه الاحزاب لاتعنينا.. وقد قاطعت الاحزاب الرئيسيه انتخابات مجلس الشورى وكذلك قاطعنا انتخابات المحليات رغم دخول «حزب الأمه» لها.. وما أعنيه بالمقاطعة الشاملة، هو مقاطعة التيارات الرئيسية فى الحركة السياسية المصرية»..

اليسار: مافائدة دخول الانتخابات، وهى تنتهى دائما بتزوير النتائج؟!

خالد محيى الدين: أى حزب سياسى، لابد وأن يختبر قوته، بدخول الانتخابات فهى الفرصة التى يستطيع فيها أى حزب أو شخصية حزبية، أن يقيس قوته ويعرف صدى آرائه، ومكانة قياداته فى نفوس الناس.. وخبرتى الانتخابية تؤكد أن التزوير يحدث فقط فى الأماكن التى لايكون فيها للحزب وجود قوى، فالتزوير ليس قدراً، ولكنه محصلة توازن قوى.. فعندما يكون لك أنصار أقويا فى بلد ما، لايستطيع أحد أن



يزور ضدك، وتكنيك التزوير يقوم على إضافة أصوات الغائبين والموتى، الى الحزب الوطنى، وهو مايمكن منعه، إذا كان للحزب المنافس أو المرشح نفوذ..وله مؤيدون ، اذ يستطيع هؤلاء أن يتصدوا للتزوير، وأن يحولوا دون وقوعه..

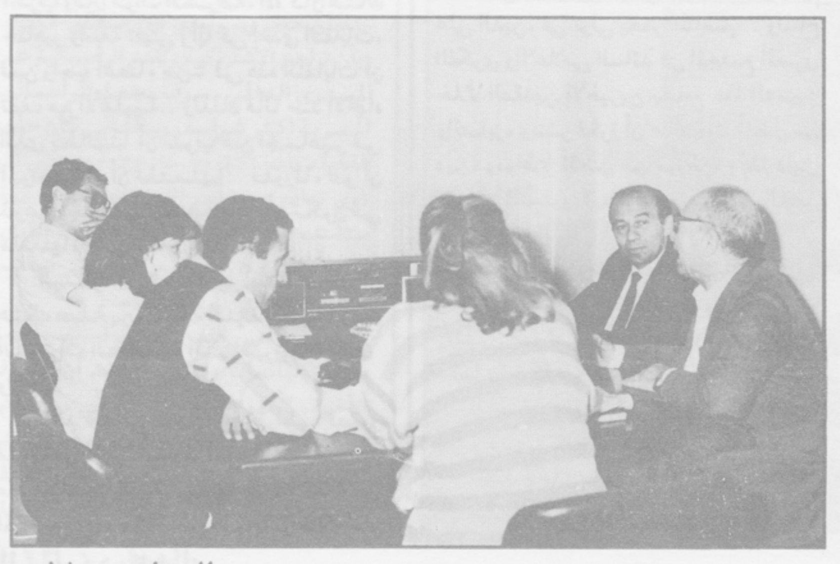
اليسار: هل معنى ذلك أن الديمقراطية فى حاجة الى الدفاع عنها بالقوة؟

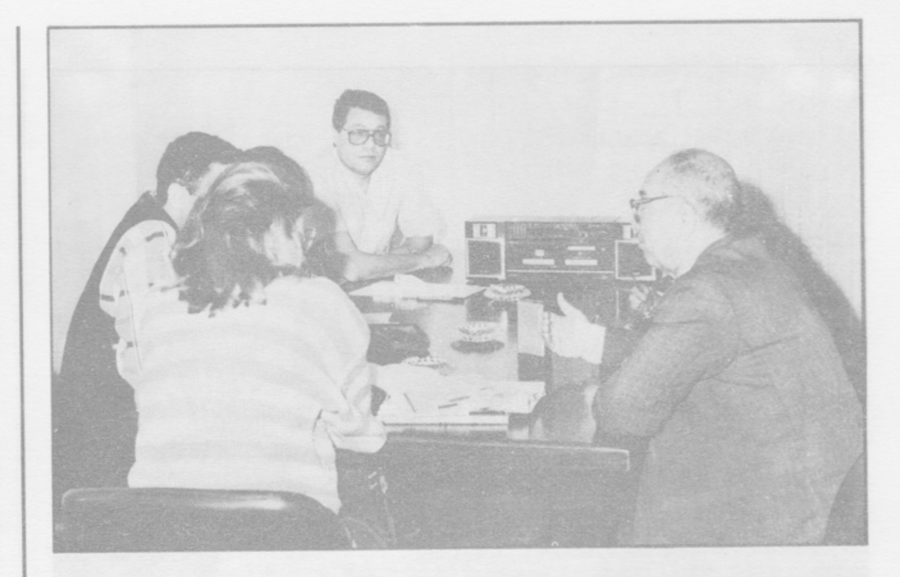
خالد محيى الدين: طبعاً.. ولكن على أن تستخدم هذه القوة لمنع التزوير، لا لممارسته.. وخبرتى تؤكد أن وجود القوة فى حد ذاته -ودون ممارستها- كاف لردع المزورين، اذ أنهم لا يمارسون قوتهم اذا ماشعروا بأن الممكن ردعهم..

اليسار: هل هناك عوامل أخرى غير التى ذكرتها، يمكن أن تساهم فى أن يكون للحزب وجود مؤثر؟

خالد محيى الدين: أهم هذه العوامل هم المحترفون السياسيون.. وهم يلعبون دوراً مهماً فى الدعاية الحزبية، وفى اشعار الجماهير بقوة الحزب، وبقدرته على الدفاع عن نفسه، ونقص القدرة المالية يؤثر فى قدرة الاحزاب على تفريغ القيادات النشطة للعمل السياسى.. وعلى سبيل المثال، فان لدنيا فى بلد مثل كفر شكر مثلاً محترف واحد متفرغ، بينما هناك ٢٢ متفرغاً للحزب الوطنى، وأى حزب سياسى فى حاجة الى ٢٠٠ متفرغ على الأقل، ليغطى المراكز، وهو مايتطلب سته آلاف جنيه شهريا. وليس معنى هذا أن أحزاب المعارضة لاتحقق شيئاً، فهناك قضية أسلوب وزير الداخلية زكى بدر، الذى واصلت المعارضة نقدها له، وساهم هذا مع عوامل أخرى فى اقالته..

ومع ذلك فهناك نقص جوهرى، يتمثل فى





المناخ الفكرى فى المجتمع يشجع التمايز على أساس دينى

أن المعارضة تتعاون فى قضايا محدودة، وليست لها جماهيرية واسعة، بينما هناك اختلاف فى رؤاها فيما يتعلق بالقضايا الاكثر الحاحاً، مثل القطاع العام والأسعار، وهذا يربك خريطة التعاون بين أحزاب المعارضة..

خط التهدئه

اليسار: يسود انطباع لدى الرأى العام، أن التجمع يميل كثيرا الى التهدئه، وأنه لايرحب بأى نشاط قد يؤدى الى مواجهة، وان حركته- فى النقابات- أهدأ من حركة جماهير هذه النقابات.. وأنه بهذا يفقد المبادرة التى تنتقل الى خصومه ومنافسيه.. فما رايك؟

خالد محيى الدين: هذا صحيح نحن نعتبر أن مواجهتنا الرئيسية، مع السياسات القائمة، ولا توجد قضية ليس لنا فيها رأى سياسى محدد وواضح.. ولكننى عارضت دائما فى القيام بأى عمل من شأنه أن يؤدى الى صدام.. خاصة اذا كانت هذه المواجهة ستتم بين كادر الحزب وبين قوات الشرطة، اذا كان هناك جماهير واسعة تتبنى رأيا فى إحدى النقابات، فمن واجب أعضاء حزبنا فى هذه النقابات أن تقف مع الأغلبية.. ولذلك فأنا ضد الاتجاه الذى يطالبنا أن ننوب عن الجماهير فى المواجهة أو أن نفتعلها.. فدورنا، هو أن نوعى الجماهير وننظمها، وأن نكون فى مقدمتها، لا أن نكون بديلاً عنها..

اليسار: هل تعتقد يا أستاذ خالد، أن هناك صلة بين الازمة الديمقراطية، وبين التوترات الطائفية التى تبرز بين الحين والآخر؟

خالد محيى الدين: الديمقراطية تصور متكامل، وهى ليست أنتخابات فقط، أو مجرد تعددية حزبية، ولكنها أساساً كفالة حق المواطنه، أى المساواة بين جميع المواطنين أمام



القانون، بصرف النظر عن أديانهم أو مذاهبهم الدينية أو السياسية أو ألوانهم أو اجناسهم، وأحد مظاهر الأزمة فى مجتمعنا هو أن ذلك ليس قائماً، ورغم أن الدستور يكفل هذه المساواه، فى مواد صريحة، إلآ أن الأمر ليس كذلك فى التطبيق العملى، فهناك تمييز يقوم على الدين، فى تولى بعض المناصب.. والمناخ الفكرى والاعلامى السائد فى المجتمع المصرى خلال العقدين الأخيرين يشجع هذا التمييز والتمايز، وينشر فكرة أن هناك دينا أفضل من دين، ومواطنا أفضل من مواطن، وهذا دليل على أن الدستور لايطبق، ومؤشر على النقص فى تصورنا الديمقراطى، وهذا يطولنا أحيانا، وفيستخدم خصومنا التكفير ضدنا كحزب ويسعون للتمايز علينا بأنهم مؤمنون، ويدعون أننا لسنا لذلك لعجزهم عن التمايز علينا وكحركة سياسيه..

اليسار: هناك نقد للاحزاب السياسية ومنها التجمع بأنها تغازل التطرف الدينى؟

خالد محيى الدين: هذا غير صحيح بالنسبة للتجمع على الأقل، وينبغى أن نفرق بين شيئين، موقفنا من أيديولوجية الجماعات الاسلامية، وهو معروف ومعلن، وموقفنا من العدوان عليها أو تعذيبها أو تصفية بعض افرادها جسدياً وهو مانرفضه ونندد به، فنحن ضد العنف سواء كان مصدره الدولة، أو كانت الجماعات الاسلامية مصدره ونحن متسقون فى هذا مع موقفنا كحزب يسارى وديمقراطى.. فالفتنة الطائفية نتاج ازمة فكرية واقتصادية واجتماعية، وجانب الأزمة الفكرية، هو الأظهر والأميز..

صيغه التجمع

اليسار: هل تأذن لنا بالأنتقال الى الديمقراطية داخل التجمع.. ونبدأ بسؤالك عن رايك فيما يقال من أن صيغة التجمع، تبدو للناس، كما لوكانت تجمعاً لقوى سياسية مستقلة عنه كتجمع، بينها تناقضات، وفى داخل كل منها تناقضات.. فما هو الدور الذى تلعبه الديمقراطية الداخلية فى توحيد وصهر هذه القوى؟

خالدمحيى الدين: أعتقد أن التجمع خلال السنوات الأربعه عشر التى مضت، قد صهر القوى التى شاركت فى تأسيسه، كما أنه - أيضا- لم يصهرها.. والتجربة تثبت أنه حين كان هناك خطر على الوطن أو على الحزب، فإن وحدة التجمع تحقق بقوة، وتعمل كل فصائله بروح الفريق.. وهى ظاهرة كانت بارزة جداً فى عهد السادات، ووصلت الى ذروتها فى احداث سبتمبر ١٩٨١، كما برزت أثناء انتخابات ١٩٨٤، اذ تعاونت فصائل الحزب فى وحدة قوية، وعندما يتراجع الخطر الخارجى تبرز التناقضات بين فصائل التجمع، وهو ماحدث خاصة بعد هزيمة الحزب فى انتخابات ١٩٨٧، اذ ساد ظن أن الحزب ليس له مستقبل انتخابى فنمت تناقضات، دفعت عناصر داخل فصائلة، الى التفكير فى التمايز والانكفاء على ذاتها، واتهام الفصائل الاخرى بأنها سبب فشل الحزب فى الانتخابات، لكن الحوار الديمقراطى داخل الحزب، طوق هذه الأفكار، خاصة أن من طرحوها، لم يجدوا مايمكن أن يطرحوه خارج برنامج التجمع.. ولولا الديمقراطية الداخلية لتفكك التجمع منذ زمن طويل..

اليسار: هل يعنى ذلك أنك كرئيس للحزب.. تعتبر نفسك محايداً؟

خالد محيى الدين: لا لست محايداً، ولايمكن أن أكون ، فالحزب حين ينتخبنى أمينا عاما، فهو يفعل ذلك قبولاً باتجاهى.. ومن المنطقى ألا تسفر انتخابات الهيئات القيادية للحزب، عن لجنة مركزية، أو أمانة عامة، تتناقض مع اتجاهاتى، بشكل يصعب

التعاون بيننا.. وأنا أفضل «التفاهم» على الانتخابات، فالانتخابات تقوم على أسلوب «التكتل»، وبذلك يمكن لمجموعة صغيرة اسقاط كل التيارات الاخرى.. وهو أسلوب لايصلح لحزب مثل حزبنا.. ومع ذلك فنحن نتجه للجمع بين الأسلوبين، أى الانتخابات.. والتفاهم..ونشيع الحوار سياسات التجمع بأساليب متعدده..

اليسار: ولكن الأساس فى العمل الحزبى، هو وحدة الارادة أى خضوع الأقلية لرأى الأغلبية وتحقيق الانضباط الحزبى، هناك من ينتقدون التجمع، ليس لعدم وجود ديمقراطية فى داخله، ولكن بسبب التسيب، الذى يجعل بعض اعضائه يتصرفون كما يشاءون فيتخذون مواقفا تتناقض مع خطه، او يكتبون بما لايتماشى مع هذا الخط.. ومع ذلك يبقون فى الحزب..

خالد محيى الدين: هذه الملاحظه ليست صحيحة، واذكر أن عدداً من اعضاء الحزب تقدموا لى بشكوى لأن أحد قياداته كتب مقالات، اعتبروها خروجاً عن خط الحزب، وقد شكلنا لجنه لفحص هذه المقالات، وتبين أن الاتهام غير صحيح، وأن مصدر الشكوى، هو أن تعبيرات الكاتب بدت لهؤلاء الشاكين لينة وأقل حدة مما يتوقعون، ولكنها لم تكن خروجا عن خط الحزب.. فنحن نأخذ بفكرة تعدد النبرات وطالما أن هذا التعدد هو فى حدود الخط العام للحزب، فليس هناك مايدعو لاتخاذ أى إجراء ضد صاحبها.. واعتقد أن الدعوة لاتخاذ مواقف حدية ضد أعضاء فى الحزب، اجراء لامبرر له، فيجب أن يتسع صدر الحزب للخلاق فى التعبير..

اليسار: هل توافق على أن يسمح التجمع فى داخلة بوجود تكتلات تتمايز ليس على أساس ايديولوجى.. بل على اساس تفسيرات مختلفة لخط الحزب..

خالد محيى الدين: أنا ضد التكتلات، ولكنى مع تعدد التعبيرات.. فليست هناك مشكلة فى أن يعبر بعض أعضاء الحزب عن خطه بأسلوب اكثر يسارية، وهو ماتفعلونه فى مجلة «اليسار»، أو أن يعبر غيرهم عن هذا الخط بأسلوب أكثر قومية، وهو ما تفعلة مجلة «اليقظة العربية»، ولو أراد الناصريون أن يصدروا مجلة شهرية، يعبرون فيها عن توجه مماثل، فليس لدينا مانع، فهذا يثرى الحوار الداخلى فى الحزب.. ولو أن هناك قضايا لم يصل الحزب الى اتفاق حولها، فلا مانع لدينا من طرحها للحوار بين هذه المنابر..

شيوعيون وناصريون

اليسار: فى حالة الاعتراف بحق الشيوعيين فى تشكيل حزب لهم، والاعتراف بذلك للناصريين.. كيف يكون موقف التجمع؟

خالد محيى الدين: هذا يريحنا جداً..



نحن حزب إشتراكى ديمقراطى فى بلد من بلاد العالم الثالث



فنحن متهمون بأننا حزب شيوعى، والاعتراف للشيوعيين بحزب، يحدد وضعنا بشكل أدق، ونحن متهمون بأننا حزب ناصرى من انصار مراكز القوى، ونتحمل مسئولية الاتهامات الموجهة لهؤلاء وأولئك بالحق والباطل، دون أن نكون مسئولين عن هذا وذاك.. ونحن لسنا حزباً شيوعيا أو ناصرياً، فنحن حزب اشتراكى ديمقراطى فى بلد من بلاد العالم الثالث، وبرنامجنا يقوم على استكمال برنامج ثورة يوليو بعد تخليصه من سلبياته، وتطويره.. وفى رأينا أن صيغة حزبنا القائمة على تجميع قوى اليسار لانجاز هذا البرنامج، صيغة صالحة، فاذا مارأى بعض الشيوعيين او بعض الناصريين غير ذلك فنحن لسنا ضد مايرونه، لأننا كديمقراطيين نطالب لهم بهذا الحق.. وفى تقديرنا أن السماح لهؤلاء وهؤلاء بتشكيل حزب، لن يؤدى إلى انسحاب كل الناصريين أو كل الماركسيين من الحزب، اذ سيظل هناك داخل التجمع من يقبلون بصيغته وببرنامجه من الطرفين.

الطبخة والصفقة

اليسار: ألا تعتقد أن التجمع مقبل على ورطة بعد التطورات الأخيرة فى الاتحاد السوفيتى.. والكتله الشرقيه؟

خالد محيى الدين: كل الاحزاب الاشتراكية واليسارية مقبله على ورطه، ولكن مايخفف الأمر بالنسبة لنا، هو أننا لم نكن نعتبر الدفاع عن النموذج الذى كان مطبقاً فى الاتحاد السوفيتى، قضيتنا، ومع ذلك فإن مايجرى هناك سوف يؤثر علينا من منطلق أنه يعطى الايحاء - ظاهريا - بأن فكرة الاشتراكية تتراجع، وأن الرأسمالية تتقدم عليها.. وفى كل الجولات التى قمت بها خلال شهر رمضان، طرح الناس على هذا السؤال، وأنا أرد دائما بأننا أصبحنا اشتراكيين من منطلق مصرى، وليس من منطلق عالمى.. وبأن تراجع الاشتراكية وتقدم الرأسمالية على المستوى العالمى، سوف يجعل الرأسمالية المصرية اكثر شراسه، وبالتالى فإن حاجة الفقراء والمساكين والكادحين فى مصر إلى قوى تدافع عن حقهم الذى يتعرض للهجمة، ستشتد، ونحن نعتبر أنفسنا أحد هذه القوى.

اليسار: ألا يتطلب ذلك تغيير أساليب عمل التجمع فى المرحلة القادمه؟

خالد محيى الدين: تطوير أساليب العمل مطلوب دائما.. ولكنى اعتقد أن الظروف الآخيرة، لابد وأن تدفع التجمع الى درجة أكبر من المرونة فى استقبال العضوية، إذ أننى ذهلت من قلق قوى غير يساريه من تقهقر الاشتراكية وتأثير ذلك على الأوضاع

الاقليمية والمحلية.. وهذا يعنى أن هناك مجالاً لكى يكتسب التجمع قوى كثيرة، والمهم أن نتواضع فى شروطنا لقبول الاعضاء الجدد، وأن نطرح برامج إصلاحية وعملية وممكنة التحقيق وتمس حياة المواطن العادى، وبهذا يتسع نطاق عملنا، وتأثيرنا..

اليسار: هناك أقاويل تتردد بان هناك «طبخة» أو «صفقة» تتم أو هى فى سبيلها لذلك، بين «التجمع» والحكم.. فما مدى صحة هذه الأقاويل؟

خالد محيى الدين: يجب أن نفرق بين «الطبخة» و «الصفقة».. فالاولى معناها أن أذوب فى الحكم، وأفقد كيانى المستقل، والتحول الى جزء منه.. أما الثانية فمعناها أن يكون هناك اتفاق بين طرفين، بشروط كل منهما.. وهو اسلوب سياسى مشروع.. وفى تقديرى أن علينا ان نعيد التفكير فى أساليبنا السياسية، فهناك وجهان لكل عملية سياسية، هما الصراع والتعاون.. فالعامل يصارع الرأسمالى ليحصل على حقوقه، ولكنه يتعاون معه بالعمل فى المصنع حتى لا يتوقف.. ونحن فى التجمع كان يغلب علينا فكر الصراع مع الحكم، وأهملنا الى حد كبير إمكانيات التعاون معه، مع أن هناك قضايا يمكن لنا أن نتعاون فيها معه، مثل محو الأميه وقضية المياه، و التطرف الدينى، والمهم أن يكون هذا التعاون بشروط الطرفين..

اليسار: وهل تتوقع أن يقبل الحزب الوطنى ذلك؟..

خالدمحيى الدين: هناك فارق بين أن تضع لنفسك أهدافا، وبين أن تنجح فى تحقيقها.. فنحن نثقف قيادات حزبنا بهذا التوجه، ونقول لهم اذا وجدتكم فرصه للتعاون، فتعاونوا، وهناك نماذج لهذا التعاون فى بعض المحافظات، أعطت ثماراً ايجابية لصالح المواطنين، ولصالح حزبنا..

اليسار: ألا يؤدى ذلك الى إلحاق «التجمع» بالحزب الوطنى؟

خالد محيى الدين: لنا سياستنا المستقلة، واذا تعاونا، فسنتعاون بشروطنا.. ونحن نقبل الحوار مع الجميع، وفى كل الموضوعات، وفى هذا الحوار نقول رأينا، فاذا قبلها الحكم، فمعنى هذا أننا نحقق بعض اهدافنا، وهناك قضيتان محوريتان، يمكن أن نتعاون فيهما مع الحزب الوطنى، هما مواجهة التطرف، واخراج مصر من الأزمة الاقتصادية.. ولكن الحزب الوطنى يتكلم عن الحوار كثيراً، ولكنه عمليا لايتحاور..

الحزب والجريدة

اليسار: ماهو الشكل الديمقراطى الذى يحكم علاقة الحزب بجريدته؟ فى ضوء الملاحظة التى تقول أن شخصية رئيس تحرير الجريدة، تؤثر على توجهها.. وما مدى رضاء الحزب عن التوجهات التى عكسها رؤساء تحرير «الأهالى» المختلفون؟

خالد محيى الدين: هذه فى الواقع مشكلة. ومن رأيى أن «الاهالى» كانت دائما مشكلة عويصه فى الحزب، لأن القاعدة الصحفية تقول أن كل رئيس تحرير يعبر عن نفسه، ولايستطيع أحد منعه من ذلك، ولكن للحزب دائما حسابات قد تكون مختلفة.. من هنا لابد أن تكون هناك مراجعة دائمة قبل النشر.. وأفضل أسلوب لحل هذه المشكلة، هو الأسلوب الذى يتبعه «فؤاد سراج الدين» مع جريدة «الوفد»، فهو يراجع ماكيت الجريدة قبل النشر..

اليسار: هل تبرز هذه المشكلة فى العلاقة بين «التجمع» و«الأهالى» بسبب تعدد الاتجاهات داخله؟

خالد محيى الدين: طبعا.. فضلاً عن أن تفسيرات رؤساء التحرير لخط الحزب، فيها اجتهادات.قد تخلق مشاكل.

اليسار: هل تخضع علاقات التجمع العربية، لحوار ديمقراطى داخلى؟

خالد محيى الدين: اذا كانت هناك مشكلة فى هذه العلاقات، فنحن نطرحها للحوار.. ومصدر هذا السؤال أن هناك تصوراً بأننا نجامل بعض القوى والاحزاب العربية، وهذا تصور سببه الرئيسى أننا لانعتبر أنفسنا طرفاً فى السياسات الداخلية للدول والاحزاب العربية، فهذا أمر لانتدخل فيه، لكننا نصوغ خطنا العربى على أساس الموقف من القضايا القومية.. لقد انتقدنا مثلا موقف العراق من حرب الخليج فى بداية الحرب، وعندما عدلوا موقفهم، عدلنا موقفنا.. أما مايجرى داخل العراق فأنا لا أتدخل فيه، ورأينا فى «التجمع» أن المنظمه بكل عيوبها - هى التى تقود النضال الفلسطينى، ونحن مع الحل السياسى لقضية الشرق الاوسط، وهذا الحل هو الذى ينتهى فى رأينا بقيام الدولة الفلسطينية.

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

أنا ضد التكتلات داخل التجمع وأوافق على تعدد النبرات

اليسار: فى بداية الحوار.. اشرتم الى أن قضية بيع القطاع العام من الموضوعات التى أختلفت حولها أحزاب المعارضة فكيف يواجه التجمع هذه المعركة منفرداً..

خالد محيى الدين: من الواضح أن الاحزاب السياسية كلها، ليست حليفتنا فى هذه المعركه و، حليفتنا الأساسية فيها هى الطبقة العاملة وجمهور المواطنين، وهم أصحاب المصلحة فى التصدى لفكرة بيع القطاع العام.. ولذلك بدأنا بالتحالف مع الحركة النقابيه بعد أن أصدر اتحاد العمال بيانا هاماً، وكل مانرجوه أن نوقف بيع أو تصفية الشركات الناجحة..

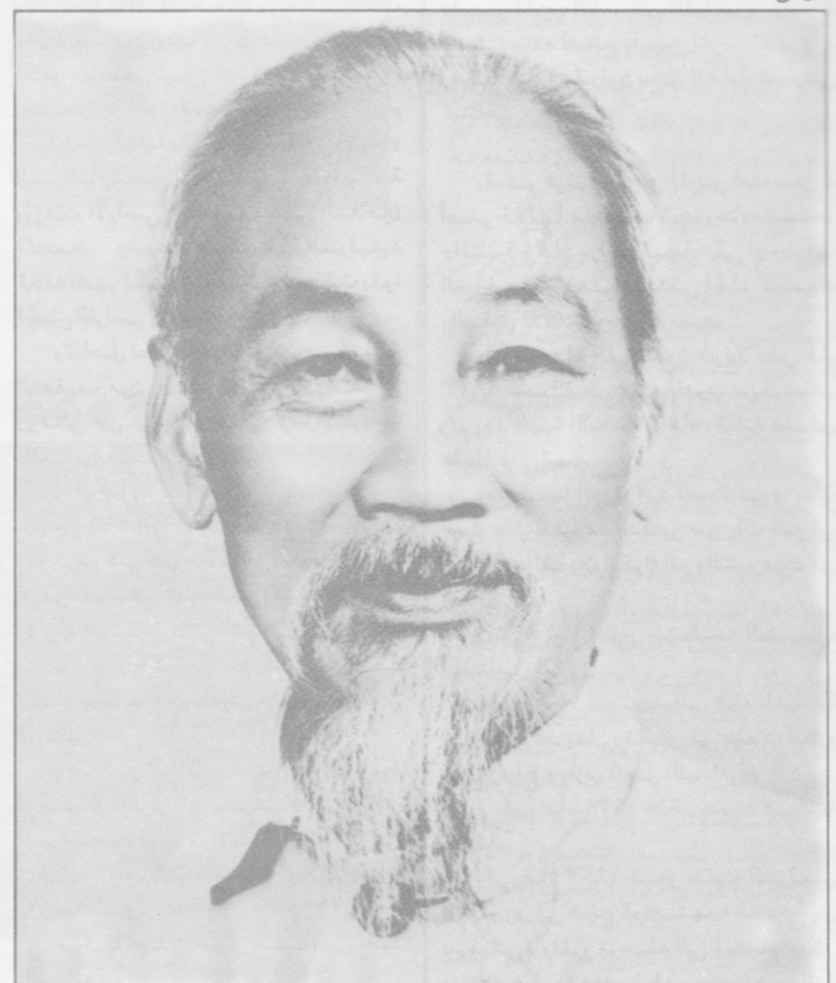
اليسار: ولكن موقف التجمع قد احدث التباساً لدى الرأى العام.. وخاصة أن الموقف من قضية بيع القطاع هو أحد المسائل، التى قد تؤثر فى التعاون بين احزاب المعارضة، وفى مدى اتساع الجبهة المعارضة للحكم الحالى.. لماذا يعارض التجمع فى بيع الوحدات الخاسرة فى القطاع العام؟.. ومافائدة أن يدير القطاع العام دورا للسينما.. أو محلات للسندويتشات.. ولماذا يدافع التجمع عن بقاء مثل هذه المشروعات فى يد ادارة يعترف التجمع بأنها فاسدة؟..

خالد محيى الدين: تقريرنا الأخير، يقول أننا لسنا ضد تصفية الشركات الخاسرة.. ولكنه يفرق بين أسباب الخسارة، فاذا كانت بسبب سياسة تسعير منتجاتها فنحن ضد تصفيتها.. واذا كانت الخسارة بسبب سوء الادارة، فيجب ان تغير هذه الادارة.. أما اذا ظلت خاسرة بعد هذا وذاك فتصفى.. أما فيما يتعلق بالتوسع، فنحن مع أن نتولى الدولة تمويل التوسعات المطلوبة فى شركات القطاع العام، لأنها هى التى تستولى على أرباحه، ونحن نرفض التعلل بأنها ليست لديها موارد، اذ فى استطاعتها أن تفرض ضرائب.. فنحن لا نرفض إلا مبدأ تصفية الشركات الناجحة.. أيا كان حجمها أو نشاطها.. ويجب أن نضع فى اعتبارنا أن الملكية العامة، وتدخل الدولة أمر يتعلق بوضع مصر كدولة نهرية وأن تصفية القطاع العام لحساب القطاع الخاص، ستفتح الباب لطموح هذا القطاع للاستيلاء على كل شئ، بما فيها المرافق العامة.. ونحن لسنا ضد اسهام القطاع الخاص فى تنمية الاقتصاد والمجال أمامه واسع فى هذا المجال، لانشاء مشروعات جديدة، بدلاً من التوقف عند الرغبة فى شراء المشروعات القائمة.

مايو ١٨٩٠
مايو ١٩٩٠

هوشي منه
يُطفىء مائة شمعة

هوشي منه



فى زماننا هذا العجيب، الذى يجيد فيه السياسيون، بل ويتميزون على بعضهم البعض، بمدى اتقانهم للعبه العربات الكهربائية التى يجهد فيها أطرافها أنفسهم وكل مهاراتهم فى إتقان شئ وحيد، هو عدم التصادم بين بعضهم البعض.. فى زماننا هذا، كم يبدو مفيداً وضرورياً أن نتأمل سيرة مناضل شيوعى عظيم كهوشى منه.. ذلك المناضل الذى أتقن والى أقص درجه فن تجنب التصادم مع العدو.. وأتقن ايضا فنون التصادم معه.. واتقن فى الحالتين فن الالتحام بجماهير شعبه.. وقيادتهم فى طريق الانتصار الاسطورى.. وفى مايو ١٩٩٠.. يكون هوشى منه قد أكمل مائه عام على مولده.. ويأتى ليطفئ معنا مائه شمعه..

آ – بطاقة شخصية : للوطن والحزب والرجل:

الوطن

ڤيتنام، واحده من الدول الثلاث المكونه لشبه جزيره الهند الصينية،ويمكن القول أن تاريخ فيتنام هو تاريخ سلسلة لاتنقطع من هبات الفلاحين، ضد الاقطاعيين المحليين وضد الغزاه الذين كانوا يأتون فى الاغلب من بلاد الصين.. ولعل اكثر الثورات الفلاحيه شهره هى تلك التى تسمى «ثوره الاخوات ترنج» وهن زوجات لاحد حكام دلتا النهر الاحمر قدن فى سنه ٣٩ ميلادية ثورة فلاحيه عاتية ضد الغزاه، وعندما هزمت الثورة انتحرن بطريقة دراماتيكة، وتحولن الى معبودات فى نظر الشعب الفيتنامى.. على مر العصور وحتى الآن لم يزل آلاف الڤيتناميين يحجون الى معبد الاخوات ترنج فى شارع «دوبج ناهان» بمدينة هانوى.

هذه العلاقة.. ظلت دوما احدى مميزات الحركة الثورية الفيتنامية، ضد العدو الاجنبى يتحد الجميع من كل الطبقات.. وحتى زوجات احد الحكام الاقطاعيين يمكن عبادتهن اذا ماحاربن العدو الاجنبى.

وفيتنام كانت عبر كل العصور القديمة بلد الفلاحين الجوعى، الذين يقفون دوماً على حافة الموت جوعاً، يتراجعون خطوه خطوه أمام الجوع حتى يصلوا الى حافة الهاوية، ولايجدون مفراً، فيندفعون فى تحرك ثورى يتخذ فى كثير من الاحيان شكل الانتفاضة المسلحه، التى سرعان ماتتحول الى حرب عصابات مضنيه، وهكذا كان لجوء الفلاحين الى حرب العصابات هو السمه المميزه للتاريخ الفيتنامى طوال الفى عام..

وفى عام ١٩٤٧ وبعد ثلاثة اعوام من حرب المقاومة التى قادها هوشى منه، كتب

ترونج شينه يقول « أن هذه المقاومه هى استمرار متطور للتقاليد النضالية لابائنا الذين اظهروا براعه فائقه فى التاكتيك والاستراتيجية وفى سرعه الحركه، وقوه توجيه الضربات».

الحزب

.. « لكى تكون ثوريا حقاً، يجب ان تتعلم كيف تصل الى جوهر الحقيقة، دون ثرثره. ودون ادعاء، ولكى تكون ثوريا حقا يجب ان تتعلم كيف تبحث عن نقاط الاتفاق حتى مع من تعتقد انهم خصومك او من يعتقدون انك خصمهم»

الكلمات لهوشى منه، الذى استطاع ان يمتلك قدره فائقه على تجنب اللغو الكلامى وثرثره هواة الكلمات الرنانه ومدعى الثوريه الذين ينسون الواجبات العملية ويغرقون فى هواية الثرثرة، وفى البحث عن نقاط الخلاف حتى مع اقرب القريبين منهم، ولم تكن هذه الكلمات مجرد حكمه نظرية اطلقها هوشى منه.. بل هى ممارسه عمليه..

كيف؟

قبل ان نجيب نسأل: كم من وقت يمكن ان تستغرق عملية توحيد ثلاث منظمات شيوعية فى حزب واحد لدى دعاه الثرثره وهواة«علوم الكلام»؟

ثم نقارن كم من وقت استغرق ذلك عند هوشى منه ورفاقه؟

فى ١٩٣٠، كانت هناك ثلاث منظمات سرية تناضل من اجل الاشتراكية فى ڤيتنام. وفى فبراير من هذا العام دعى هوش منه الى اجتماع توحيدى لهذه المنظمات الثلاث من اجل تأسيس حزب واحد.

وفى إستاد هونج كونج التقى ثلاثه رجال.. خلال مباراة كرة القدم، واثناء سير المباراة ووسط هتافات المشجعين وصفارة الحكم، عقد ممثلو المنظمات الثلاث اجتماعهم الشديد السرية، الشديد الايجاز. وقبل ان يطلق الحكم صفارة إنتهاء المباراة كان الاتفاق قد تم بين ممثلى المنظمات الثلاث.. واعلن تأسس «حزب العمل الفيتنامى»

ولقد حرص هذا الحزب تحت زعامه هوش منه على ان يكون جزءا من جسد الحركة الوطنية.

ففى ذات الشهر الذى تأسس فيه اشتعلت نيران ثورة يقودها حزب برجوازى فى مقاطعه ين باى فى المناطق الشمالية الغربية من فيتنام، واغرقت الثورة فى بحر من الدماء.

وهنا تقدم الحزب الوليد وبشجاعة ليحمل رايه النضال الوطنى.. ليواصل المسيره ودون ان يتحامل على قادة الثورة البرجوازية بل على العكس من ذلك رفع شعار «فلتحيى الروح الثورية لانتفاضة ين باى»

وفى السجون التقى اصحاب الخطوه الاولى من الانتفاضة، مع هؤلاء الذين واصلوا المسيره.. وكانت تعليمات القيادة الحزبية للرفاق الا يقوموا بأى استفزاز لاعضاء الحزب البرجوازى، بل ان يحاولوا وعبر مناقشات «أخويه» كسبهم. وبالفعل انضم الكثيرون من قيادات واعضاء الحزب البرجوازى الى صفوف الخلايا السريه لحزب العمل التى انتشرت فى مختلف السجون.

وجاء مايو..

وقرر هوشى منه الاحتفال بعيد اول مايو بطريقه فيتناميه مميزه، ان يتخذ الاحتفال شكل الانتفاضه الثوريه، او ان تشتعل الانتفاضه الثوريه فى شكل احتفال.. «ياعمال فيتنام اتحدوا» « تحيا وحده العمال والفلاحين والجنود » «لنحتفل ونحن نحرر الوطن، لنحرر الوطن ونحن نحتفل»

وجاء يوم اول مايو ومضى، ولكن الاحتفال لم يتوقف، مايو.. يونيو.. يوليو.. اغسطس.. سبتمبر الاحتفال بأول مايو لم يزل مستمرا، كلما حاول المستعمرون اطفاء النار ازدادت اشتعالا.

ووصلت الانتفاضة الثورية التى بدأت باحتفال مايو ذروتها فى سبتمبر حيث اندفع فلاحو مقاطعتى نيجى أن، هاتينا الشماليتين ليطيحوا بالادارة الاستعماريه ويعلنوا قيام «سلطة سوفيتية»، وألغت «القرى الحمراء» الضرائب والديون ونظمت قواتها المسلحة ووزعت الاراضى الحكومية على الفلاحين المعدمين.. وصمدت هذه السلطة السوفيتيه ثلاثه اشهر لكنها مالبثت ان سحقت بقوة الجيش الفرنسى وطائراته.

وتواصل نضال الحزب.. عبر مسار بالغ التعقيد، مرن وصلد، ثورى وهادئ، طبقى ووطنى فى آن واحد حتى حقق الشعب الفيتنامى انتصاره النهائى..

الرجل:

فى ١٩ مايو ١٨٩٠ ولد الطفل نيجويان دين كونج لأب كان حاكما فى مقاطعه ينجى آن فى شمال فيتنام.. لكن الاب اشترك فى مقاومه الفرنسيين الامر الذى أدى الى طرده.. نيجويان دين كونج.. هو ذاته الذى اتخذ لنفسه يوما ما اسم «هوش منه» (أى الرجل المستنير)..

« أنا قوى الذاكره، لكن ثمه شيئين لاتستطيع ذاكرتى ان تستوعبهما.. الاماكن التى سجنت فيها، والاسماء السريه التى اتخذتها، فلقد كانت حياتى مليئه بالسجون والاسماء السريه معا»

هكذا تحدث هوش منه الى احد الصحفيين..

ككل الاطفال الفيتناميين لعب حافى القدمين بكره من جذور شجر الموز، وتلقى تعليما اوليا، وخلال ذلك كان يحمل الرسائل بين الثائرين من ابناء الاقطاعيين الذين كانوا على صله بأبيه..

واذ فقد الاب وظيفته وثروته، بدأ تيجويان « فى العمل ليكسب خبزه، واشتغل على ظهر سفينه فرنسيه، ثم تنقل بين لندن وباريس ليمارس اى عمل يدوى يصادفه يكسب به قوته..

وفجأة وفى يناير ١٩١٩ برز «نيجويان دين كونج» كمناضل وطنى، فوجه رساله الى الرؤساء ويلسون وكليمنصو ولويد جورج أثناء اجتماعهم فى ڤرساى فى مؤتمر الدول التى انتصرت فى الحرب العالمية الاولى، وحدد فى رسالته ثمانيه مطالب تستهدف تحقيق استقلال فيتنام.. ووقع الرساله باسم « نيجويان اى كوك» أى « نيجويان الوطنى»

.. وفى ٢٠ ديسمبر من ذات العام كان هوشى منه هو المندوب الفيتنامى الوحيد الذى حضر المؤتمر الشهير للحزب الاشتراكى الفرنسى فى تور.. وفى هذا المؤتمر صوتت الأغلبية على تأسيس الحزب الشيوعى الفرنسى.. وصوت «هوشى منه» لصالح تأسيس الحزب الشيوعى، وهكذا ظلوا يقولون بحق انه اول شيوعى فيتنامى..

واستمر هوشى منه فى باريس لعده سنوات أصدر خلالها مجله ساخره، وحاده اسماها «المنبوذ» كان يراهن فيها على ان وخزاته الساخره قادره على ان تدمى الجلد السميك والصفيق للاستعماريين الفرنسيين

ولم يتحمله الفرنسيون طويلا ففى عام ١٩٢٣ طلب القبض عليه، فهرب من فرنسا.. ولم يعد اليها الابعد ٢٣ عاد، لكنه عاد فى هذه المره.. رئيساً.

ومن فرنسا الى الاتحاد السوفيتى والصين حيث عمل لفتره مع الدكتور صن يات صن فى فتره التحالف بين الكونتانج والشيوعيين فى الصين.

وفى ١٩٢٥ اسس منظمه الشباب الفيتنامى الثورى..

وفى ١٩٣٠ انضمت الى هذه المنظمة منظمتان آخريتان وتأسس فى ملعب الكره بهونج كونج « حزب العمل الفيتنامى»

.. فى عام ١٩٢٩ حكم عليه غيابيا بالاعدام.

وفى عام ١٩٣٣ قبض عليه البوليس الانجليزى فى هونج كونج بتهمه انه «عميل سوفيتى» وتقرر ترحيله الى فيتنام حيث ينتظره حكم الاعدام. لكن محاميا بريطانيا

تطوع للدفاع عنه ونجح فى رفع قضيته الى مجلس البلاط، لتقرر الافراج عنه.

وفى عام ١٩٤٠ عاد هوشى منه الى فيتنام سراً ليواصل نضاله هناك، برغم حكم الاعدام الصادر ضده..

وفى ١٩٤٢ قبض عليه البوليس الصينى فى قريه على الحدود، وظلوا ينقلونه من سجن الى سجن ومن مدينه الى مدينه محاولين التعرف على هويته واسمه الحقيقى دون جدوى.. وخلال هذه الرحلات التى استمرت حوالى عامين كان يسحب سائرا على قدميه، ويداه مقيدتان خلف ظهره بالسلاسل، مريضا، جائعا، حافيا..

... يقول «هوشى منه» عن هذه الفترة فيها تعلمت كيف اكتب الشعر، كنت امضى الوقت وانا سائر على قدمى، مقيد اليدين، واشغل نفسى بكتابه الشعر فى ذاكرتى»

ولهوشى منه.. حوالى مائه قصيده.

ب - المناضل الثورى

بين المرونه والصلابه..

«.. ان تكون ثوريا حقا. فان ذلك يعنى ان تمد يدك للجميع».. هكذا كان هوشى منه يؤكد.. «فإن خانوك بعد ذلك فسوف تلعنهم الجماهير وتعزلهم» وهكذا اكمل.

ان «هوشى منه» نموذج فذ، ويصعب تكراره للسياسى المرن،بل والشديد المرونه سواء فى مواجهة اعدائه الطبقيين او فى مقابله مع حلفائه..

والنماذج لمواقفة المرونه لاتحصى..

ففى ١٩٤٥ نجح «هوشى منه» على رأس «حزب العمل الفيتنامى» فى انتزاع استقلال شمال البلاد واسس فى هانوى حكومه «الجمهورية الديمقراطية الفيتناميه»

ومنذ اليوم الاول للانتصار كانت المرونه هى العلامه المضيئه..

فأول رئيس شيوعى لجمهورية فيتنام، عين آخر امبراطور اقطاعى لفيتنام مستشاراً سياسيا له..

ومد هوشى منه يده للجميع. لكل من يريد وطناً ديمقراطياً ومتحرراً.. مهما كان وضعه الطبقى، ومهما كان تاريخه، صحيح أن الامبرطور لم يلبث ان خان الثوره، وهرب، وتعاون مع الاعداء، لكنه بهروبه وضع نفسه فى ذات الموضع الذى توقعه «هوشى منه» «تلعنه الجماهير وتعزله»

وضد سياسة المرونه إزاء القوى الاجتماعية المختلفة خاصه السياسيين. المحترفين حربهم واتهموا هوشى منه بالضعف وبالعماله للاقطاع..

ولكن متى كان لثورى حق ان يعبأ بهذه الصبيانية اليسارية..

ونموذج آخر..

فى مايو ١٩٤١ عقد الاجتماع الثامن للجنة المركزيه لحزب العمل فى جبال كاوبانج



برئاسه هوشى منه.. وفى الاجتماع اعلن هوشى منه ان الهدف المباشر للثورة هو تحرير الوطن من القهر الفرنسى - اليابانى. وانه يتعين تكوين جبهة عريضه لاتضم العمال والفلاحين والبرجوازيه الصغيره والبرجوازيه الوطنية فحسبه، وانما تضم ايضا كل الشرائح الاجتماعية التى تقف ضد الاحتلال بما فى ذلك كبار الملاك العقاريين «الوطنيين». وبناء على ذلك الغيت من برنامج الحزب كل النصوص والشعارات الموجهه ضد المصالح الطبقية لهذه الفئات، بما فيها الاصلاح الزراعى، واكتفى بشعار واحد هو «مصادره أراضى الخونه وتوزيعها على فقراء الفلاحين»

كذلك دعى الحزب الى تأسيس منظمه جبهويه جديده تستهدف «توحيد كل الوطنيين بغض النظر عن ثرواتهم او اعمارهم او جنسهم او معتقداتهم او آرائهم السياسية.. ليعملوا صفا واحدا من اجل حريه شعبنا وخلاص وطننا» وهكذا تأسست «منظمه استقلال فيتنام» والتى أطلق عليها «فييتمنه»

وضمت هذه المنظمه فى صفوفها حزب العمل، وعددا من الاحزاب السياسية الاخرى ومنظمات جماهيريه ونقابيه وعماليه وخلاصية وجماعات المثقفين والبرجوازيه الوطنيه وكبار الملاك المعادين للاحتلال الاجنبى..

ووجه هوشى منه الدعوه الى اجراء انتخابات لأول جمعيه وطنيه للجمهورية الديمقراطية.. لكل فيتنام.. شمال وجنوبا.. وبطبيعة الحال منع الفرنسيون اجراء الانتخابات فى جنوب البلاد، لكن هوشى منه دعا الى اجراء انتخابات سريه، لعلها المره الوحيده فى التاريخ التى ينجح فيها شعب فى اجراء انتخابات سريه..

لقد قاومت قوات الاحتلال هذه الانتخابات بوحشيه واعدمت ٤٠ من منظميها لكنها نجحت نجاحا باهراً وفازت «جبهه فييتمنه» بمئتين وثلاثين مقعدا من ثلاثمائه.

لكن ذلك النجاح عاد ليفجر أزمة جديده، فقد بدأت بعض أحزاب البرجوازيه بايعاز ومسانده من قوات الاحتلال الفرنسية وبايعاز من حكومة شانكاى شيك الصينيه فى شن حملات على ما أسمته بسيطره «حزب العمل» أى الشيوعيين على مقاليد «جبهه فييتمنه»..

وتفاديا لأيه مضاعفات اصدر حزب العمل قراراً بحل نفسه.

الحزب هو حزب الاغلبية، ورئيسه هو

من التقاليد الثابته لمجلس الشعب المصرى، عدم عقد أية جلسات خلال شهر رمضان المعظم هو تقليد لم أفهم له سببا، حتى فسره لى نائب صديق من نواب حزب الأغلبية، قال لى ان سبب تعطيل الجلسات خلال شهر رمضان، يرجع إلى حرص المنصة على ألا تتعرض لما يبطل صيامها..

إذ من المعروف أن الكذب من مبطلات صيام رمضان

«المصرى أفندى»

رئيس الحكومه ومع ذلك اصدر قراراً بحل نفسه مؤقتا لتفادى آى انقسام فى صفوف الجبهه. وتحول الحزب الحاكم الى حزب سرى، وتقرر أن « يهدئ» من حركته لعدم إزعاج الحلفاء.. ولأن الحلفاء كانوا منزعجين من انهم لن يحصلوا على ايه مقاعد فى الانتخابات، فقد قرر هوشى منه أن يخصص لهم مقاعد دون انتخاب.. وبرغم ذلك فقد انسحبوا من الجبهه ومن الحكومة.. ويصيح هوشى منه فى الجماهير « انظروا اليهم وهم ينسحبون عراة تماما وفى خجل» لقد أسقط عنهم كل حججهم.. وتمادى معهم محاولا إرضاءهم الى أقصى مدى.. ومع ذلك انسحبوا، واتخذ بعض اليساريين المتطرفين من هذا الانسحاب ماده للهجوم على «هوشى منه» مؤكدين ان سياسته التهادنيه لم تنجح فى الاحتفاظ بالحلفاء، لكن هوشى منه ظل يؤكد ان السياسة المرنه هى التى جعلتهم «ينسحبون عراه وبلا أى تأييد شعبى».

اما النموذج الثالث.. فهو الاتفاقية المؤقته التى ابرمتها حكومة فيتنام الديمقراطية مع فرنسا..

فبعد الحرب كان شمال فيتنام يُغص بقوات احتلال صينية قدرها ٢٠٠ر٠٠٠ جندى، وفى الجنوب كانت فرنسا، ولم يكن بامكان الجمهورية الوليده ان تحارب الاثنين معا، فتوصلت الى اتفاق يقضى بانسحاب الصينيين على ان يحل محلهم ١٥ر٠٠٠ جندى فرنسى تعهدت فرنسا بأن تسحبهم نهائيا من شمال فيتنام بحلول عام ١٩٥٢.

ومن جديد انفجر اليساريون المتطرفون فى وجه «هوشى منه» وإتهموه بالخيانه و «بيع البلاد للفرنسيين» ويرد القائد العسكرى للدولة الوليده الجنرال جياب على الصبيانيه اليساريه قائلا «فى هذه الاتفاقية اشياء لصالحنا، فيها اشياء ضد مصالحنا، وهؤلاء الذين يهاجمونها يفهمون الاستقلال فهما خاطئا، يفهمونه كشعار براق.. يتصورنه مجرد توقيع على وثيقه، حبر على ورق، لكن الاستقلال مسأله تنبع من ظروف موضوعية متعلقة بتوازنات القوى محليا واقليميا وعالميا.. اننا لم نختر طريق المقاومه المسلحه المباشره، لأن الظروف العالمية الأن ليست فى صالحنا»

وبرغم صيحات اليسار المتطرف نجح هوشى منه فى تنفيذ الاتفاق لقد كان الاتفاق محاوله من الطرفين لأن يلتقط كل منهما انفاسه.. وسرعان ما التقط الاستعمار الفرنسى أنفاسه وحاول ان يفرض على الجمهورية الديمقراطية إرادته الاستعماريه الكامله. وفتحت الدبابات الفرنسية النار اكثر من مره على مواطنين فيتناميين، وقصفت السفن الحربيه الفرنسية ميناء «هاى تونج» وقتلت ٣٠٠٠ فيتنامى. وقررت نزع سلاح الميليشيا الشعبيه.

وكان هوشى منه يستعيد انفاسه هو أيضا.. ويستعد، لكنه لم يلجأ الى العنف المسلح الا بعد ان فشل تماما فى المفاوضات..

وفى إحدى جلسات المفاوضات الشاقه قال هوشى منه للفرنسيين «العنف لايفيد احداً، ولكن اذا صممتم على الحرب، فسوف نقاتل. سوف نقدم عشرة شهداء مقابل كل قتيل منكم.. وستكونون أنتم اول من يتعب»

ولم يصدق الفرنسيون كلمات الرجل.. ربما لانه قالها بهدوء شديد لايوحى بأى تشدد، لكنهم وما ان بدأت الحرب حتى ادركوا مرارتها..

ج- من المرونه السياسيه الى الحرب المسلحه

واذا كانت تقاليد الانتفاضة الفلاحيه المسلحه عريقه فى فيتنام، فان الشيوعيين قد استطاعوا ان يمنحوا هذه التقاليد عمقا وأصاله جعلا منها تراثا نضاليا يثير الاعجاب.

وكانت البداية فى اكتوبر ١٩٤٤، عندما دعا «هوشى منه» الى تكوين ما أسماه «فرق الدعايه المسلحه» وهى مجموعات مسلحه تستهدف بالأساس توعيه الجماهير والقيام بعمل اعلامى ودعائى يستهدف حشد الجماهير للإطاحة بالحكومة المواليه لحكام ڤيشى واليابان.

وقال هوشى منه فى تحليله لمهام هذه الفرق، انها تستهدف نشر الوعى ولكنها يجب ان تكون مسلحه ليس فقط لكى تستطيع الدفاع عن نفسها، وانما لتبث الشجاعه فى نفوس المواطنين..

وفى ٢٣ ديسمبر ١٩٤٤.. وفى ادغال ڤيتباك، إصطفت فى نظام عسكرى صارم مجموعة من ٣٤ رجلا يحملون بنادق من انواع مختلفة، وكان قائدهم الحافى القدمين والذى يلبس بنطلونا أطول منه بكثير بحيث اضطر الى ثنيه عدة مرات والذى ترك مهنته كمدرس فى مدرسه خاصه فى هانوى وأتى الى الادغال ليحارب الاحتلال.. هو «نوجيان جياب»

.. اصطفت المجموعة لتؤدى القسم العسكرى.. واعطى قائدها تماماً عن قواته فقال: «الفرقه المسلحه الأولى للدعايه لتحرير ڤيتنام ٣٤ رجلا، ٣٤ بندقيه، ٦ قنابل حارقه، لغم واحد، ٥٠٠ قرش فرنسى»

.. انها نواه ذات الجيش الذى أزاق الاستعماريين الفرنسيين ثم الامريكيين مراره هزيمة لم تنس حتى الآن.. وعندما نقض الفرنسيون اتفاق مارس ١٩٤٦ وحاولوا فرض سلطتهم الاستعماريه على الجمهوريه الديمقراطيه، وجه هوشى منه نداء المقاومه، وانسحبت الحكومة الثورية من هانوى الى الادغال.. وبدأت أشهر حروب التحرر فى العصر الحديث والتى اسميت مرحلتها الاولى أى مرحله هزيمة الاحتلال الفرنسى.. بحرب السنوات التسع.

تسع سنوات والفرنسيون يسيطرون على المدن والطرق الرئيسية ويفرضون إرهاباً



وحشياً ويخيل اليهم انهم يمسكون بشئ ما من فيتنام، لكنهم وفى كل لحظه يكتشفون انهم واهمون وان فيتنام مع هوشى منه وليست معهم. وحتى المناطق والمدن التى كان الفرنسيون يحكمون قبضتهم عليها.. كانت تسدد الضرائب للثوار وكانت تخضع عمليا لتعليماتهم، لم يكن هناك خطوط تماس كانت الجبهه كما وصفها احد القاده العسكريين الفيتناميين أشبه بمشطين تداخلت أسنان كل منهما فى الاخر.. وكانت الخطه العسكريه للثوار واضحه تماما، ولعل قوتها أتت من كونها خطه معلنه،

لقد اعلن احد القاده العسكريين الثوريين هذه الخطه فى كتاب له اسماه «سوف تنتصر المقاومه» ووصف الحرب بانها «ثوريه، عادله، شعبيه، شامله، طويله الامد»

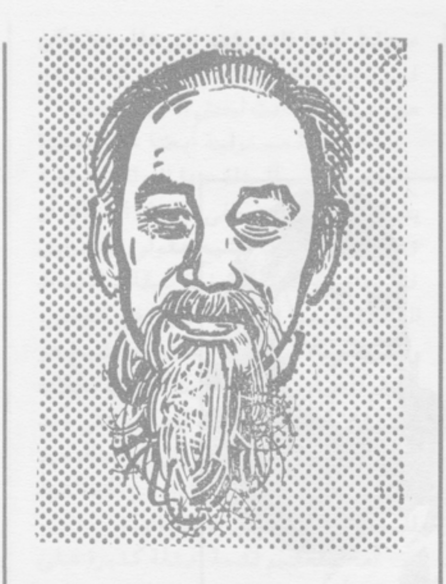
وقال «ان تناقضات مستحيله الحل تكبل العدو.. فهو لايمكنه ان يحقق هدفه الأساس من الحرب - اى احتلال البلاد - الا إذا بعثر قواته فى كل المناطق المحتله، ولكنه ما ان يبعثر قواته حتى يجد نفسه فى المأزق إذ تصبح هذه القوات فريسه سهله لرجالنا، فاذا حاول ان يجمع هذه القوات فأنه يكون من المستحيل السيطره على كل مناطق البلاد، وبهذا يفشل فى تحقيق هدفه من الحرب »

والحرب شامله فهى ليست عسكرية فحسب وانما اقتصاديه واجتماعية وثقافية..

فحرب الأمية هى جزء من الحرب ضد الاستعمار، وخلال فتره الحرب تعلم تسعه ملايين من الاميين القراءه والكتابه فى المناطق المحرره بمعدل مليون شخص كل عام.

وقد استخدمت فى معركه محو الاميه اساليب ذكيه ومثيره للاهتمام.. لقد كان الفرنسيون يقاومون وبشده عمليه محو الأميه، وكانوا يدمرون مدارسها بوحشيه، فقرر الثوار الا تقام مدارس، وانما يتم التعليم فى مجموعات فى الخلاء، وفى بعض الأحيان كانوا ينظمون مايسمى بعمليه التعليم الجماعى.. تعلق فى القريه لافته كبيره عليها حرف «ا» وفى اليوم التالى حرف «ب» وهكذا حتى تتعلم القريه كل، حروف الابجديه، ثم يبدأ المواطنون فى امتحان بعضهم البعض، ويتكرر ذلك حتى تجيد القريه حروف الابجديه. ولتشجيع الناس على التعلم صاح «هوشى منه» «كل من يعرف حرفا واحداً يعلمه لجاره» وتقرر ان يكون فى مداخل القرى بابان باب يستخدمه المتعلمون وآخر للاميين.

.. وثمه تجربه اخرى فريده فى نوعها هى كيفيه امداد الجيش بالغذاء، ومن اين والشعب فقير وجائع؟ لقد دعى هوشى منه الى ما



اسماه «وعاء ارز المقاومه» ففى كل بيت فيتنامى وجد هذا الوعاء، وفى كل يوم تحتجز ربه البيت حفنه من الارز من الكميه المخصصة لذات اليوم وتضعها فى هذا الوعاء، وتتجمع حبات الارز القليلة ليمر فى نهاية الشهر مندوب عن الجيش ليجمعها من البيوت.

وكانت كل الاسر الفيتنامية سواء فى المناطق المحرره او تلك الخاضعه للاحتلال تحتفظ بوعاء ارز المقاومه فى اكثر اماكن البيت قدسيه، حيث يوجد مايسمى «بمذبح الاسلاف» هناك كانت صورة هوشى منه وتحتها «وعاء أرز المقاومه».

وكانت عمليه تسليح الجيش الثورى تتم بوسائل بدائيه لكنها فعاله، لقد حولوا قضبان السكه الحديد الى اسلحَة، واستخدموا الغاما من الخيزران المسمم، ومن الفخار.

لقد هزم هذا الجيش البدائى جيش فرنسا، و هؤلاء القاده البسطاء ابتكروا من تاكتيكات القتال ما أدهش وأربك جنرالات الجيش الفرنسى.

وانتصر الفيتناميون..
انتصروا على فرنسا..
ثم انتصروا على امريكا.

المناضل حاكما

« ايها الرفاق الاعزاء.. لا أنا ولا أى واحد منكم يجيد فن الاداره، لقد حرمتنا من تعلم هذا الفن ثمانون عاما من القهر والاحتلال والظلام. لكن ذلك لن يثبط عزائمنا ،لسوف نتعلم ونحن نعمل، ولسوف نعمل ونحن نتعلم»

« ان امامنا مهمتين سريعتين.. التغلب على المجاعة وعلى الاميه»

انه اول خطاب لهوشى منه، فى اول اجتماع لحكومة الجمهورية الفيتناميه الديمقراطيه فى ٣ ديسمبر ١٩٤٥..

وقال هوشى منه «ان الملايين من السكان يعانون من الجوع. وانا اقترح ان تبدأ الحكومة حمله لزياده الانتاج، ولكن لكى تثمر زراعات الذره والبطاطا والمحاصيل الاخرى فانها تحتاج الى ثلاثه او اربعة اشهر، ولهذا فان على كل اسره فيتناميه ان تصوم يوماً كل عشرة ايام وان تتبرع بطعام يوم صيامها للجوعى..»

وارتفع شعار لنزرع كل شبر من الارض، وحتى فى المدن زرعت الحدائق والاراضى الفضاء وارصفه الشوارع بالبطاطا وفول الصويا والذره، وسرعان ما اختفى شبح المجاعة، وبدأت ايضا حمله لمحو الامية، لقد استقرت اول حكومة ديمقراطية فى العاصمه هانوى لمده خمسه عشر شهرا فقط، ثم اضطرت الى الانتقال الى الادغال، وفى هذه الخمسه عشر شهرا تعلم مليونان من الفيتناميين الأميين..

.. وفى معركه « دين بيان فو» وجه الجيش الثورى ضربه قاصمه للكبرياء الفرنسى، فقد استطاع المدرس الحافى القدمين « نيجوبان جياب » ان يدير معركة اسطوريه لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الحروب، آلاف من الجنود يحملون المدافع المفككه قطعه قطعه و يصعدون بها وسط جحيم القنابل الفرنسية، يصعدون دون توقف، يصعدون مهما كانت الخسائر وفى قمه الجبل يتم تركيب المدافع ايضا تحت قصف النابالم.

وانتصر الفيتناميون وخرجت فرنسا مهزومة..

لكن امريكا كانت قد أتت واحتلت جنوب الوطن

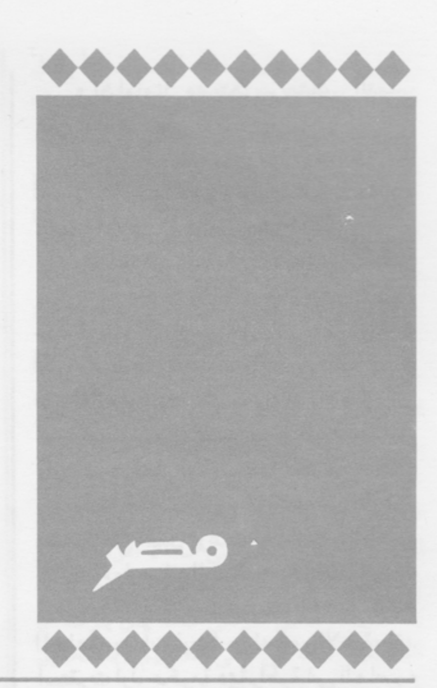
وتصدر اللجنة المركزية لحزب العمل الفيتنامى بيانا الى الشعب جاء فيه « قد تجف الانهار، وقد تندثر الجبال.. لكن عزيمه شعبنا واصراره على استعاده وحدته لن تتزعزع، ولسوف تنتصر فى النهايه»

وفى النهاية انتصر «هوشى منه».. وانتصرت فيتنام.

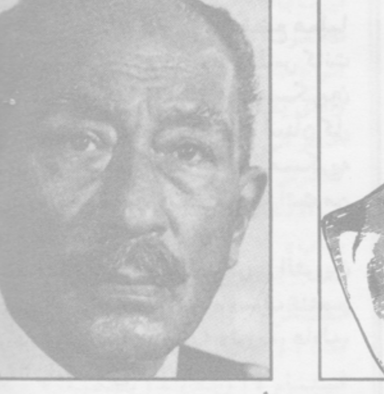
ويتبقى لنا ان نتعلم الدرس ان اردنا ان نكون ثوريين حقاً.

د. رفعت السعيد









محمد على　　أنور السادات

الفتنة الطائفية.. مسئولية من؟!!

هناك منهجان للنظر إلى الفتنة الطائفية التى باتت تهدد جديا رحدتنا الوطنية. المنهج الاول وفيه يبدو وكأن الفتنة قد هبطت علينا من السماء دون أن يكون لأحد يد فيها، وقد يمضى هذا المنهج فى أقصى حالاته إلى إلصاقها بشراذم الصبية بينما يصر على أن الوحدة الوطنية كانت وظلت قوية سليمة منذ الأزل. إن هذا هو النهج الذى دأبت عليه أجزة الاعلام الرسمية ورجال الدين والعديد من المسئولين، وهو نهج تنقصه الصراحة ويتميز بالسطحية ويتناقض مع حقائق التاريخ، ولا يترتب على قبوله إلا التشديد الامنى من جانب الحكومة فى مواجهة «شراذم الصبية» غير المسئولة، وهو أمر تلجأ إليه الحكومة كلما واجهت فتنة طائفية إلى أن تهدأ الامور لفترة ثم تفاجأ بفتنة أخرى فى مكان آخر، وهكذا تدور الامور.

وهناك منهج آخر، يدرك أن ثمة تمييزا بين الاقباط والمسلمين فى مصر اليوم خلافا لما ينص عليه الدستور، وأن هذه القضية لها جذورها التاريخية عندما كان الحكام يتخذون من الوقيعة بين الاقباط والمسلمين طريقا لضرب الطرفين، ومثال ذلك أن الجزية على الاقباط لم تلغ إلا عام ١٨٥٥ فى عهد الوالى سعيد، وأنه عندما قرر محمد على تجنيد الفلاحين المصريين بدلا من المماليك اقتصر هذا القرار على المسلمين وظل هذا هو الوضع حتى رفع الجزية عنهم.. نستطيع أن نعطى عشرات الامثلة خلال الحقبة الحديثة منذ محمد على إلى اليوم للتدليل على وجود هذا التمييز لولا ضيق المكان.



وإذن فهذا الكلام الذى تردده أجهزة الاعلام ورجال الدين من أن علاقات المسلمين والاقباط كانت دائما «سمن على عسل» منذ الفتح الاسلامى حتى اليوم ليس صحيحا، وأبسط واجبات الامانة الفكرية أن ندرك هذا حتى نبدأ بداية جديدة فى فهم صحيح للاسباب المباشرة والمناخ الذى يفرز الفتن الطائفية بأمل أن نواجه الموقف بالا جراءات الصحيحة التى تجنب الوطن تلك الاسباب وذلك المناخ الذى يسمح بظهورها، وبالتالى تحديد المسئولية حيث ينبغى أن تقع المسئولية.

إننا لا ننكر أن العلاقات بين المسلمين والاقباط فى هذا الوطن قد مرت بفترات ازدهار عديدة، لكننا لا ننسى فى الوقت ذاته أن تلك العلاقات شهدت أيضا فترات من التوتر الشديد فى الماضى السحيق والقريب وأقرب مثال على ذلك الفتنة التى هددت مصر باسوأ النتائج فى الفترة ١٩٠٨-١٩١٢

الجزية على الأقباط لم تلغ إلا عام ١٨٥٥!

وانتهت بالمؤتمر القبطى فى أسيوط فى مارس سنة ١٩١١ وتلاه المؤتمر المصرى (الإسلامى) بعده مباشرة فى شهر إبريل ثم جاءت ثورة ١٩١٩ الوطنية لتكسح هذه النفايات والرواسب وقدمت مثالا فذا على الوحدة الوطنية بين الاقباط والمسلمين، وكان شعارها «الدين لله والوطن للجميع».

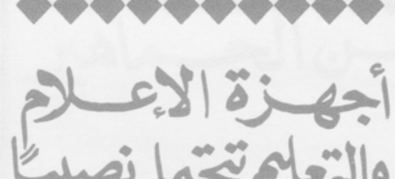
وعندما نتأمل الظروف التى أحاطت بتلك الفتن فى العصر، الحديث فسوف نكتشف أن ازدهار الفتن الطائفية كان مرتبطا دائما بنمو تيارات الاسلام السياسى التى تؤكد دائما على أن الاسلام دين ودولة وأنه لابد من عن تطبيق الشريعة الاسلامية كما طبقت فى أيام الدعوة الاولى. ثم شيئا فشيئا وفى مواجهة وقائع القرن العشرين العالمية والمحلية تنقسم هذه التيارات إلى جناح «متطرف» يتولى التدمير والتخريب والاعتداء على الاقباط وممتلكاتهم، وجناح «معتدل» لا يملك من الأمر شيئا سوف الاسف على مايجرى فى أفضل الاحوال. ولذلك فلا شك فى أن المسئولية الاولى والمباشرة فيما يحدث عادة- وماحدث فى أبو قرقاص والمنيا- يقع على أكتاف تيار الاسلام المتطرف ورموزه من تنظيمات وأفراد.

لكن هذا غير كاف فى فهم الأمور فالحقيقة أن النظام الحاكم فى مصر اليوم مسئول هو أيضا عما يحدث، ولانعنى بذلك المسئولية الامنية فقط. وغنى عن البيان أن جهاز الدولة فى مصر قد تعود دائما على استخدام شعار «فرق تسد» كشعار مضمون النتائج لتحقيق سيادته. وفى الماضى غير البعيد استخدم شعار «الشراكسة ضد المصريين» أحيانا والاقباط ضد المسلمين أحيانا أخرى. ولذلك كثيرا مانجد أفراد فى مراكز مرموقة فى هذا الجهاز متواطئين مع الجماعات الدينية المتطرفة خصوصا فى الاقاليم النائية عن العاصمة أو التى توجد بها كثافة سكانية قبطية. وحقيقة عزل مأمور أبو قرقاص، ثم مدير أمن المنيا ثم محافظ المنيا ذاته يشير إلى هذا، فلا يمكن فهم بعض ماجرى هناك إلا على أساس قدر من التواطؤ الصامت لبعض الاجهزة المحلية.

لكن ثمة مسئولية أيضا على أجهزة الاعلام والتعليم المسؤلة عنها الدولة. تلك قصة يطول شرحها. لكن يكفى فى هذه العجالة أن نشير إلى إساءات الشيخ متولى الشعراوى فى أحاديثة التليفزيونية لعقائد الاقباط الدينية ونبهنا إلى ذلك كثيرا فى الماضى. ولكن لاحياة لمن تنادى، فمايزال الشيخ هو النجم التليفزيونى للاحاديث الدينية بكلامه عن الجن والحسد وتهجمه المعروف على أحد رموزنا الوطنية التاريخية، الزعيم جمال عبد الناصر، مع أن الشيخ كان من الممالئين للسادات والمدافعين عن كامب دافيد!

أما التعليم فثمة أمثلة كثيرة على مايمكن أن نسميه «هوسا دينيا» فى مناهج المحفوظات واللغة والدين وإساءات من جانب بعض المدرسين والمدرسات للتلاميذ الاقباط فى بعض المدارس. ولماذا لانقول صراحة إن شبح التزمت الدينى والفتنة الطائفية يخيم على الكثير من مدارسنا- خصوصا فى الريف- وأن تزمت المناهج والعديد من المدرسين المنضمين إلى تيارات الاسلام السياسى قد تكفلوا بخلق هذا الجو البغيض المشحون بالتوتر. وليست هناك أيه عناية با لاهتمام فى مناهجنا لموضوعات دعم الوحدة الوطنية.

والفتن الطائفية تزدهر عادة فى مناخ وطنى معين، هو مناخ أزمة الديمقراطية السياسية التى تبقى بلا حل حيث تتحول نصوص الدستور إلى نصوص أمنية لاعلاقة لها بما يجرى فى الشارع المصرى، وهو مناخ الازمة الاقتصادية والمالية الحادة حيث يعاد توزيع الثروة القومية والدخل القومى لصالح الاجانب وأغنياء البلاد وعلى حساب الافقار المتصل لجماهير الكادحين والمهنيين، وحيث



ليس صحيحًا أن علاقات المسلمين والأقباط كانت دائمًا سمن على عسل!

تشتد البطالة وتتسع فى أوساط الجماهير الشعبية. كما تزدهر الفتن فى مناخ الاحباط الوطنى، فليس بالصدفة أن الفتن الطائفية قد برزت الى السطح بعد هزيمة الثورة العرابية فى أواخر القرن التاسع عشر وبعد هزيمة يوليو وتصفيتها فى السبعينات. ولقد استغلت المنافسات بين البوجوازيات المحلية جو الاحباط هذا، وانهيار مستوى معيشة الجماهير الشعبية، واتساع البطالة لحرف الانظار عن العدو الحقيقى لتلك الجماهير والفئات الطفيلية والبيروقراطية المتحالفة مع الاجانب) إلى عدو وهمى (الاقباط) لكى تتخذ منهم كبش نداء فى ماهم فيه من بؤس وشقاء.

ولذا فالنظام الحاكم فى مصر اليوم، بقدر مايتحمل مسئولية فى أزمة الديمقراطية وقانون الطوراىء، وفى الازمة الاقتصادية والغلاء البشع وتدهور مستويات معيشة الجماهير، فإنه يتحمل مسئولية فى وقوع هذه الفتن التى يفرزها مناخ مادى وفكرى معين. وإلى أن يبدأ المسئولون عن حكم مصر فى وضع حد حقيقى لهذا المناخ، مناخ الازمة الاقتصادية وجنون الاسعار، مناخ بيع القطاع العام للاجانب والطفيليين، مناخ الاحباط الوطنى والضلال الاعلامى... إلى أن يحدث هذا فإن من المرجح أن يكون الهدوء الحالى ليس غير هدنة مؤقته لا لتقاط الانفاس تعقبها انفجارات طائفية أخرى.

وعندئذ ستدرك الحكومة- ربما متأخرا- أن الاجراءات الامنية وحدها لاتكفى وأن مواعظ الوحدةالوطنية فى أجهزة الاعلام واجتماعات رجال الدين ليست لها فعالية كبيرة، وأن اجتثاث هذا السم الذى يسرى فى أنسجة الوطن إنما يحتاج أولا لمواجهة صحيحة لقضية الديمقراطية، لقضية التنمية المستقلة، ولقضية العدل الاجتماعى.

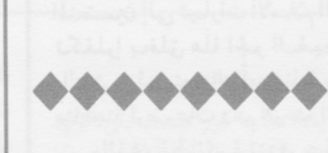
د. عبد العظيم أنيس

لماذا يتردد التجمعيون والناصريون والشيوعيون في بناء التحالف اليسارى؟

طرح الدكتور فؤاد مرسى فى العدد الأول من مجلة اليسار قضية البديل الوطنى الديمقراطى لانقاذ مصر من براثن التبعية والطفيلية والفساد وحكم الارهاب، انطلاقا من حاجة البلاد إلى قيادة وطنية جديدة تنهض بهذه المهمة، وأن انضاج هذا البديل يتطلب أن تأخذ قوى اليسار المصرى على عاتقها مسئولية بناء التحالف الاشتراكى، باعتباره العمود الفقرى الذى لايمكن بدونه أن تتماسك الجبهة الوطنية الديمقراطية المنشودة وأن تعمل بصلابه.

ويدعو الدكتور فؤاد مرسى قوى اليسار المصرى أن تأخذ على عاتقها مسئولية بناء التحالف الاشتراكى الذى يقوم الان تعبيرا عن نضج القوى الاشتراكية المصرية على اختلاف منطلقاتها، وادراكها لضرورة توحيد صفوفها ومواقفها وقدرتها على اجراء الحوار المثمر فيمابينها.

والحقيقة أن مايدعو اليه الدكتور فؤاد مرسى أمر بالغ الأهمية خاصة فى ظروف تفاقم أزمة الحكم بينما قوى المعارضة سواء منها الشرعية أو المحجوبة عن الشرعية مشتتته وعاجزة عن ايجاد البديل. وبالرغم من اقتناعى بأن قيام التحالف الاشتراكى شرط أساسى لانتقال المعارضة الوطنية التقدمية إلى مستوى القدرة على المواجهة الفعالة والضغط على الحكم لتخفيف اعباء الازمة الاقتصادية والاجتماعية على الطبقات الكادحة وانتزاع المزيد من الحقوق والحريات الديمقراطية كخطوة أولى تفتح الباب أمام



التجمع تأثر سلبا بالظروف العامة

امكانية تولى الحكم، الا أننى اعتقد أن الحديث عن نضج القوى الاشتراكية المصرية وادراكها لضرورة توحيد صفوفها ومواقفها وقدرتها على اجراء الحوار المثمر فيما بينها ممايدخل فى باب الأمانى أكثر منه تعبيرا عن الواقع الفعلى لهذه القوى.

والسؤال الذى يطرح هذه القضية ويجدر بنا أن نناقشة هو :

لماذا لم تتحقق حتى الآن نتائج ملموسة فى بناء التحالف الاشتراكى بالرغم من أنه موضع اتفاق أطراف يسارية متعددة ؟ فقد دعا حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى الى اقامة هذا التحالف منذ أكثر من سنتين وعلى وجه التحديد فى اكتوبر ١٩٨٧، واقترح على «الحزب الاشتراكى العربى الناصرى» و«الحزب الشيوعى المصرى المشاركة فى تأسيسه، وعقدت بالفعل عديد من الاجتماعات بين الأطراف الثلاثة لمناقشته وطرحت افكار وتم تداول أوراق واقترحت مهام مشتركة ولم يسفر ذلك كله عن نتائج ملموسة . ويدرك كل من تابع هذه العملية فى العام الأخير أن التردد يحكم مواقف الأطراف، وأن الجميع لم يضع مسألة التحالف فى أولوياته النضالية عمليا.

وفى بحثنا عن الأسباب الجوهرية لهذا التردد وعدم النجاح فى بناء التحالف الاشتراكى حتى الآن فاننا نظلم القوى الاشتراكية المصرية كثيرا اذا أرجعنا ذلك الى أوضاعها الذاتية فقط، لأنه توجد فى الحقيقة مجموعة متنوعة من الاسباب، فهناك أولا

أسباب موضوعية تتعلق بالاطار العام السياسى والقانونى الذى يحكم الحركة السياسية المعاصرة فى مصر، وهناك ثانيا بصفة تلك أسباب ذاتية تتعلق بالاوضاع الجماهيرية ومدى تبلور القوى الاشتراكية كقوى جماهيرية واتضاح هويتها للجماهير وكذلك أوضاعها الداخلية، وهناك أخيرا اسباب تتعلق بالاسلوب الذى انتهجته الاطراف الثلاثة فى سعيها لتأسيس التحالف.

المناخ السياسى المحيط

يشكل الاطار السياسى والقانونى الحالى فى مصر قيدا على نمو الحياة الحزبية وتطور القوى السياسية، وتعانى القوى الاشتراكية بالذات أشد العنت من هذا المناخ السياسى المحيط. وهناك كثير من العوامل التى تشكل هذا الوضع:

* حالة الطوارئ المعلنة بصفة دائما وترسانة القوانين المقيدة للحريات التى تستخدم ضد الخصوم السياسيين لدى أول بادرة لتحركهم مع الجماهير، وقد شهدت الفترة الأخيرة توسعا مبالغا فيه فى اللجوء الى قرارات الاعتقال لقمع الحركة الجماهيرية، وشملت القرارات قيادات نقابية وحزبية وطلابية كما شملت قيادات طبيعية تصدت تلقائيا للدفاع عن المواطنين ضد اجراءات تعسفية اتخذتها الحكومة أو قوات الأمن ضدهم. * قانون تنظيم الأحزاب السياسية الذى يعطى للحزب الحاكم حق الموافقة أو الاعتراض على قيام أحزاب جديدة مما حرم كافة أقسام اليسار ماعدا التجمع من التواجد العلنى فى اطار الشرعية، وأدى الى حياة حزبية مشوهة لاتساعد على التطور الطبيعى للحركة السياسية بصفة عامة وقوى التقدم بصفة خاصة، ويعانى من هذا الوضع الناصريون والشيوعيون.

* التدخل الفظ فى الاوضاع الداخلية للنقابات العمالية والمهنية والتنظيمات التعاونية ومراكز الشباب ودور الثقافة، وحرمان المواطنين من حق انشاء الجمعيات الأهلية بدون موافقة أجهزة الأمن الجنائى والسياسى مما يحول دون تطور الحركة الجماهيرية الديمقراطية، ويحد من اتجاه المواطن المصرى الى المشاركة فى العمل العام الثقافى والاجتماعى والشبابى والنقابى والتعاونى.

* اجراء الانتخابات العامة والمحلية من خلال قوانين شاذه وفى ظل حالة الطوارئ وبدون ضمانات حقيقية تكفل نزاهة العملية الانتخابية الأمر الذى حرم اليسار من التمثيل فى مجلس الشعب منذ عام ١٩٧٩ وفى المجالس المحلية أيضا، وأبطل عمليا جوهر الممارسة الديمقراطية وهو امكانية تداول السلطة من خلال الانتخابات.

* التعتيم الاعلامى على حركة القوى المعارضة، واستخدام وسائل الاعلام ذات النفوذ الجماهيرى (الاذاعة والتليفزيون والصحافة القومية) للتشويه عليها، والتشهير بها والحط من شأنها. وشن حملات مكثفة عليها فى اوقات اشتداد الأزمة الاقتصادية والسياسية.

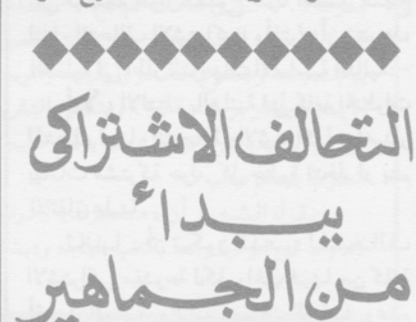
ونتيجة لهذه الاوضاع مجتمعة فان قوى اليسار المصرى حرمت من ان تقيم صلة منتظمة مع جماهير الشعب المصرى يستوى فى ذلك حزب التجمع أو الشيوعيون والناصريون المحجوبون عن الشرعية، كما حرمت هذه القوى من النمو فى ظروف طبيعية، وكان لهذا آثاره السلبية الضارة التى انعكست على الاوضاع الذاتية للجماهير ولقوى اليسار المصرى.

الأولوية للبناء والتمايز

أدى حرمان القوى الاشتراكية من التواجد بحرية فى صفوف الجماهير إلى اوضاع ذاتية سلبية بالنسبة للحركة الجماهيرية و بالنسبة للقوى الاشتراكية نفسها.

* فنحن نلاحظ أنه بالرغم من كل الجهود التى بذلت والتضحيات التى قدمت على امتداد سنوات طويلة فاننا لانستطيع القول

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆



بانه توجد فى مصر حاليا حركة جماهيرية منظمة مستقلة .. صحيح هناك اتجاه نحو التنظيم المستقل، وهناك بالفعل حركة ذات طابع نضالى ولكنها تتسم بالعفوية أساسا، ومازالت الأحداث الجماهيرية الكبرى تتم من خلال الانتفاضات التلقائية لأسباب مباشرة وليس تحت قيادة سياسية. ولهذا فانها سرعان ماتخمد بمجرد الاستجابة لها وتلاشى هذه الاسباب المباشره.

من هنا فاننا لانبالغ اذا قلنا أنه لايوجد ضغط جماهيرى من اجل تطوير الحركة السياسية، ولايوجد رأى عام ضاغط من آجل توسيع نطاق التعاون بين القوى التقدمية فى اتجاه بناء التحالف الاشتراكى، ولاتوجد تنظيمات جماهيرية يمكن أن تشارك فى هذه العملية، فيلس متصورا أن الجبهة الوطنية الديمقراطية أو التحالف الاشتراكى سيقتصر ان على القوى السياسية فقط، بل ان التنظيمات الجماهيرية تشكل ركيزه أساسية فى بنائها وفاعليتها، باختصار ان الاوضاع الجماهيرية القائمة تمثل نقطة ضعف فى عملية دعم التنسيق والتعاون بين القوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية، وفى اعتقادى أنه لايمكن الشروع بجدية فى مثل هذه العملية فى غياب حركة جماهيرية نشطه

وكما قال الدكتور فؤاد مرسى بحق فان حركة الجماهير مازالت دون المستوى الضرورى للتغير واننا ندرك تماما شدة وطأة الاوضاع الاقتصادية والسياسية التى تكبل حركة الجماهير، غير أنه يجب ان تدرك الجماهير أيضا ضرورة أن تتحرك بسرعة لوقف التردى المتسارع الخطى فى كافة اوضاع البلاد.

* وفى غيبة الحركة الجماهيرية المنظمة الضاغطة بالاضافة الى المناخ السياسى المعاكس لنمو القوى السياسية وتطورها الطبيعى فان الناصرين والشيوعيين مازالوا فى مرحلة التكوين، وهم فى أحسن الاحوال مجرد مشروع حزب سياسى أكثرر منه قوة سياسية جماهيرية حقيقية. ان حرمانهم من حق ممارسة النشاط السياسى العلنى وملاحقتهم والتضيق عليهم يحول دون اتصالهم المنتظم بالجماهير، ويحول دون اتضاح هويتهم للجماهير، ويحول دون بلورة برنامجهم السياسى، من هنا فان الجماهير تسمع عنهم أكثر مما تلتقى بهم ومن هنا أيضا فان أولوياتهم العملية مازالت محصورة أساسا فى مهام التكوين والتبلور كقوى سياسية جماهيرية، وكذلك فى تأكيد التمايز بينهم وبين باقى اقسام الحركة الاشتراكية أكثر من

ضعف الرأى العام وعدم وجود حركة جماهيرية مستقلة وراء تقلص الضغوط الجماهيرية

تتضح للقوى السياسية الأخرى ولجماهير الطبقات الكادحة الفروق التى تميزهم عن الناصريين وعن حزب التجمع، وكذلك يفعل الناصريون، بل هناك مجموعات داخل كل تيار تسعى للتمايز عن غيرها من الجماعات بسبب اختلاف تقييمهم للاوضاع السياسية الراهنة وأولويات النضال السياسى .

ويهمنى ان اوضح هنا أن ما اتحدث عنه هو السمة الاساسية لهذه المرحلة وأنه لاينفى أن هناك تنسيقا يتم وتعاونا تمارسه كافة الاطراف ولكنه لايكفى ولايمثل أولوية عملية دائمة، كذلك فاننى لا استبعد التجمع من التأثر سلبا بالظروف القائمة ولكنه تخطى مرحلة التكون واتضاح الهوية وبلور برنامجه السياسى العام وبرامجه المطلبية فضلا عن أن مبدأه الاساسى هو وحدة القوى الوطنية التقدمية الوحدوية وليس التمايز بينها.

المهم أن النتيجة العملية لهذا كله أن القوى الاشتراكية ليست مستعدة بعد لاعطاء الأولوية للتعاون المنتظم والتنسيق فيما بينها وانها مترددة فى التوجه بحسم لبناء التحالف.

بناء التحالف يبدأ من الجماهير

واذا كان المناخ السياسى وأوضاع الحركة الجماهيرية والظروف الذاتية للقوى الاشتراكية قد لعبت دورا سلبيا ومعاكسا فى بناء التحالف الاشتراكى، فان الاسلوب الذى انتهجته الاطراف المشاركة فى هذه العملية ساعد أيضا فى الوصول الى هذه النتيجة المؤسفة. حيث اكتفت بلقاءات بين ممثلى القيادات المركزية فى حجرات مغلقة ناقشت خلالها كثيرا من القضايا المتعلقة باسباب الدعوة الى التحالف وضرورته وبرنامجه المشترك وأساليب العمل.. الخ بمعزل عن قواعدها الحزبية وبمعزل عن الحركة الجماهيرية أى بمعزل عن القوة الاساسية المدعوة لانجاز هذه العملية، وأيا كان المبرر لهذا الاسلوب فان نتيجته الطبيعية أن بناء التحالف ظل مسألة مبهمة وغامضة بالنسبة للجماهير وللقوى السياسية الاخرى خاصة وأنه لم يكن واضحا أنه مفتوح ليس فقط للاطراف الثلاثة بل أيضا لكل اقسام اليسار المصرى الراغبة فى المشاركة و للشخصيات العامة التى لم ترتبط بتنظيمات سياسية. ونتيجة لهذا الغموض مثلا فان بعض اقسام اليسار المصرى اعتبرت الدعوة الى التحالف الاشتراكى محاولة لقطع الطريق على تأسيس جبهة اليسار المصرى.

الخلاصة أن بناء التحالف الاشتراكى تعثر لأسباب متنوعة لكنها تلتقى فى انها تنبع جميعا من تغييب الجماهير عن هذه العملية.

من هنا فان النجاح فى انجاز التحالف يتطلب البدء أولا من الجماهير باعتبارها القاعدة الأساسية لأى نضال سياسى تقدمى، وباعتبارها قوة الضغط الرئيسية التى تستطيع أن تحسم تردد القوى الاشتراكية، وأن تعدل أولوياتها فى اتجاه التعاون والتنسيق بدلا من التركيز على التمايز وقضايا الخلاف، وأن تساعد ذلك عندما تسهم فى انضاج الحركة الاشتراكية وتحولها الى قوة جماهيرية واجتياز بعض أقسامها مرحلة التكوين وتأكيد الذات من خلال ابراز أوجه التمايز.

وفى هذا الصدد فاننى ادعو مجلة اليسار الى تنظيم حوار مفتوح حول أفضل منهج لبناء التحالف الاشتراكى، وأقترح أن تتم هذه العملية فى اطار التوجهات الأساسية التالية:-

أولاً : الالتزام بالعلنية فى كافة الخطوات المتخذه لبناء التحالف الاشتراكى، واصدار بيانات مشتركة حول كل خطوة تتخذ أو يتم الاتفاق عليها.

ثانيا : أن تكون الدعوه للتحالف الاشتراكى مفتوحة لكل راغب فيها من كافة أقسام اليسار والشخصيات العامة وعدم قصرها على تنظيمات معينها فالفيصل فى هذا هو الرغبة الجادة فى المشاركة ولايمكن أن ينضج التحالف الاشتراكى أو يعبر عن اليسار المصرى فى مجلة اذا قام من البداية على استبعاد بعض أقسامه .

ثالثا: اشراك الجماهير والقواعد الحزبية فى التفكير حول كيفية بناء التحالف الاشتراكى ، ودعوتها للمشاركة فى المهام التى يتفق عليها. وأن يكون هناك دور للمستويات الحزبية الاقليمية والقاعدية فى هذه العملية

رابعاً : البدء أولا ولفترة مناسبة بمهام محدوده يتم التنسيق حولها، ويكون النجاح فى انجازها أساسا لدعم الثقة بين مختلف الأطراف، وللتقدم نحو بناء هياكل ثابتة للتحالف وصياغة برنامج نضالى مشترك وبلورة أساليب حركة التحالف.

خامسا : أن تكون الأولوية فى حركة التحالف للنضال الديمقراطى الذى يفتح الباب أمام قيام الطبقات الكادحة بدور متزايد فى الحياة السياسية ، ويزيد فاعلية نضالها النقابى والاجتماعى كما تعطى الأولوية للدفاع عن المكاسب الشعبية والمنجزات الثورية كالقطاع العام ومجانية الخدمات والاصلاح الزراعى ومشاركة العمال فى الادارة والارباح .. الخ

سادسا : أن تبذل جهود مشتركة مكثفة للتواجد الفعال فى المنظمات الجماهيرية ، واجتذاب الجماهير الى هذه التنظيمات لتصبح قوة حقيقية يحسب حسابها فى الصراع السياسى ويكون فى امكانها الضغط على الحكم لانتزاع حقوق الجماهير . ويتطلب هذا المشاركة فى انتخابات مجلس الشعب والمجالس المحلية والنقابات العمالية والمهنية والتنظيمات التعاونية وغيرها من المنظمات الجماهيرية بقوائم مشتركة لقوى اليسار.

أن جوهر هذه الاقتراحات هو أن عملية التحالف الاشتراكى ليست مسألة خاصة بالقيادات ولكنها عملية ذات طابع جماهيرى بالأساس ومن المهم أن ينبع جهدنا فى بناء التحالف من هذا الفهم وأن تكون العلنية والديمقراطية سبيلنا للتعبئة الجماهيرية الواسعة لدعم التحالف ، فبدون كسب جماهر الطبقات الكادحة وتوعيتها وتنظيمها لايمكن الحديث عن الانتقال بمصر الى مرحلة أرقى فى تطورها الاقتصادى والاجتماعى والسياسى.

عبد الغفار شكر



تلاميذ زكى بدر يملأون أقسام الشرطة

ماذا وراء ظاهرة تعذيب المواطنين فى أقسام الشرطة؟

لا تصدق من يقولون لك أن زكى بدر كان - وحده - مشكله مصر

ولا تصدق من يزعمون أن الرجل الذى كان يتباهى بأنه فتوه، ويعتبر التعذيب فنا من فنون التحقيق ، قد انتهى باقالته!

صحيح أن جو التوتر الذى كان ينشره فى المجتمع، وخاصة فى العلاقة بين الحكم والمعارضه، قد خف كثيرا..

وصحيح أن كثيرين يشهدون لخليفته اللواء عبد الحليم موسى بأنه رجل قانون، لا يحب ان يتباهى بأنه فتوه ، أو أن يصفه أحد بهذه الصفة..

ولكن من الصحيح أيضاً أن زكى بدر كان مدرسة فى الاداره المصرية .. ومن الصحيح كذلك ، أن المشتغلين بالسياسة وبالعمل العام ، ليسوا وحدهم الذين يستحقون الغضب من أجلهم اذا أهدرت حقوقهم ، أو تعرضوا لمعاملى غير قانونيه..

ومدرسة زكى بدر ، مدرسة تحلل التعذيب، سواء كان للسياسيين أو للمشتبه فى ارتكابهم جرائم جنائيه..

وهى مدرسة تعتمد على أعراف وقواعد بل ونصوص قانونيه تدفع بعض ضباط الشرطة لإساءة معاملة المواطنين ، وهم بمنجى من العقاب!

وهذه المدرسة تحول شعار «الشرطة فى خدمة القانون » الى نكته..

والأدله التى لدينا كثيره .. وهذا بعضها

..اغتيال مواطن

مخلوف عبد العال شاب مصرى يقضى يومه بين العمل والمنزل، وعندما تتيسر ظروفه الماليه تكون المقهى مكانا للترفيه . وأثناء جلوسه عليها ألقى رئيس مباحث قسم الظاهر القبض عليه. وقضى مخلوف أربعة أيام فى التخشيبة تعرض فيها لتعذيب بشع، نقل على أثره الى المستشفى القبطى بين الحياة والموت حيث لفظ أنفاسه الأخيرة بعد ساعات معدودة من وصوله .

وأشارت شهادة الوفاة الرسمية ألى أن « .. الجثة بها إصابات متعددة وان الوفاة ناجمه عن نزيف دموى فى الدماغ »

وتصرخ الأم فى هستيريه:

ابنى تعرض لتعذيب بشع ادى الى فقء عينه وهتك عرضه وتحطيم عظامه.

ويشير تقرير الطب الشرعى الصادر بمعرفة د. « فخرى محمد صالح »- مساعد كبير الأطباء الشرعيين - الى وجود كسور بالجمجمة وضلوع الصدر والجبهة والرسغ الأيسر وأثار نزيف بالفم . وينتهى التقرير الى أن السبب فى الوفاة نزيف بالمخ نتيجة الضرب بجسم صلب .

ويقول الشهود أن «مخلوف» تعرض للضرب فى مؤخرة رأسه بكعب طبنجه ودبشك بندقية، والركل بالأحذية العسكرية الثقيلة فى صدره.

ضرب المشتبه فيهم فن من فنون التحقيق

زكى بدر

أمرت النيابة بحبس رئيس المباحث وأمين الشرطة على ذمة التحقيق وإحالة القضية للدائرة ٧ جنايات بمحكمة باب الخلق

أشكى لمين؟!

السيد فاروق عبد الحميد طالب بالمدرسة الصناعية فى مطروح، فُصل لغيابه أكثر من ٣٠ يوما. ذهب للنيابة لتقديم شكوى ضد ادارة المدرسة فحولته الى قسم شرطة مرس مطروح لقيد الشكوى. وتوجه الطالب إلى هناك ظهر ١٢ فبراير وفى الساعة الثالثه من نفس اليوم لفظ أنفاسه.

ويشير تقرير مفتش الصحة أن الجثة بها « جحوظ بالعينين وتجمع دموى سجحى حول الرقبة وأسفل الفك مع وجود احتقان بالرجه والأذنين وكدمه باسفل العين اليسرى أعلى الخد الأيسر»

تدعى الشرطة ان الطالب قبض عليه للتحرى وشنق نفسه بعد ايداعه بالحجز !!!

اعترف و إلا

الملفت للنظر أن البعض من ضباط الشرطة يتعمدون توقيع الأكراه البدنى على المشتبه فيهم عند التحقيق معهم بهدف الحصول على اعتراف سريع منهم بارتكابهم لهذه الجرائم سواء كان ذلك صدقا أو كذبا . وبالرغم من أن تعذيب المتهم مؤثم قانونا وفقا للمادة ١٢٦ عقوبات ، الا أن التعذيب لايزال مستمرا فى أقسام الشرطة.

بل ان وزير الداخلية السابق « زكى بدر» اعتبر مثل هذه الأنتهاكات» فنا من فنون التحقيق ومنهجا يجب الأخذ به عند التحقيق مع المتهمين»، كما جاء بالنص فى تصريحه لمجلة «أكتوبر» عقب صدور حكم البراء لصالح الضباط المتهمين بالتعذيب . وبالرغم من أن « زكى بدر» قد أقيل من الوزارة ألا أن تلاميذه فى أقسام الشرطة لا يزالون يعملون وفق مفهومه.

ففى شهر فبراير من هذا العام - ١٩٩٠ - وبعد أن تولى اللواء عبد الحليم موسى منصبه. وبالتحديد فى قسم شرطة كوم حماده ، قام ضابطان وبعض المخبرين بتعذيب سائق سيارة الأجرة «حمدى النزيلى»، الذى أقتيد الى القسم حيث تم تكتيفه بالحبال وضربه بالفلقة والكرابيج لمدة يومين ليعترف بجريمة سرقة ، ثم أكتشفت المباحث السارق الفعلى الذى اعترف وأرشد عن المسروقات.

فى التخشيبة

من أبرز الانتهاكات التى تشهدها أقسام الشرطة احتجاز المواطنين بدون وجه حق، ومع أن القانون لايجيز تقييد حرية المواطن الا بأذن من النيابة العامة - فيما عدا حالات التلبس، وحتى فى هذه الأخيره يجب عرضه على النيابه اذا امضى على احتجازه ٢٤ ساعة - ألا أن مسلسل الانتهاكات لايزال مستمرا. ومن أشهر هذه الانتهاكات هى حجز المواطن «سلام سيد محمد» الذى قضى بحجز مركز شرطة الخانكة ٧٢ يوما تعرض خلالها للتعذيب . وكان قد القى القبض عليه ضمن كثيرين قبض عليهم فى حملة عشوائية ، بعد أن عجزت مباحث القسم العثور على الجناه الذين سرقوا سوق خضار بالكامل تحت تهديد السلاح وبالرغم من توسلات أسرة سلام لرئيس المباحث من أجل الأفراج عنه ألا أنه رفض ذلك رفضا قاطعا فسارعت أسرة الشاب بتقديم بلاغ للنائب العام

وانتقلت النيابة للتحقيق فى البلاغ ، وطلبت من ضباط قسم الشرسة فتح باب الحجز لمعرفة ما اذا كان الشاب المذكور بداخله أم لا ، وهو ماقوبل بالرفض من الضباط تحت دعوى عدم وجود المفتاح

وفى هذه الأثناء قام ٦ من مخبرى قسم الشرطة بأختطاف الشاب من داخل التخشيبة الى أسطبل المركز ، ومنه الى عربة الشرطة التى أسرعت به بعيداً عن القسم وبعيدا عن أنظار النيابة، وأودع فى حجز قسم مدينة السلام ، وهناك قام الضباط بالواجب معه!! عقابا له على ابلاغ النيابه.

وقيدت ضد مجهول

ومن أبرز الأنتهاكات التى تتم فى أقسام الشرطة هى تلفيق القضايا للمشتبه فيهم. فمن المعروف أن هناك الكثير من الجرائم التى ترتكب فى نطاق قسم الشرطة تعجز المباحث عن القبض على مرتكبيها فيتم قيدها ضد مجهول فى دفاتر النيابه . ومثل هذه الجرائم تعطل ترقية ضباط القسم ومن ثم يصبح شغلهم الشاغل الحد من هذه الجرائم وعادة مايتم ذلك بتلفيقها للمشتبه فيهم.

ففى قسم شرطة الدقى تعرض «محمد فهمى» للتعذيب بهدف اجباره على الاعتراف بارتكابه لجريمة سرقة . ونتيجة للأكراه الواقع عليه اعترف بالسرقة الأمر الذى شجع ضباط القسم على تلفيق أغلب القضايا له والتى سبق وأن قيدت ضد مجهول فى فترات سابقة عن واقعة القبض عليه.

الطريف فى هذه القضية ان المتهم كان يعترف فى محضر الشرطة ثم يعود وينكر أمام النيابه، ثم يعترف عندما يعود مساء للقسم وينكر أمام النيابة صباحا وهكذا على مدار عشرين محضرا.

ان هذه التكرارية من اعتراف ثم انكار كانت نتيجة التعذيب الذى يتعرض له المتهم فى القسم عندما يعود إليه، الأمر الذى لفت نظر النيابه ، فناظرت المتهم وأثبتت مابه من اصابات وأثار تعذيب.

وبراه القضاء فى عدد من هذه القضايا التى لفقت له، وأهدرت اعترافاته.

أبرياء لكن فقراء

ومن ناحية أخرى لوحظ أن أغلب الأنتهاكات التى شهدتها أقسام الشرطة كانت فى مواجهة مواطنين فقراء، فمثل هؤلاء لاجاه لهم سلطان ولا يحميهم من البطش.

ففى «زفتى» يحقق المحامى العام الأول مع رئيس مباحث القسم لاحتجازه شابين وتعذيبهم بهدف الاعتراف بسرقتهم لكلب وولف!! من مخدومهم وهو من كبار القوم هناك.

وفى سوهاج - وبالتحديد فى احدى القرى الفقيرة فى الجنوب - شن ضباط مركز «أخميم» حملة تأديبة ضد أهالى قرية «عرب خور» عقابا لرفضهم التنازل لمقاول كبير، عن قطعة أرض كانت صحراوية وقاموا باستصلاحها بعد أن بذلوا فى سبيل ذلك الجهد والمال. ولم يكتف رئيس المباحث بهذه المجاملة الرقيقة للمقاول!!، فقام باحتجاز ٧ سيدات وجلدهن مما أدى الى اجهاض احداهن.

العقاب الجماعي

كما لوحظ على أغلب حملات العقاب الجماعي في الآونة الأخيرة بأنها بدأت بتعذيب مواطن حتى الموت بداخل القسم مما يثير سخط الأهالي فيثأرون من القسم وضباطه ثم يعقب ذلك قيام حملة ضخمة من الشرطة لتأديب أهالي الحي أو القرية بالكامل.

ففي احدى قرى «ميت غمر» - بالدقهلية - انتشرت مظاهرات صاخبه بعد ان شك المواطنون في قتل الشرطة لمواطن واصرار ضابط القسم على دفنه دون إذن النيابه، وعلى أثر ذلك قامت قوات ضخمه من الشرطة بغزو القرية والاعتداء على أعداد كبيرة من المواطنين دون تمييز.

وفي «سنورس» بالفيوم قام ضابط شرطة بتعذيب شقي حتى الموت في مركز الشرطة، فقام الأهالي بالاعتداء على المركز وتصدت الشرطة بعنف لهذه المظاهرات وقامت باقتحام المساكن وضرب السكان والأعتداء باشكال مختلفه على العديدين والقى القبض على ٦١ شخصا في هذه الأحداث.

أساليب التعذيب

والجدير بالذكر أن التعذيب الذي تعرض له المواطنون داخل أقسام الشرطة شهد تنوعاً شديدا في الأساليب والأدوات المستخدمة. ألا أن الفترة الماضية شهدت توسعا ملحوظا في استخدم السياط «الكرابيج» كوسيلة في الضرب والتعذيب وقد يندهش القارئ بأن الجلد لايزال يمارس و كأننا في عصور الجاهلية الأولى. ولكن الطامة الكبرى هي أن الجلد مباح قانونا وفقاً للقانون رقم ٣٩٦ الخاص بلائحة تنظيم السجون. ففي المادة (٤٣) الفقرة السابعة من القانون المذكور والخاصة بتحديد العقوبة التي يجوز توقيعها على المسجونين ، نصت على:

«... جلد المسجون بما لايزيد على ٣٦ جلدة، فأذا كان عمر المسجون اقل من سبع عشرة سنه استبدل بالجلد الضرب بعصا رفيعة بما لايجاوز عشر عصي».

والمثير أن استخدام « الكرابيج » في أقسام الشرطة لا يستند حتى على هذه القوانين البربرية ، لأن المقبوض عليهم في اقسام الشرطة لم يصدر بعد ضدهم حكم قضائي بالأدانه.

وفي هذا الصدد يقول «صابر فاخر» والذي احتجز بقسم بولاق الدكرور:

قانون الاجراءات القانونية يحرض ضباط الشرطة على تعذيب المواطنين!



-.. واقتادني الضباط وعلقت كالذبيحة مكبل اليدين من الخلف وجردت من ملابسي تماما وضربت بالكرابيج والعصي.

ويعد الضرب بأجسام صلبه من أبشع الأدوات التي تستخدم في التعذيب وأخطرها على الأطلاق . وتتخذ هذه الأجسام الصلبة أشكالا مختلفة منها العصي المكسية من أحد طرفيها بقطع من الحديد.

ان أستخدام هذه العصي وغيرها من الأجسام الصلبة تسبب ألاما شديدة لاتطاق قد تؤدي في بعض الحالات إلى الوفاة. وحدث هذا في حالة «ابراهيم محروس» والذي اتهمته مباحث نقطه شرطة «نوان- بشبين الكوم - بالسرقه وتوفى في النقطة نتيجه التعذيب.

وأرجع تقرير الطب الشرعي سبب الوفاة الى «كسور بالأضلاع وتهتك بالرئه اليسرى وتجمع نزفي جسيم نتيجه ضربة بجسم صلب» كما كانت وفاة « مخلوف حامد » بقسم الظاهر نتيجه لأستخدام نفس الأداه وفقا لما جاء بتقرير الطب الشرعي فان « السبب في الوفاة هو نزيف بالمخ نتيجة الضرب بجسم صلب».

ومن الأساليب المنتشرة في التعذيب تعليق المشتبه فيهم في أوضاع مختلفة في السقف وعلى الأبواب وأخف هذه الأشكال ضرراً هي التعليق كالذبيحة ولكن أخطرها على الأطلاق هو ماحدث مع سالم ابراهيم عندما احتجز في قسم مدينة نصر، ويشرح ماحدث له:

- قام صول مساعد وأمين شرطة بتعليقي بالتحميل على مفصل الكتفين على باب الحجز، وبعد أن تم تقييد يدي واستمر التعليق ٤٥ دقيقة مما جعلني اتوسل اليهم ضارعاً».

وبالاضافة لما سبق من أساليب فهناك الضرب بالأيدي والركل بالأحذية واللكمات وهي أمور منتشرة في أقسام الشرطة.

تفسير الظاهرة

من الصعب على أي محلل اعطاء تفسير لأنتشار ظاهرة انتهاكات اقسام الشرطة لحقوق الانسان بمعزل عن السياسة الأمنية في المجتمع ككل. فما يحدث في اقسام الشرطة هو ابن شرعي لهذه السياسة الأمنية.

وتعد هذه الظاهرة لصيقة بالدولة البوليسية. فهذه الدولة تتسم عادة بمصادرة الحقوق السياسية والأجتماعية والأقتصادية

فمن ناحية يتصف سلوكها بالتعسف تجاه الجماعات السياسية المعارضة لها ومن ناحية أخرى قمع أية مظاهرات احتجاجية للطبقات الشعبية التي تتعارض مصالحها مع مصالح القوى الأجتماعية التي تعبر عنها الدولة البوليسية.

ويأتي في هذا السياق انتشار ظاهرة التعذيب في السجون والمعتقلات ضد سجناء الرأي وقهر المواطنين العاديين في اقسام الشرطة والفقراء منهم على وجه الخصوص.

وبالاضافة لما سبق فهناك عوامل أخرى متفرعة من المجرى العام «السياسة الأمنية» تتضافر معاً لتكثف من أنتشار ظاهرة التعذيب في أقسام الشرطة :

فقد صدر القانون رقم ١٢١ سنة ١٩٥٦ بتعديل المادة (٦٣) من قانون الأجراءات الجنائية وبمقتضاه أصبح تحريك الدعوى العمومية ضد أي موظف أو مكلف بخدمة عامة من اختصاص النيابة العامة وبالتالي حرم القانون هذا الحق على المواطنين. لقد أعطى هذا القانون ضمنيا لرجال الشرطة حصانه تحميهم وتحول دون مسا ءلتهم مساءلة جادة وواقعية وخصوصا إن النيابة العامه كانت تتقاعس عادة إلا في الحالات الصارخة عن تقديم رجال الشرطة الى المحاكمة الجنائية أمام القضاء . هل شعار «الشرطة في خدمة القانون » شعار صحيح ويحمل مدلولاً حقيقيا أم أن الأجدى أن يتحول الى «الشرطة عدو القانون»؟؟

والاجابة متروكه للقارئ

هشام مبارك



أزمة البطالة والتعطل

لم تعد قضية البطالة فى مصر موضوعا تطرحه المعارضة السياسية المصرية فحسب، وإنما بات أحد الموضوعات المطروحة من قبل الحكومة وحزبها او الحزب الحاكم وحكومته، كيفما أراحت المسميات والمدلولات أصحابها. إن استمرار طرح الحكومة والحزب الوطنى لهذه القضية يعطى الدليل القاطع على أنها قضية إجتماعية لايمكن الاختلاف على وجودها وتفاقمها أو يترتب أو يتمخض عنها من نتائج اجتماعية وخيمه.

وبالرغم من ورودها فى الأدبيات السياسية للقوى الاجتماعية المختلفة الا أن اختلافات كبيرة تبرز بين تشخيص كل قوة لها، ثم بين الحلول المطروحه من كل منها. وهذا شيئ طبيعى، حيث أن لكل موقفها الاجتماعى الذى يحدده إنتماؤها الطبقى.

والذى يهمنا فى المقام الاول هو الاختلاف بين تناول الحكومة لقضية البطالة ثم تناول اليسار، وفى مقدمته حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى لها. فالتناولان يمثلان النقيضين المتباعدين ليس فقط فى بلورة الاسباب ثم الحلول وإنما فى المفاهيم الاساسية للبطالة والتشغيل وفرص العمل، كذلك .

فالذى يتتبع أجهزة الاعلام المرئيه والمسموعه ويستمع الى الحوارات التى يجريها رجال هذه الاجهزه مع رجالات الدولة حول قضية البطالة وتفاقمها ووسائل حلها، يستشف من مجمل الحوارات أن الحكومة تنظر الى التعطل على أساس أنه ذلك الانسان الذى لم يستطع أن ينشط إقتصاديا او أن يحقق لنفسه ولاسرته دخلا ثابتا . كما يمكن للمستمع أو المتفرج أن يستشف أن هذا النشاط الاقتصادى يمكنه أن يكون فى أى مجال ومن أى قطاع بغض النظر عن المكونات التعليمية أو التخصصية للانسان القائم به وسواء كان المجتمع فى حاجه الى هذا النشاط فى هذا القطاع أو أنه- أى المجتمع- يمكن أن يتقدم ويسير ويعيش بدونه.

فبالنسبة لجهاز الدولة أو الحكومة، يعرف المتعطل على أنه ذلك الانسان الذى بلغ سن العمل أو تخرج من مرحلة تعليمية ولم يستطع أن يحقق لنفسه دخلا ثابتا أو حتى متقطع.

أما بالنسبة لليساريين فان قضية البطالة تتنوع فى تعريفها.. فى المقدمه تأتى البطالة السافرة والتى تعنى أن الانسان قد وصل بالفعل الى سن العمل او أنهى مرحلة تعليمية منتهيه او كليهما ولم ينجح فى الحصول على فرصة عمل بالرغم من سعيه اليها.. ثم تأتى البطالة الموسميه.. ثم البطالة المستترة فى القطاع الحكومى وقطاع الخدمات غير الانتاجية .. ثم تلك البطالة المتفشية فى القطاع غير المنظم فبالاضافة الى فشل الانسان فى توفير دخل ثابت ومنتظم فان اليساريين يضيفون الى مفهوم البطالة أنها ظاهرة إجتماعية يعنى وجودها عدم الاستفادة من القدرات الانسانية الانتاجية للمواطن بحيث يصبح المجتمع غير قادر على محاصرة هدر الامكانيات البشرية وما يترتب على ذلك من إستمرار هدر الامكانيات المادية والاقتصادية.

يعتبر اليساريون الانسان إستثمارا بشريا، يضعون فيه- وخلال سنوات عمره المبكره- جل عنايتهم التربويه والتعليمية بحيث يستطيع المجتمع أن يحصل منه على أعلى ناتج انتاجى خلال سنوات عمله. كما يعتبرون قوه عمله قيمة تضيف الى الناتج الاجمالى القومى وتحصل منه على نصيب معقول من الدخل سواء كان ذلك فى شكل أجر أو مجموعة خدمات.

وهذا اختلاف جوهرى بين المفهومين. وهو اختلاف يبلوره الانتماء الاجتماعى.

حجم البطالة وتطوره

تتباين تقديرات حجم البطاله فى مصر، فيما بين تقديرات بحوث العماله بالعينة والتى يجريها الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء، وبين البيانات الواردة عن وزارة التخطيط الخاصة بفرص العمل المتحققه فى خطه التنمية، وبين بيانات إحصاء التعداد العام للسكان، الا أنها- أى الجهات الثلاث- تتفق على أن معدلات البطالة فى البلاد فرضت نفسها على الواقع الاجتماعى بدءا من الستينات فى البداية كانت بنسب وباعداد متواضعة ثم ارتفعت المعدلات ثم عادت الى الانخفاض ثم بدءا من العقد الثمانينى إستمرت فى الارتفاع ومن المتوقع أن يستمر تصاعدها طالما استمرت ذات السياسات الاقتصادية والاجتماعية للحكومات المصرية المتتالية والمتعاقبة.

وتجنبا للخوض فى التباين والتفاوت فى تقديرات كل جهه فأننا سنستند على البيانات التى جاءت فى مؤتمر الحزب الوطنى على إفتراض أن الحزب الحاكم طرح القضية بموضوعيه سعيا الى حل حزبى لها تتبناه حكومته.

فى عام ١٩٦٠ كان عدد المتعطلين فى مصر ١٧٥ الف متعطل بنسبة ٢٪.

فى عام ١٩٧٦ إرتفعت النسبة الى ٤٪

فى عام ١٩٨٦ إرتفعت النسبة الى ١٢٪

فى عام ١٩٨٩ إرتفعت مرة أخرى الى نسبة ١٧٫٨٪ اذ بلغ عدد المتعطلين ٢٫٩ مليون ذكر أن ٧٠٪ من العدد الكلى للمتعطلين من حاملى الشهادات الجامعية والمتوسطه. حيث أن فى نهاية كل عام دراسى يتخرج ٤٠٠ ألف طالب . من الجامعات تم تخريج ١٥٠ ألف حامل لشهادة جامعية ثم ٢٥٠ الف يتخرجون من المراحل التعليمية الصناعية والتجارية والزراعية.

بالنسبة لهذه البيانات، نعود ونذكر أن الارتفاع الذى طرأ على نسبة ال ٢٪ فى عام ١٩٦٠ وجعلها ٤٪ عام ١٩٧٦ يعتبر طفيفا بالمقارنة بالقفزات التى لحقت بالنسبة الواردة فى سنوات ١٩٨٦ و ١٩٨٩.

يعود ذلك فى المقام الاول الى عدة عوامل نلخصها فى أن عام ١٩٧٦ جاء كعام وسط خلال فترة الانتعاش الطويل - ١٩٧٣- ١٩٨١- وهى الفترة المسماه بقمه الطفره البترولية والتى شهدت حركة هجرة العمالة المصرية الى بلدان منابع النفط مقابل تدفقات دولارية الى مصر بالاضافة الى الدخول الدولاريه المضافه من مرور السفن فى قناة السويس والسياحه والبترول المصرى والمساعدات العربية المقدمه الى مصر عقب إنتهاء حرب ١٩٧٣ مباشرة.

شهدت مصر نموا فى الدخل القوى قدرت نسبته ب ٩٫٣٪ خلال الفترة ٧٣. ١٩٨١ انعكس هذا النمو فى الدخل القومى على قطاع التشييد والبناء فى العام الاول مما ادى الى نموه بمعدل ١٠٫٩٪ خلال الفترة و إمتصاصه ليد عامله إرتبطت موسمية عملها بموسميه نموه.

أدت كل هذه العوامل مجتمعة الى تراجع

او تأجيل ظهور مشكلة البطالة السافرة فى المجتمع المصرى، خاصة وأن الدولة إستمرت ملتزمة بتعيين الخريجين والمسرحين من الجيش حتى هده المرحلة.

ثم، وبعد أن تراجعت تلك الظروف الطارئه والمسببة للتدفق الدولارى وبعد أن إنكمشت سوق العمل العربية وبعد أن اتبعت الدولة سياسة انكماشيه تقضى برفع يدها عن قيادة التنمية.. فرضت البطالة وضعها الاجتماعى.. لذلك إستمرت الارتفاعات فى نسب البطالة عاما بعد عام فى وصلت الى نسبة ال ١٧٫٨٪ عام ١٩٨٩.

ثم وفى داخل هذه النسب بدأت ظواهر جزئية أخرى تفرض وضعها الاجتماعى.

فاذا ما ذكرت البيانات أن ٧٠٪ من عدد المتعطلين من حاملى الشهادات الجامعية والمتوسطة فإن هذه النسبة تنقسم الى جزئيات تشير الى أن ٤٦٪ من هذه النسبة من حاملى الشهادات العليا و٥٤٪ من حاملى الشهادات المتوسطة.

ثم تتقدم بيانات أخرى تشير الى التالى، ٤٥٪ من عدد حاملى الشهادات الجامعية من خريجى كليات الاداب و٣٠٪ من خريجى كليات العلوم والتربية و٢٠٪ من خريجى كليات التجارة.. و من العدد الكلى وهو ٩ر٢ مليون يوجد ٢٠ الف مهندس و٣٥ الف طبيب.

والجدير بالذكر أن مصادر عديدة تلقى ظلال الشك على هذا العدد الكلى ومكوناته النسبية. وتستند شكوكها الى أن الدولة وإن إستطاعت حصر المتعطلين من حاملى الشهادات الجامعية والمتوسطة، فأنه يصعب عليها حصر المتعطلين من غير وذلك لعجز الامكانيات الحكومية عن تسجيلهم أو حصرهم أو بقام البعض منهم بأعمال هامشية مؤقته تلقى بهم خارج أطر الحصر والتسجيل الدقيقين.

لذلك تعود وتشير هذه المصادر الى أن عدد المتعطلين فى مصر يفوق البيان المقدم الى مؤتمر الحزب الوطنى. ويأتى افتراض التفوق من غياب نسبة من غير حاملى الشهادات من ريفيين وسكان حضر فقير.

كما أن العديد من المصادر تلقى بشكوكها على تلك البيانات الخاصة بنمو الدخل القومى المصرى خلال فترة الانتعاش الطويلة ١٩٧٣- ١٩٨١- وهى فى الاساس شكوك إجتماعية وليست إحصائية.

فالدولة عندما تقدم الأرقام مجردة فأنها وفى واقع الامر تغفل أو تتعمد إغفال الاسباب الموضوعيه لازمة البطالة الحالية.

الأسباب الحقيقية

لقد زاد بالفعل النمو فى الدخل القومى. ولكن هل الارقام والنسب المقدمه تترجم الواقع أم أنها تتراجع عنه إخفاء لجريمة إجتماعية أرتكبت فى حق الشعب المصرى وقادت به الى تلك الازمات العامة التى يعانى منها الان؟

إن موارد النقد الاجنبى الأربعة «البترول- قناة السويس- تحويلات المصريين فى الخارج- السياحة» والتى سميت بالاربعة الكبار حققت تدفقا اضيف الى الدخل القومى طوال تلك الفترة.. فى بداياتها كان التدفق متواضعا ثم تصاعد.. مثلا فى عام ١٩٧٦ بلغ التدفق حوالى ٩٢٧٫٨ مليون جنيه ثم تصاعد الى أن وصل عام ١٩٨٢ الى ٤٢٧٥ مليون جنيه.. لقد شكل هذا التدفق حوالى ٢٠٪ من اجمالى الناتج القومى.

تلك هى الاحصائيات ،الا أن الدراس المدقق لهذه الفترة يسجل مجموعة من الحقائق التى يجب أن تطرح مع هذه البيانات.

أولا: لم تستثمر الدولة هذا التدفق الدولارى أو توجهه لزيادة الانتاج السلعى أو بناء قاعدة الاقتصاد الانتاجى فى البلاد.

وإنما بددت هذه التدفقات فى الاستهلاك الترفى.

ثانيا: أن هذه البيانات تغفل أن جزءا من هذه التدفقات ذهبت أو أهدرت على وجه التحديد عندما ترك العاملون فى منابع النفط فريسة لعمليات التهريب التى خلقها نظام الاستيراد بدون تحويل عمله.. ثم تركوا فريسه مرة أخرى لنهب شركات توظيف الاموال.

ثالثا: لقد تدهورت أوضاع قوه العمل المصرية نتيجه لفقدان التوازن الاقتصادى والاجتماعى بين القطاعات الاقتصادية المختلفة. فى الوقت الذى تراجعت فيه نسبة العاملين فى القطاعات السلعية إرتفعت نسبتهم فى قطاعات التجارة والخدمات غير الانتاجية وهى قطاعات إرتبطت إزدهاراتها باستمرار مرحلة الانتعاش الطويلة واستمرار إرتفاع أسعار النفط.

رابعا: أن الدولة كانت قد الغت سياسات التنمية الجزئية التى سارت عليها البلاد خلال العقد الستينى وأخذت بسياسة الانفتاح الاقتصادى التى تسيد قوانين السوق الحرة على ماعداها من قوانين وقواعد. فتحولت قوة العمل من كونها قيمة كما كان يقال فى الستينات الى سلعه فى السوق الاقتصادى ولم تعد تخضع لاى سياسة تخطيطيه فى التشغيل أو الاستخدام.

ولاشك أن السياسات التى سارت عليها الحكومات المتتالية لم يتضمن بعدا إجتماعيا فى إطاره. أو بتعبير اكثر دقه لم تتضمن بعدا اجتماعيا جماهيريا تسعى الى خدمته وتطويره مستخدمه كم الاحوال التى جاءت الى البلاد. أو المفروض أن تدخل البلاد. لذلك تحولت الازمات التى كانت قائمة طوال فترة الانتعاش الطويلة الى أزمات سافره تفرض نفسها على المسرح السياسى المصرى.. ومنها أزمة البطالة والتعطل.

واليوم وبدل أن تواجه الحكومة مشكلة البطالة بموضوعية تامه، لجأت الى الاستناد الى اسباب غير الاسباب الحقيقة والى حلول غير الحلول التى تساعد الشعب المصرى على مناطحة مشاكله وتخلفه الاقتصادى.

فهى تدعى على سبيل المثال كما يقول رجالاتهم أن الانفجار السكانى سبب رئيسى فى تفاقم مشكلة البطالة. كما تدعى أن على الشباب أن يخوض تجربة المشروع الخاص فى الصناعة والزراعة، وهى فى ذلك تتغافل عن عمد أن السبب الرئيس لتفاقم مشكلة البطالة وفرض وجودها كمشكلة إجتماعية تنبع فى الاساس من تخليها - أى الدولة- عن دورها فى قيادة التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة التى هى السبيل الوحيد لبناء قاعدة إقتصاد إنتاجى تولد فرص العمل والاستخدام وتقضى على التخلف الاقتصادى فى البلاد.

كما أنها وفى دعاياتها المستمرة عن المشروع الخاص تتغافل وعن عمد، أن البطالة كمشكلة اجتماعية تفرض نفسها على أبناء الطبقات غير المالكه لمدخرات قد توجه الى تلك المشاريع الخاصة التى تتشدق الحكومة بها. فالبطالة فى مصر لايمكن أن تمس ابناء الطبقات العليا حيث أن لهم ولعائلاتهم فرصه واسعة للعمل ولادارة مشاريعهم الخاصة. كما أنهم يملكون العلاقات الاجتماعية الكافية للعمل فى تلك المؤسسات الاقتصادية الخاصة التى تتوائم متطلباتها فى الاستخدام مع إمكانيات أبناء هذه الطبقة التعليمية . فهم الذين يملكون إمكانيه إتقان اللغات أو الالتحاق بالبرامج التدريبيه الحديثه والمكلفة والتى لايقوى على الاقتراب منها هؤلاء الخريجون المتعطلون من ابناء الطبقات الاخرى!!

إن أى سياسى لايمكنه أن يقلل من التأثيرات الاقتصادية السلبية لمشكلة البطالة فى المجتمع.. الا انه وفى ذات الوقت لايستطيع أن يتغافل تأثيراتها الاجتماعية الاكثر خطورة..

وهى تأثيرات تحتاج الى حديث آخر.

أمينة شفيق

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

سياسة التعليم ومحاصرة الفقراء

اذا حاولنا دراسه المشكلات التى تعانى منها فى مصر لن نجد دليلا أفضل من الوثائق الصادره عن التعليم الموقعه من وزير التعليم حيث ترصد هذه الوثائق العديد من المشكلات منها غياب الفلسفة التعليميه الواضحه، وتأخر النظام التعليمى عن مواجهة التغييرات، وجزئيه الاصلاحات، والاخلال بمبدأ تكافؤ الفرص فى التعليم، وغياب التخطيط التعليمى وتخلف المقرارات، وعدم توفر العدد الكافى من المبانى المدرسيه، الى جانب العديد من المشكلات الاخرى (فتحى سرور- استراتيجيه تطوير التعليم ١٩٨٧).

واذا كانت هذه هى بعض المشكلات التى تقرها الوزارة نفسها فالامر المنطقى هو ان تسير الوزاره فى طريق التغلب على تلك المشكلات، ولكننا نجد ان الاجراءات والتشريعات التى تصدرها الوزاره تعمل معظمها على تفاقم هذه المشكلات وليس احتوائها، ويوجد اصرار من الصفوة الحاكمه على ان المشكلات التى تعانى منها التعليم بل وكافة المجالات الاخرى هى مشكلة اقتصاديه فقط متجاهلين أن أى حل اقتصادى هو فى التحليل النهائى اختيار سياسى يعبر عن مصالح طبقات اجتماعيه بعينها. وهذه القائمه من المشكلات التى يذكرها وزير التعليم نفسه تدلل على ان المأزق الذى يواجهه التعليم فى مصر يبدو فى مظهره انه اقتصادى إلا انه فى جوهره اجتماعى وسياسى ذلك لأن الازمة الاقتصادية أو الازمة فى مجال التعليم ليست غير جزء من أزمة مجتمعية شامله بكل الابعاد الاجتماعية والسياسية والقومية واستمرار هذه الاوضاع فى التأزم هو انعكاس لمأزق التغيير السياسى واعادة توزيع السلطه بطريقه ديمقراطية فى المجتمع.

ذلك لان السلطه الحاكمة لاتقدر وحدها على تغيير الاوضاع كما ان الجماهير غير قادره على فرض أرادتها فى اللحظه الراهنه.

وهذا الوضع نتيجه لعوامل بنائيه بعضها خارجى والاخر داخلى العامل الاول متمثل فى عمليات الهيمنة التى تفرضها السوق الرأسمالية العالمية من خلال آليات عديده أهمها فخ الديون وضغوط صندوق النقد الدولى والحصار الذى تفرضه الولايات المتحدة الامريكيه على مصر مثل قرارها بتجميد المنحة لعامين تاليين وقدرها ٢٣٠ مليون دولار.

وهذه الضغوط وذلك الحصار بهدف مايسمى بتقليل الدعم ورفع يد الحكومه عن تمويل الخدمات للكادحين من الشعب ومن ثم توجيه الاقتصاد الى اقتصاد يعتمد على آليات السوق، ودعم القطاع الخاص فى القطاع الانتاجى بل والخدمى ايضا إذن الذى جعلنا نعانى من هذا المأزق هو نمط التنميه والتوجه الانفتاحى الذى تبنته داخليا الفئات الطفيليه، ولكن يرى الباحثون ان التنميه ذات التوجه الانفتاحى تعمل على تكريس تبعيه الاقتصاد المصرى للسوق الرأسمالى العالمى وهذا يترتب عليه تقييد للاداره المصرية فى المجالات السياسية بصفه خاصه وفى مجالات الاخرى عامه (العيسوى ١٩٨٧) وقد عبر عن هذا الرئيس مبارك فى احدى خطاباته قائلا من لايملك قوته لايملك قراره.

وهذا المأزق نتيجه الاختيار السياسى لسياسه الانفتاح بدلا من اتخاذ سياسات تعتمد على تعظيم الامكانات المتاحه فى الداخل وتحقيق قدر من التكامل مع الدول العربية وفى نفس الوقت تهدف الى تحقيق تنميه قوامها الاعتماد الجماعى على الذات. بدلا من الاعتماد على الاستثمارات والقروض الاجنبية وهى معظمها مشروطه ولاتحقق اغراض التنميه الحقيقيه فى الداخل.

والواقع العملى يشير الى فشل سياسة الانفتاح التى بدأت منذ اوائل السبعينيات وحتى نهاية الثمانينيات فالنتائج تشير الى تزايد الديون مع عجز فى السداد مع تضخم وانخفاض فى مستوى المعيشه وتزايد الفروق الطبقية وتشير احدى الصحف نقلا عن تقرير للجنه التموين بالحزب الوطنى الى ارتفاع الاسعار فى خلال السبع سنوات الماضيه مثل ارتفاع اسعار الحبوب والنشويات الطعام بنسبة ٤٥٩ ٪، واسعار الطعام بنسبة ٢٠٩ ٪، واسعار الفاكهه ٢٥٥ ٪، واسعار الالبان بنسبة ١٣٠ ٪، هذا فى الوقت الذى نجد الاجور لا تستطيع مواجهه هذه الزيادات.

ونظرا لان السياسه التعليمية ماهى إلا جزء من السياسه العامه وتخضع لايدلوجيه النخبه الحاكمة، تجدها تتجه الى التعامل مع أزمة التعليم عاى اعتبار أنها أزمة ماليه فقط ومن ثم اتجهت نحو تقليل الدعم الحكومى للتعليم على الرغم من اعترافهم بوجود العديد من المشكلات السابق ذكرها. هذا فى الوقت الذى يتم تجاهل ان غالبيه الشعب يعانى من انخفاض حاد فى مستوى معيشته نجد وزاره التعليم تسير مع نفس السياسه الاجتماعية ومع ايدلوجيه الانفتاح من خلال جعل التعليم لمن يقدر عليه ماديا مثل العلاج والاسكان ضاربين عرض الحائط بما نص عليه الدستور والوثائق الدوليه التى وقعت عليها مصر مثل مجانيه التعليم والنظر اليه باعتباره حقا لكل مواطن بغض النظر عن مستواه الاقتصادى وتعترف استراتيجيه تطوير التعليم التى اصدرها وزير التعليم الحالى بأن من المشكلات التى يعانى منها التعليم الاخلال بمبدأ تكافؤ الفرص فى التعليم الى جانب الدروس الخصوصيه الى جانب تقرير الوزاره لنظام المجموعات الدراسيه

مدفوعه الأجر مع ذلك نجد قرارا بانقاص مده التعليم الاساس ثمان سنوات فقط فى الوقت الذى نجد معظم الدول تميل الى زيادة عدد سنوات التعليم الالزامى والقضاء على الاميه، كما نجد قرارات عديده تصدر فى بداية العام الدراسى ٨٩ / ٩٠ تضيف عبئا ماليا جديدا على غالبيه الشعب الذى يعانى من انخفاض مستوى معيشته وتتناقض مع مبدأ المجانية لجميع مراحل التعليم الذى ينص عليه الدستور ونجد هذه القرارات تحاصر الطالب بان يدفع مبالغ معينه عند بدايه التحاقه، وقرارات اخرى تطالبه بدفع مبالغ أخرى أثناء تواجده بالمدرسه ثم عند تخرجه بل وينص على ان هذه الفئات الماليه لايجوز الاعفاء منها بل وتحصل دفعه واحده بل وينتهى التحصيل لبعضها فى موعد لايتجاوز شهرين من بدايه العام الدراسى مثل:

(قرار وزارى رقم ١٦٢ بتاريخ ٨٩/٧/٢٥، والنشره العامه رقم ٨/٣٢/ ٨٩ هذا بالاضافه الى اثمان طوابع التعليم التى يجب تلصق على كافه الاستمارات أو الطلبات للحصول على الشهادات والمستخرجات وطلبات التصديق على الشهادات وطلبات اثبات القيد بالمدرسه أو شهادات حسن السير والسلوك أو استخراج بطاقه شخصيه أو التجنيد مثل القرار الوزارى رقم ١٧٣ فى ٨/٧ ١٩٨٩) الى جانب وجوب دفع رسوم للتقدم لامتحانات الشهادات العامه (قرار برقم ١٦٢ فى ١٩٨٩/٧/٢٥) وفيما يلى بعض الفئات الماليه التى يجب على الطالب دفعها وفق القرارات السابق الاشاره اليها:

١- فى بدايه العام الدراسى على الطالب فى الصف الخامس الابتدائى دفع مبلغ ٨.٦٠ ج واولى اعدادى ١٣،٨٠ واولى ثانوى عام ٢٦ ج واولى تعليم فنى ١٩.٢٠ ج.

٢- يلصق طابع تعليم مقداره جنيه على كل الاستمارات وطلبات الحصول على الشهادات والمستخرجات التى تقدم الى وزاره التعليم والى المديريات أو الادارات التعليميه.

٣- بالنسبه لامتحان شهاده اتمام الدراسه الثانويه العامه يدفع الطالب:

-...٧ ج رسم امتحان عن كل مره من المدتين الاولى الثانيه.

-١٠٢ ج رسم امتحان عن المره الثالثه.

- ٢ ج عن المستوى الخاص.

- ٢ج عن كل اختبار للقدرات.

٤- عند تسلم الطالب الاستماره الداله على النجاح فى الشهادات العامه يحصل منه مايلى:



د. فتحى سرور

- لشهاده اتمام الدراسه بمرحله التعليم الاساسى ٧ ج.

- لشهاده اتمام الدراسه الثانويه العامه والفنيه ٩ج.

هذا فى الوقت الذى نجد مصروفات منظوره واخرى غير منظوره على ولى الامر ان يدفعها لابنه من ادوات وملابس المدرسه وانتهاء بالدروس الخصوصيه فى المنزل أو المسماه مجموعات دراسيه فى المدرسه وهنا يدفع الاسر التى تقع تحت خط الفقر الى عدم ارسال ابنائهم الى المدارس ويدخل الطفل فى الحلقه المفرغه اميه- فقر- عمل هامشى- تخلف- زياده سكانيه ثم تنفق الحكومه اموالا للدعايه ومكافحه مظاهر الانحراف والدعوه لزياده الانتاج ومكافحه الاميه، وتنظيم النسل والافراد عليهم الاستجابه لانها مسئوليتهم الفرديه وليست مسئوليه النخبه الحاكمه التى ادت سياساتها الى هذا الوضع (وفق منطق ومنهج السياسات الحاليه).

ونجد اجراءات اخرى تتوافق مع السياسه المعلنه تعمل تحت مظله فكره مؤداها:

ان عمليه ربط التعليم بخطط التنميه ضروره دون النظر الى وجود مشروعات تنمويه حقيقيه تستدعى توفر هذا الربط أو عدم توفره، مع عدم وجود حصر دقيق للنوعيات والاعداد التى يتطلبها السوق، ودون اعتبار ان هذه النظره قد تبدو حقا يراد بها باطل ذلك لاننا اذا جعلنا التعليم له وظيفه وحيده هى الوظيفه الاقتصاديه نكون قد اغفلنا الوظائف الاجتماعيه والاخلاقيه والسياسيه والنفسيه للتعليم.

كما اذا ربطنا التعليم باحتياجات التنميه فقط واذا تقلصت المشروعات التنمويه سوف يكون مصير المدارس هو الاغلاق مثلما حدث فى نهايه حكم محمد على وبعد وفاته.

كذلك نجد اتجاها آخر نحو تقليل الدعم الحكومى فى التعليم يتمثل فى الاتجاه نحو تقليص اعداد المقبولين فى التعليم العالى والجامعى وذلك من خلال وضع نسبه تصل الى ٣٠٪ من مجموع الطلاب الناجحين فى نهايه مرحله التعليم الاساسى يكون لهم الحق دون غيرهم فى الالتحاق بالتعليم الثانوى العام الموصل عملياً الى الجامعه أما بقيه الطلاب فأمامهم التعليم الفنى فى الوقت الذى يعانى فيه خريجو التعليم الفنى من البطاله والمعروض منهم اكبر من احتياجات السوق كما ان كفايتهم الانتاجيه منخفضه (دسوقى حسين ٨١).

واذا استمرت السياسه الحاليه فإنه من المتوقع وجود فائض من الخرجين فى خلال العشر سنوات القادمه يصل الى حوالى ٦٥.٦ ٪ من خريجى التعليم الصناعى، ٨٦.٢ من خريجى التعليم التجارى و ٩٩.١ من خريجى التعليم الزراعى (دلا ل يس ١٩٨٧).

ومع ذلك تنادى السياسه التعليميه الحاليه بتوجيه الطلاب نحو التعليم الفنى اعتقادا بان هذا يقلل الاعباء عن الدوله كما أن من ينادى بهذا التعليم يعلم انه لاولاد الآخرين والبديل فى هذه اللحظه وفى تلك الظروف سياسه اجتماعيه اخرى يقوم بالتخطيط لها مختلف القوى والاتجاهات السياسيه الممثله لغالبيه الشعب تقوم على الاعتماد الجماعى على الذات وتضع الفئات المحرومه فى قمه أولوياتها وتحرير البلاد من علاقات التبعيه ورقف العمل بآليات التطور الرأسمالى التابع وانتهاج سياسه قوامها العداله التوزيعيه فى الحقوق والواجبات.

مع التعامل مع التعليم باعتباره حقا وباعتباره استثمارا على المدى البعيد والمنوط به تحقيق الاجماع القيمى والأمن القومى والسلام الاجتماعى.

واذا كان البعض لايرى غضاضه فى دفع النفقات الباهظه فى شراء السلاح أو الآلات فعليه ان يفكر بهذه الطريقه بالنسبه لمن سوف يستعمل هذا السلاح ويستخدم تلك الآلات، ومايتطلبه من انفاق، أما عمليه تدبير المواد فهى ليست مسألة تعليميه ولاتعالج بمحاصره غير القادرين ودفعهم الى خارج اسوار المدارس نتيجه فقرهم الذى سببته السياسات المتتابعه منذ السبعينيات وحتى الآن.

د. طلعت عبد الحميد



القطاع العام يخسر مليار جنيه من المشروعات المشتركة

قررت لجنة الشركات المتعثرة فى نهاية شهر مارس الماضى ، ضرورة البدء فوراً فى تصفية أنصبة الشركات والهيئات والبنوك العامه فى المشروعات المشتركة، والتى تساهم فيها مع هيئات إستثمارية وشركات محلية خاصة وأجنبية.

حددت اللجنة ٢٦٠ مشروعاً مشتركاً للبيع، معظمها فى مجالات الصناعة والزراعة والتجارة والبناء والتشييد.

تخصص حصيلة البيع، والتى سيتم تحديدها بالقيمة الفعلية فى وقت البيع، لعمليات التطوير والتجديد فى الشركات العامة.

شكلت لجنة الشركات المتعثرة والتى يرأسها د. كمال الجنزورى وزير التخطيط عدة لجان عمل لمتابعة بيع كل مشروع ، وتحديد نظام البيع وكيفية السداد.

تأتى هذه القرارات استجابه لطلبات وتوصيات متكرره بتصفية أنصبة الهيئات والشركات العامه فى المشروعات المشتركة، كجزء أساسى من برنامج الحكومة التطوير القطاع، وبيع أجزاء منه سواء للأفراد أو القطاع الخاص.

وكانت الحكومة قد تعهدت فى المذكرة المقدمة للبنك الدولى فى نوفمبر ١٩٨٩، بطرح حصص القطاع العام فى المشروعات المشتركة للبيع بداية من يوليو ١٩٩٠ بحيث تصبح تلك المشروعات ملكية خاصة بالكامل.

كما تقدمت ١٣ شركة مشتركة بطلبات لوزارة التعاون الدولى ، تطلب تمويلها بقروض من هيئة المعونه الأمريكية لبيع أسهمها للعاملين فيها. وأكد د. أحمد عبد السلام وكيل أول الوزارة أن طلبات تلك الشركات ستخضع لدراسات تفصيلية، لبيان مدى قدراتها على الاستمرار من عدمه، وبناء على ذلك سيتم قبول منحها قروضا أو لا.

فى الوقت نفسه وافقت هيئة المعونة على تمويل شركة شويبس بمبلغ ١٣ مليون دولار، لبيع أنصبة الهيئات والبنوك العامة للعاملين فى الشركة. تمت الموافقة بعد تدخل مسئول كبير لدى هيئة المعونة ، وبضمان عثمان أحمد عثمان للشركة وذلك فى محاولة لانقاذ الشركة والتى تعد خسائرها ٥٠ مليون جنية

كما أوصت الجمعية العمومية للشركة العامة للبطاريات بطرح حصتها فى شركة «كلورايد» للبيع ، بعدما تعدت خسائر الشركة العامة للبطاريات فيها ٧ مليون جنية، بزيادة مليون جنية تقريبا عن حصتها فى رأسمال «كلورايد» جاء طلب البيع بعد أن حققت «كلورايد» أرباحا خلال العامين الآخرين وحددت الشركة العامه للبطاريات ثمن حصتها بحوالى عشرة ملايين جنية.

وجاءت نفس التوصية من شركة «ناروبين» تطلب تصفية حصتها بشركة«سيفكا» وتكرر نفس الطلب من بنوك القطاع العام المساهمة فى سيفكا بحوالى ٧٥٪ من رأس المال

خسائر مليار جنيه

وكانت الدعوة لوقف مساهمة القطاع العام فى المشروعات المشتركة وبصفة خاصة الخاسر منها، قد ترددت طوال السنوات الماضية،



من قوى عديدة فى مقدمتها «حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى» وهيئات حكومية مختلفة.

فقدمت وزارة الصناعة مذكرة فى يوليو ١٩٨٩، حول القطاع المشترك أوضحت فيها أن خسائر القطاع الصناعى بسبب مشاركته فى مشروعات استثمارية وصلت إلى مايقرب من ٤٠٠ مليون جنيه، بالإضافة الى ٦٣٠ مليون خسائر فى المشروعات المشتركة للقطاعات العامة الأخرى (زراعة - تشييد - مقاولات - تجاره) أى أن خسائر القطاع العام تعدت أكثر من مليار دولار . وقوبلت هذه المذكرة وقتها بنوع من الفتور والاهمال من جانب المسئولين، ولكن وزير الصناعة طلب عقد إجتماع عاجل لمناقشة أوضاع الشركات العامه المساهمة فى المشروعات المشتركة. وقال أن المستهدف فى خطة الوزارة خلال عامى ١٩٩٠و ١٩٩١ تصفية كافة حصص القطاع الصناعى فى تلك المشروعات. وأعطى الوزير صلاحيات لرؤساء الشركات باتخاذ كافة الاجراءات لبيع حصصها دون الرجوع لأى جهة. وقرر منع ندب أى متخصص للقطاع المشترك الا بموافقه منه وذلك بعد ما تبين أن ١٠٪ من كبار المهندسين والفنيين تركوا القطاع العام للعمل فى تلك الشركات

وقالت المذكرة التفصيلية لبرنامج البيع أن المشروعات المشتركة أنشئت بالأساس لأهداف سياسية، ولم توضع لها خطة محددة ومتابعة جيدة، مما تسبب فى خروجها عن المستهدف، فلم تقدم تكنولوجيا جديدة، ولم تقدم منتجات للتصدير، بل نافست القطاع العام نفسه فى السوق المحلى .. علاوة على أنها أوقفت إنتاج الشركات العامه المثيلة لانتاجها، الأمر الذى أدى كما يقول الوزير إلى توقف بعض المصانع ووصول بعضها لمرحلة الإفلاس.

ويقول مسئول كبير بوزارة الاقتصاد أن عددا كبيرا من المسئولين يصل إلى ٢٠٠ بين رئيس شركة ووكيل وازة ووزير سابق وحالى كانوا يشكلون قوة ضغط لعدم تصفية تلك المشروعات ، ذلك لأن معظمهم أعضاء مجلس إدارة أو رؤساء لتلك الشركات، بل بينهم رؤساء شركات عامه، يمثلون شركاتهم كأعضاء مجلس ادارة لهذه المشروعات المشتركة، ولهم العديد من البدلات والتى تصل إلى ٥٠٠ جنيه فى الجلسة الواحدة.

جلسة عاصفة

وفى فبراير الماضى عقدت لجنة الشركات المتعثرة إجتماعا حضره عدد من كبار المسئولين، ودار جدل عنيف حول تصفية المشروعات المشتركة، وتصدى للفكرة ٦ أعضاء فى مجلس الشعب هم فى نفس الوقت رؤساء وأعضاء منتدبون لشركات مشتركة.

وقال د. الجنزورى أن القطاع العام تحول بهذه المشروعات المشتركة ، « لتكيه» لمن يريد النهب، وقال أن السادات أقام المشروع الأول وترك الباب مفتوحاً دون أى تخطيط.. ولن نترك الباب بعد اليوم مفتوحاً وانسحب



تصفية حصص القطاع العام فى ٢٦٠ مشروعًا مشتركًا

١٣ مليون دولار من هيئة المعونة الأمريكية «لشويبس»



عثمان احمد عثمان

من الاجتماع رئيس شركة سيفكا وثلاثة آخرون

وطرح نبيل ابراهيم رئيس اتحاد البنوك فى الاجتماع اقتراحاً بإعداد تقرير حول مساهمات البنوك العامه فى المشروعات الشركة وكيفية التخلص منها.

وفى اجتماعه خلال منتصف شهر مارس الماضى ناقش مجلس الوزراء التقرير الذى أعده البنك المركزى واتحاد البنوك، حول خطة بيع حصة البنوك العامه بالمشروعات المشتركة.

تضمن التقرير عدة اجراءات أهمها أن يبدأ البيع للمشروعات الناجحة أولاً، والتى تحقق عائداً للمشترى، بما لايقل عن ١٧٪ سنوياً، وبزيادة ٧٥٪ عن عائد شهادات الاستثمار (١٦٫٢٥٪). وأكد التقرير على ضرورة وضع حوافز مجزية لجذب المستثمرين والأفراد والقطاع الخاص لشراء حصص البنوك العامه فى تلك المشروعات ،بأن تتوفر التسهيلات فى السداد، وأن تلغى أى مشاركة للقطاع العام فيها، حتى لا تخضع لأى جهاز رقابى، خاصة من جانب الجهاز المركزى للحاسبات، والذى تتاح له المراقبة إذا بلغت نسبة القطاع العام ٢٥٪.

وطالب التقرير بتخصيص نسبة من حصيلة السوق المصرفية الحرة، والمساعدات الأمريكية، والقروض الخارجية، لتمويل عمليات البيع، وذلك كمرحله إنتقالية لحين طرح حصص البنوك للبيع، وتوفير المشترين الجدد، أو طرح تلك الحصص للأكتتاب العام.

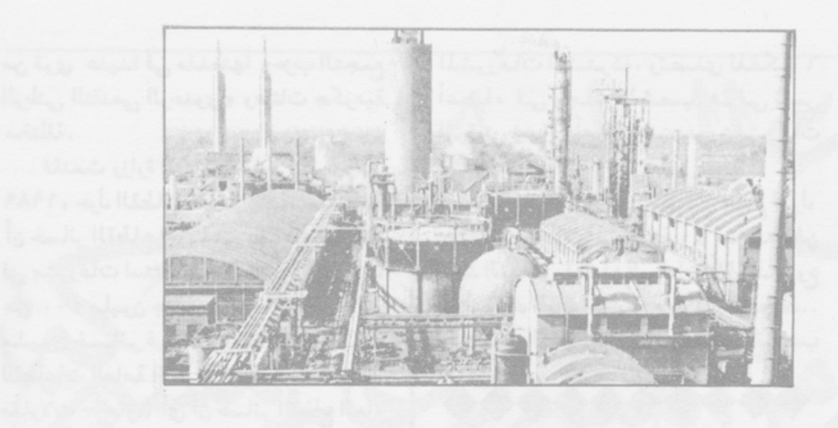
رحب جميع الوزراء والمسئولين بهذا التقرير، على أن تتم هذه الاجراءات فى إطار التصفية الشامله والكاملة لكافة مساهمات القطاع العام، فى تلك المشروعات، برر رئيس الوزراء ذلك بقوله أن هناك مشروعات تساهم فيها البنوك والشركات والهيئات معاً بجانب القطاع الخاص- وانسحاب البنوك وحدها لن يحل المشكلة بل سيعقدها بالنسبة للشركات التى تعانى أساساً من هذه المشاركة.

وانتهى النقاش إلى عرض التقرير على لجنة بحث أوضاع الشركات المتعثرة للبدء فى اتخاذ اجراءات البيع فى إطار التصفية لحصص القطاع العام بكافة المشروعات المشتركة.

المشروعات المشتركة ماذا فعلت؟

وقد أشارت عديد من الدراسات والتقارير الرسمية الى الدور الذى لعبته المشروعات المشتركة فى تعثر العديد من الشركات

انشاء المشروعات المشتركة: تم بقرار سياسى البيع يبدأ بالمشروعات الناجحة أولاً!



العامه، بالاضافة لتعثرها ذاتها، كما يتضح أنها لم تحقق إلا ١٪ فقط من الغرض المستهدف منه إنشاؤها.

ففى تقرير للجهاز المركزى للمحاسبات عن نشاط المشروعات الاستثمارية صدر فى ٣٠ يونيو ١٩٨٥، أن المشروعات الاستثمارية بمافيها المشروعات التى يساهم فيها القطاع العام فقدت القدرة على الوفاء بالتصدير، وركز القائمون عليها على المطالبة بحماية جمركية وحظر الاستيراد، دون أى إجراء عملى من جانبهم.

ويقول التقرير أن المشروعات التى تمت الموافقة عليها حتى تاريخ صدوره ١٣٤٢ مشروعاً، منها ٢٤٦ مشروعاً ساهم فيها القطاع العام بنسبة بين ٧٣٪ و ٢ر٢٥٪ حيث لعب القطاع العام دوراً فى تكون تلك الشركات. ويضيف التقرير أن القطاع العام ساهم بالنصيب الاكبر فى ٣٨ مشروعاً صناعياً بدأت الانتاج حتى ١٩٨٤/١٢/٣١، بنسبة ٤ر٣٧٪ من اجمالى رأسمال (٦ر٢٠١ مليون جنيه)

وكان صافى العائد من تلك المشاركة خسائر للقطاع العام ٨ر٩ مليون جنيه عام ١٩٨٤ فقط، وهذه الخسائر صافى أرباح ٤ر٧ مليون جنية فى ٢٤ شركة، وخسائر ٢ر١٧ مليون جنية عام ١٩٨٤ فى ١٢ شركة بدأت الانتاج.

وكشف نفس التقرير أن جميع شركات المقاولات والتشييد المشتركة (٦ شركات بدأت الانتاج) و٣ شركات فى إستصلاح واستزراع الأرضى و١٣ شركة مشتركة فى قطاع الزراعة، لم تحقق أيه أرباح وبلغ اجمالى نصيب القطاع العام فى تلك الخسائر ١٧٥ مليون جنيه عام ١٩٨٤.

قرار مع وقف التنفيذ

وفور تقديم التقرير لمجلس الوزراء فى ٣٠ يوليو ١٩٨٥ تشكلت لجنة برئاسة «على نجم» محافظ البنك المركزى أنذاك لبحث الوضع وديون تلك المشروعات، على أن يتم إعداد تقرير عاجل يعرض على رئيس الوزراء (كمال حسن على) فى هذا الوقت ... وانتهت اللجنة من تقريرها فى أغسطس من نفس العام وتم عرضه على الدكتور على لطفى رئيس الوزراء الجديد فى هذا الوقت. وإنتهى بقرار وزارى بعدم إقامة أى مشروع مشترك إلا بموافقة مجلس الوزراء واللجنة العليا للسياسات. ولكن هذا القرار ظل حبيس الأدراج ولم يأخذ به حيث أشئ بعد عام ١٩٨٥ ١٦مشروعاً مشتركا جديداً !!

الخسائر تتزايد

وفى عام ١٩٨٦ أعد «د. عاطف عجوه» رئيس مصلحة الشركات تقريرا عن ٣٨ شركة مشتركة ورفعه إلى د. على لطفى ومن قبله د. سلطان أبو على وزير الاقتصاد. وإنتهى التقرير إلى ضرورة وقف التوسع فى المشروعات المشتركة بعد ما بلغت الخسائر الكلية للمشروعات الخاسرة عام ١٩٨٥ وحتى منتصف ١٩٨٦. فقط ٣٦٠ مليون كان نصيب القطاع العام منها ١٩٠ مليون جنية.

وعلى حد تعبير د. عاطف عجوه رئيس مصلحة الشركات، ذهب التقرير إلى حيث يريد المسئولون، ولقد قلنا كلمتنا.

١٥٠٪ خسائر!!

وفى دراسة أخرى للدكتور «عاطف عجوه» أيضاً عن ٢٥ شركة مشتركة يترواح رأسمالها بين ٣٠٠ ألف جنية و٤٢ مليون جنيه تشمل قطاعات الزراعة والصناعة والتجارة والمقاولات والسياحة والخدمات، وساهم فيها القطاع العام بنسب بين ٢ر٧٨٪ و٣٤٪.

تبين أن تلك الشركات كلها خاسرة منذ إنشائها حتى عام ١٩٨٨. لسوء إدارتها، وعدم توظيف أصولها جيداً وخروجها على أهداف إنشائها، وقال د. عاطف عجوه أن خسائر القطاع العام فى تلك المشروعات تعدت ١٥٠٪ من نسبة حصته فيها!!

وفى تقرير عن المشروعات الاستثمارية أعده «علاء الدين خليل» مساعد رئيس الجهاز التنفيذى لهيئة الاستثمار، أن القطاع العام خسر خلال عام ١٩٨٧ فقط حوالى ٦ر١٩٠ مليون جنيه فى ٦١ مشروعاً شارك فيها بنسبة ٣٩٪ كمتوسط من اجمالى خسائرها البالغة ٦ر٢٩٠ مليون جنيه. كما أنه حقق أرباحاً فى ١٢٠ مشروعاً بلغت لأول مرة عام ١٩٨٧ حوالى ١٦٩ مليون جنيه .. ولكن الصافى العام للقطاع العام من تلك المشروعات خسائر خلال عام ١٩٨٧ حوالى ٣٠ مليون جنيه.

ولم تتوقف الخسائر يوماً ففى تقرير لجهاز المحاسبات عن شركة إيديال، يقول أن الشركة خسرت خلال عام ١٩٨٨، ١٩٨٩ حوالى ٨٠٠ر٧٦٤ر٥ جنيه بسبب مشاركتها فى مشروعين مشتركين فقد حققت الشركة خسائر عن نصيبها فى شركة سيفكا للكاوتشوك ٤ مليون و ٥١٤ ألف و ٨٠٠ جنيه، وفى الشركة المصرية لصناعة الكباسات خسرت إيديال عن حصتها فيها خلال نفس العام ٢٥ر١ مليون جنية كما بلغت الخسائر المجمعه مع ايديال نتيجة هذه المشاركة ٤٥ مليون جنية بخلاف الفوائد

محمود الحضرى


كتاب جديد
جيل الانتفاضة
سيلفي منصور
هذا الكتاب حصيلة رحلة دراسية للمؤلفة في الأراضي المحتلة لسبر أغوار الأطفال الذين يكبرون على إيقاع الانتفاضة .
إصدار : مؤسسة الدراسات الفلسطينية
الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية
توزيع : دار الفتى العربي . القاهرة : ٩ ش مديرية التحرير ، جاردن سيتي . هاتف : ٣٥٥٠٥٦٤



الأزهر
حى لاينام..

..فى كل غرفة موقع عمل وكسب وعرق .. والاحصاء ٢٠ ألف منشأة.

لماذا لم تبرز ظاهرة التطرف الدينى فى الجمالية والغورية؟ فى الغورية ممنوع دخول البوتيكات ولولاكى وكل مهينات الجمود والتطرف

تفجير عقار أثرى لمنع مصلحة الأثار من امتلاكه.. ،ورغبة الورثة فى الانتفاع بأرضه

الرؤوس الكبيرة فى الحى تكسب من الأزهر وتعيش فى مصر الجديدة

استمع الموسيقار اليونانى إلى أصرات الآذان وقال هذه سيمفونيه كاملة الأركان!

لأن حى الأزهر - الجمالية والغورية تحديدا- هو أصفى تعبير عن قوة الروح التقليدية للشعب المصرى، ورمضان هودرة تجليات هذه الخصائص فى ذلك الحى فقد كان السؤال الذى شكل همنا الرئيس هو التالى: الى أى حد تصمد العناصر الفعالة فى ثقافة المكان، فى مواجهة زحف البنوك والمقاولين وكل عناصر اقتصاد وثقافة الطفيلية المصرية؟

وذهبنا نبحث عن الأجابة، فى ذلك الحى الذى لاينام، لا فى رمضان، ولافى غير رمضان، والذى لايموت، لأنه تعبير عن روح الشعب، التى لاتنام،، ولاتموت..!

وهذا الحى الذى لاينام، هو الذى شهد سنوات نشأة كل من طلعت حرب وطه حسين ونجيب محفوظ وجمال عبد الناصر. وشهد شيوخا للأزهر كالشيخ «محمود عبد اللطيف دراز» الذى كان شعاره فى ثورة ١٩ «جنون الثورة عقل الثائرين»، وشهد شيوخا فى الوقت الراهن يعتبرون كامب ديفيد مثل صلح الحديبية، ويباركون توظيف الأموال، يركبون المرسيدس ويحرمون شهادات الاستثمار؟!

على كل حال.. فلنحاول ان ننقل جانبا من الأجابة التى وافانا بها الحى وأحياؤه، اثر جولات طويلة استمرت اياما وليالى.. مسحنافيها الحى شبرا شبرا

عن هذا يسار الى الطعان!

يقسم شارع الأزهر، المكان الى قسمين، فعلى يمين المتجه الى الأزهر من العتبة، يقع حى الدرب الأحمر، وبه شياخة الفورية. وعلى اليسار يقع حى الجمالية ويضم مسجدى الأزهر والحسين.

وفى عام ١٩٨٦ بلغ سكان الجمالية نحو ١٨٥ ألف نسمة. وكان العدد فى تعداد ٧٦ نحو ١٦٦ر٨ ألف نسمة.

وكشف التحليل الذى أعده الجهاز المركزى للاحصاء، باستخدام نتائج ١٩٧٦ عن حقائق مثيرة، ولم يتح لهذا التحليل، الذى احتوته ٣ مجلدات ضخمة- عن مدينة القاهرة وحدها - حظا من الظهور ربما لتأخر صدوره نسبيا، ولعل الجهاز يسارع باصدار تحليلات إحصاء ١٩٨٦، حتى لايفوتها قطار الاستخدام الاجتماعى والثقافى والسياسى.

وتكشف من نتائج التحليل أن حى الجمالية، الذى يضم مئات الآثار الاسلامية، وفى القلب منها جامع الشهيد بن الشهيد- الحسين بن على - فيه من الذكور«الزاهدين عن العمل»- بتعبير الاحصاء- ١٨٠٦. وهى نسبة عالية اذا ما قيست بالعدد فى مدينة عمالية كالتبين مثلا (٣٤٩)، أوحى تقليدى آخر كالأزبكية (٦٨٧). وتفسير ذلك سهل فى ضوء ادراكنا لتزايد اعداد الدراويش والمتطفلين حول جامع شهير كالحسين أو مكان كالأزهر.

والى جانب الدراويش فهناك ايضا تجار المخدرات والعواطلية ومن المؤكد انهم سجلوا

أنفسهم فى التعداد فى اطار الزاهدين عن العمل. والزاهدون منهم براء. والدليل على ذلك أن أكبر عدد من «الزاهدين» بشياخات الحى، يوجد فى «شياخة منشية ناصر». وهى شياخة حديثة فى أعلى جبال الدراسة، تضم الوافدين لأكل العيش، والذين ضاقت بهم الأحياء التقليدية. واغلب من يتاجرون على «الكرتونة» و«الكارو» بالعتبة والموسكى، يسكنون هذه الشياخة، جنبا الى جنب مع الحرفيين والزبالين

وتقدم الجداول التحليلية أيضا صورة دقيقة لانماط الانتاج القائمة فى الحى،إذ نتبين ان جمله من يعمل لحسابة ٨٧٣٨ فرد منهم ٣٧٨ أنثى. وجملة من يعمل لحسابه ويستخدم آخرين ٢٩٦٤، منهم ٤٤ أنثى، وجملة من يعمل بأجر نقدى ٣٦٥٩٠ منهم ٣٣٤٦ أنثى، ومن يعمل لدى الأسرة بدون أجر ٢٩٥. منهم ٢٠ أنثى. وبلغ عدد المتعطلين الذين سبق لهم العمل. ٢٦٦، والمتعطلين الجدد ٣١٨٠، والطلاب المتفرغين للدراسة ٣٨٦٣٨ والمتفرغات لأعمال المنزل ٤٣٧٤٨ . والمتقاعدين والمعاشات ٦٨٦. منهم ١٥ أنثى والعاجزين - غير القادرين على العمل- ٤٢٢ عاجزاً.

وفى مكتب العمل- علمنا ان عدد المنشآت فى حى الجمالية الان يزيد عن ٢٠ ألف منشأة (١٢). وعلى الذى لايصدق ان يعرف ان فى كل غرفة بهذا الحى موقع عمل وكسب وعرق ورزق.

والطريف أن أحداً لايطلب من مكتب العمل قيده فى سجل المتبطلين، ولا أصحاب الأعمال يخطرون المكتب بحاجتهم إلى عمال، حتى يتسنى الاختيار من المقيدين واخطارهم وفق لوائح المكتب الرسمى.

واذا كانت الصورة التقليدية للنشاط الاقتصادى، الأسرى العشائرى، التجارى والحرفى، للحى هى الصورة التى سادت لمئات السنين، سواء فى ظل الإقطاع العسكرى للمماليك، أو فيما تلاهم من عصور، فان دراسة الحى الآن، وتحليلات الاحصاء، تعطى صورة مغايرة.

فالتحليلات تقول ان تقسيم السكان أكثر من ٦ سنوات - حسب النشاط الاقتصادى - يكشف ان عدد العاملين فى الصناعات التحويلية ١٦٨٩٧، وفى التشييد ٣٨٤٧، والتجارة والمطاعم والفنادق ١٢٤٦٧، وفى الخدمات والعلاقات والشئون الاجتماعية والشخصية ١١٠٠٩ وفى خدمات الأعمال والعقارات ٥٦٩.

وعلى ذلك فان جملة اصحاب النشاط فى تلك الشريحة العمرية كانت ٤٩٢٣٣ ومن ليس لهم نشاط ٩٢٩٧٨.

وقد يقول قائل

وايه يعنى كل ذلك؟

نقول ان المنطقة التى كانت تشهد مظاهرات شبة يومية،بالآلاف ، تخرج من الأزهر- غالبا لتأييد «الوفد»، فى مواجهة الملك وأحزاب الأقلية، والعكس فى حالات نادرة ومصنوعة- طرأ على هيكلها الاقتصادى تغيير كبير بعد ثورة يوليو، وبعد التأميمات، وامتلأت بالمنشآت العامة الصناعية والتجارية وبلغ عدد العمال فى احداها، وهى الشركة العامة للمعادن ٧٥٠ عاملا وهذا تكتل مذهل قياسا لصغر المنشآت بالحى، كما امتلأت المنطقة بالماكينات، التى عرفت طريقها لورش القطاع الخاص بالتواكب، وقد واكب هذه العمليات كلها انشاء طريق صلاح سالم الذى شطر المنطقة، واصدار قانون تطوير الأزهر عام ١٩٦١، وانشاء مدينة البعوث الاسلامية على مشارف الأزهر من ناحية والعباسية ومدينة نصر (مدينة قيادة المشروع الناصرى) من الناحية الأخرى، ومدينة البعوث وهى المدينة التى تم بناؤها وافتتاحها عام ١٩٥٩ لتواكب الاهتمامات الناصرية بالدوائر الثلاث العربية والأفريقية والأسيوية، ولتكون موئلا لطلاب المنح الأزهرية من هذه الجهات، وهى المنح التى تجيزها السفارات المصرية فى الدول.

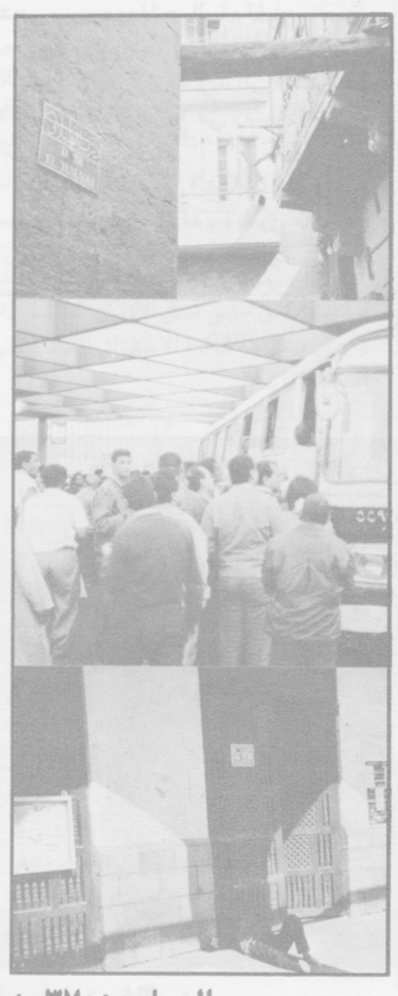
والطريف أن «السادات» طرد كل الطلاب العرب (٥٠٠ طالبا) فى اليوم الثانى مباشرة لتوقيع اتفاقية كامب ديفيد .

وليس بالمدينة الان سوى طالبين سوريين بكلية الطب من بين ٢٥٠٠ طالب من آسيا وأفريقيا أساسا.

وفى السبعينات والثمانينات لم يتجاوز التغيير فى المنطقة توسعة المسجد الحسينى، وادخال عدة فروع لعدة بنوك اهمها فيصل، الذى يواجه مقر مشيخه الأزهر!، ويقترب من الحسين،وكذا انشاء مبنى على نفقة بنك اسلامى فى مدينة البعوث كتعبير فيما يبدو على صراع النفطى والناصرى ودخول بعض الواجهات الزجاجية الملونة الى بعض المحال،



فى الغورية ممنوع دخول البوتيكات ولولاكى وكل مهيئات الجمود والتطرف



وصدور عدة مطبوعات تعبر عن الاسلام الساداتى والنفطى.. وسنأتى الى ذلك فيما بعد.

الحياة الى الصندوق

المهم ان البحث عن صدى ذلك كله فى انتخابات مايو ١٩٨٧ يمكن ان يقدم دلائل مفيدة..

فى هذه الانتخابات فاز «الحزب الوطنى» بالجمالية ب ٢٩٧٥ صوتا.

و«الوفد» ب ١٤٢٠ صوتا

و«التحالف» ب ١٥٦٧ صوتا

و«التجمع» ب ٢٧٤ صوتا.

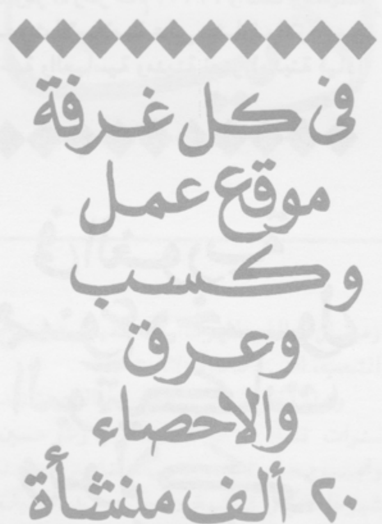
وفى «الدرب الأحمر» - الذى تقع فى نطاقه الغورية، حيث العلمين اليساريين «الشيخ امام» و«الشاعر أحمد فؤاد نجم»، وتقع فى حيزه أيضا منطقة الباطنية، معقل المخدرات - فاز «الوطنى» ب ٢٧٩٩ و«الوفد» ب ٢٩٤٩ و«التحالف» ب ١٣٨٨ و«التجمع» ٢٥٠، صوتا لكل.

والمعروف أن الحيين يقعان فى اطار دائرة وسط القاهرة، وكان «الوطنى» قد رشح فيها ككل «نوال عامر» ود. «آمال عثمان» و «د. فتحى سرور» و«للجمالية» الحاج محمود العزبى» و«ابراهيم برديس»- وهو موظف بالتلفزيون-، وكان قد وفد الى القاهرة من الأقاليم، وأقام طويلا فى «فندق رضوان» بالأزهر.

ومن آبرز مرشحى التحالف كان «أحمد سيف الاسلام»، و«الوفد» «علوى حافظ»- ابن الدرب الأحمر وضابط البوليس الحربى السابق؟! -، و«ألفت كامل» نائبة الأحرار السابقة. وفى «التجمع» - وجيه عباس (محام) ومحمد الأكيانى (من قيادات السكة الحديد) و«فتحية العسال»

والملفت للنظر أن أغلب أعضاء « الوفد» و«الوطنى»- وبعض اعضاء «التجمع»، بالمنطقة كانوا بالاتحاد الاشتراكى من قبل- بما فى ذلك السيدة «ألفت كامل» وزوجها- وبما فى ذلك الأعضاء الذين كانوا يهتفون «الجمالية حصن الثورة والرجال جنود جمال» فى الحزب الحاكم الآن وبما فى ذلك ايضا قيادات العمل الصوفى، فى مشيخة المشايخ، الموجودة بجوار سيدنا الحسين..

ومنهم «الاستاذ الصديق » «الحاج» عبد الرحيم بن محمد الجوهرى شيخ الطريقة الجوهرية، وصاحب جريدة «الأمة الاسلامية» وهى جريدة تركز على الاسلام العائم، والسعودى، وعلى الحملات ضد النصارى والتنصير وقد تفضل وأهدانى الشيخ عددا مانشيته: مؤامرة لتنصير مسلمى الصين!



وآخر عنوانه: مؤامرة لتنصير ٥ مليون طفل يتيم فى العالم وصارت الجريدة تركز مؤخرا، بالتواكب مع استكتاب عالم سعودى كبير فيها، على مهاجمة ما تتصورهى انه الشيوعية، وتثبت بروايزا تدعو المسلمين والمسلمات فيها الى الوقوف ضد المخدرات وتنظيم النسل وضد قراءة الصحف والمجلات الشيوعية.

المهم قد يسأل سائل هل بلغ الاتحاد الاشتراكى فى الحى ، مكانة «بوتقة الأمة» لتخرج منه كل التيارات فيما بعد بهذا الشكل ؟ والجواب الذى وجدته ، بعدحوار مع اناس من كل لون وحرفة بالحى غريب : جواب يقول ان قليلين هم الذين انخرطوا فى العمل السياسى زمن الاتحاد الاشتراكى، وقد ظلت الأغلبية رغم الروح الوطنية والانسانية (الفنية والصوفية) الجبارة بالمكان بعيدة.

بل اننى حين سألت صانعا عجوزا لكراس الخوص بالغورية يسمى عم علي..

-هل تذكر خطبة عبد الناصر بالأزهر عام ١٩٥٦ ونداء المشع : حنحارب؟

فقال بكل بساطة: آه طبعا.. بس أيامها احنا كنا مشغولين فى «التوهان»!!.

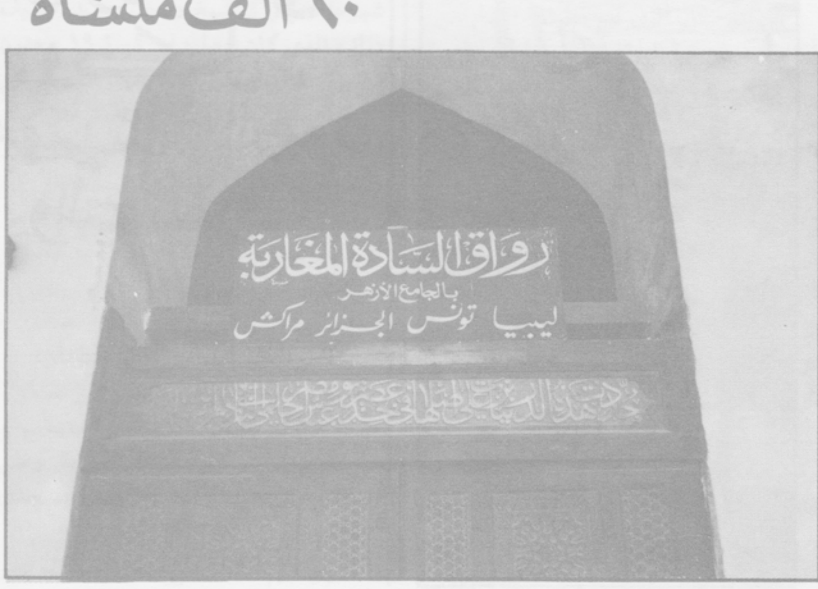
وقلت فى عقلى ترى هل كان موقف «نجيب محفوظ»، المتحفظ تجاه ثورة يوليو ورجالها، تعبيرا عن روح عام فى الحى؟!

وقبل مغادرة الانتخابات يجب أن تعلم ان أكبر معسكرات للأمن المركزى توجد بالدراسة، أى فى نطاق الجمالية، الى جانب عدد آخر من أقسام الداخلية كالخيالة والفرق الخاصة، ويبدو انها قوات تلعب دورا فى اطار خطة مايسمى بتأمين القاهرة. اذ أن تدفق العوام - تذكر احداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧- من هذه المناطق الى قلب القاهرة يتم فى دقائق. هذا الوجود الكثيف للأمن يؤثر كما يقول «عبد العزيز خليل»- امين التجمع بالجمالية- على سير العملية الانتخابية، خاصة وأن عددا كبيرا من الصناديق، يوضع فى أماكن يسيطر عليها الأمن تماما فمن يتصدى للتزوير؟.

ويضيف :

- وبالطبع لايمكن ببساطة ارجاع ضعف اصوات «التجمع» الى عامل التزوير وحده.

وفى نطاق الانتخابات ايضا فان عملية تعليق اللافتات وأدوات الدعاية الانتخابية يسيطر على الأذن بها، وأهم مواقعها، خدم من يسمون بشيوخ الاسلام الشعبى. وهم كثيرون فى هذا الحى الى حد مثير. وفى اثناء جولتى حدث ان سألت كل جيران «الشيخ عبد اللطيف» وهو صاحب مقام فى المبيضة- عن أصله وكراماته، فقالوا انهم



لايعرفون، وكل مايعرفونه هو أن مولده يقام ليلة رؤية هلال رمضان، واللى ربنا يقدره على شمعة يقيدها، واللى على طبق مهلبية يجيبه (التقديم فى الحالتين بواسطة السيدات وهذه ظاهرة بالجمالية والغورية ايضا كما أكد «أحمد فواد نجم» وعدد من ضيوفه من أولاد البلد)

وقال جيران «الشيخ عبد اللطيف» أنهم لايعرفون خليفته الحالى، غير أن خليفته السابق، كان رجلا طيبا، رغم أنه كان ينزل على الحصان، حصان الخليفة، من هنا، ويسب بالدين من هنا!!

شلت يدى

وفى المسألة الانتخابية أيضا قال ضيوف لدى«الشاعرنجم» فى حضورى، ان «علوى حافظ» حاول منذ سنوات ان يفض مولد الست فاطمة النبوية- ويلقبونها بأم الحنان (ياله من اسم رائع- ، وتارة بأم اليتامى - على أساس انها حمت ورعت أبناء من استشهدوا فى الحرب مع الحسين-).. المهم أن «علوى» حاول ، كما تقول الرواية، ان يفض المولد، ليقيم مؤتمرا انتخابيا، فشلت ذراعه (عقوبة نمطية ايضا من قبل الرموز الدينية فى الحكايا الشعبية) ولم يشفه الاتوسلاته لها بالصفح واغراقاته على مريديها. والحكاية عامرة بالدلالات بغض النظر عن صحتها من عدمها. المهم انها شائعة بالحى.

ويلاحظ فى نتائج الانتخابات ايضا تفوق «الوفد» على الوطنى فى الدرب الأحمر. ويؤكد «نجم» و«د. سيد عشماوى» بقسم تاريخ اداب القاهرة وضيوف «نجم» أن الحى بطبيعته «معارض» وهو أكثر احياء مصر مشاكسة لقسم البوليس، رمز السلطة الأوضح.

ويلاحظ ايضا ان اصوات «التحالف» اكثر من «الوفد» فى الجمالية، وان كانت أقل من نصفه فى الدرب الأحمر. وان أصوات «التحالف» فى منشية ناصر (٣٢٣) أكثر من «الوفد» أيضا (٢١٣) حيث حصل الاثنان عموما على أقل الأصوات لهما فى دائرة وسط كلها، وكذا «التجمع» ايضا (٤٣ صوتا بمشية ناصر). وهذا يدل على مدى التبعية للسلطة، وتدنى الوعى فى تلك الشياخة العشوائية، التى تضم اخلاطا من السكان.

هذا هو المكان الذى يحتفل برمضان كما لايحتفل به أى جزء آخر فى بلادنا، والذى تختزله الصحف فى عدة صور، يصر بعض اصحابها على ان يسموا انفسهم الدكتور





لماذا لم تبرز ظاهرة التطرف الدينى فى الجمالية والغورية؟

الفنان..! غير أن فى الصورة تضاريس حياتية أخرى هامة.

الدين والديان والانسان

فى سنه ١٩٧٦ كان من جملة سكان الجمالية ٦١١٨ مسيحي و٣٥ يهودى و١١ مواطنا أصحاب ديانات أخرى؟ منهم ١٠ فى الدراسة وواحد فى الشعرانى. وكما قلت فان احصاء ١٩٨٦ لم يوضح مثل تلك التفاصيل بعد. غير أن الملاحظ ان صور التطرف الدينى الشكلية- الجلباب القصير واللحية اياها- و«الموضوعية»: التخريب والتخويف والعنف تكاد تكون غير موجودة بالحى.. رغم أرضيتة المواتية ظاهرا، فهو حى فيه من الروح الدينى، المحافظ والمستنير والرجعى، الكثير، وفيه من الفقراء والفقر، ايضا الكثير، ومن نقص الخدمات والتشوه، الكثير والكثير.

والسؤال لماذا لم تبرز تلك الظاهرة هنا؟

«حلمى عاشور»، أحد اعضاء «التجمع»، وصاحب محل (صناعة وبيع موازين) ونقابى سابق بالنصرللسيارات!!، يقول.

-هنا الدين شعبى، بسيط، كله بيشتغل، ومش فاضى «للجدل» والتطرف، وكله متدين فى نفس الوقت.

* وفى مقر «الحزب الوطنى» بالجمالية، قال «رفعت مصطفى النوتى» وهو نقاش ابن بلد، وامين العلاقات العامة هناك،وبصدق شديد.

- التطرف بيعمل تفكك.. لكن الحى ده مترابط!! واحنا فى كل مؤتمر لازم نقول باسم الوحدة الوطنية نقف خلف رئيسنا محمد حسنى مبارك. ودائما نتزاور فى الأعياد والمناسبات، وفى الحياة اليومية، مسلمين ومسيحيين.

*«الفنان نجم» والباحث «د. سيد عشماوى» قالا:

ان الانشغال بالعمل ، وعشق الفن، عاملان أساسيان لبناء الروح الديموقراطى فى المكان، ونفى التطرف الدينى وقالا أيضا ان الغورية بالذات، ودون باقى الأحياء، لأنها لاتضم مهجنين أو انكشارية (ياله من اعتزاز بالمكان) لاتعرف الخروج عن خط المواطنة والقيم الجوهرية للشخصية المصرية.

وهما يرصدان أن هناك، محلات كثيرة، عليها يافطات من نوع: محمد وشريكه جرجس.

وقال «أحمد فؤاد نجم».

- يمكن الجمالية مش أصيلة قوى بدليل أن العربى اقتحمها.. هنا فى الغورية ممنوع دخول العشمانلية، والبوتيكات، ولولاكى، والتسعود، وكلها مهيئات للجمود الدينى، والتطرف، ومن علائم ظهوره.

وواصل «نجم»، وأنا أعزف على نغمة التقينا عليها، نغمة الروح المصرى الخالد، الذى تأسس حتى قبل الأديان السماوية، واصل مصعدا فكرة الاعتزاز بالمكان الى اقصاها فقال.

-هنا دشم .. تحصينات ضد الاقتحام.. ان الغرور بالمكان، وبروح الفن ونمط الحياة العبقرى الهائل فيه، يدفعنى احيانا، وكثيرا لأن أقول للطفيلية وجحافلها: هل من مبارز؟ انهم ابدا لايستطيعون ان يبرزوا اليناهنا، حتى البنوك التى جاءت، جاءت على استحياء، وخشعت للمكان واقتصاده. اذن كيف يأتى التطرف؟

ملاحظة: كنت قد سجلت فى اجندتى قبل هذا اللقاء اشارة الى أن السادات الذى أزاح سكان عرب المحمدى ورملة بولاق من الكورنيش بسهولة، لحساب الطفيلية وأربابها، لم يستطع ولم يفكر، لاهو ولاهى فى احتلال الجمالية والغورية، رغم موقعيهما الرائعين، واذ يبلغ سعر المتر فيها أكثر من ١٥٠٠ - ٢٥٠٠ جنية، كأرض الكورنيش تماما.

الحانوتى الأوحد

أما «الحاج عبده» - الحانوتى الأوحد الآن فى قسم الجمالية - فقد أكد ان الجماعة «السنية» اياها كثرت فى المساجد، وانهم اصطنعوا خشبة فى كل مسجد، يمارسون عليها مهنة الحانوتية، ويجمعون باسمها أموالا، تحت اسم مساعدة أهل الميت. وقال «الحاج عبده» أن اصحاب الذقون اولئك أفسدوا مهنة الحانوتية وتقاليدها العريقة، وان منهم من يدور ليل نهار للبحث عن موتى ليباشر شغلة، وهنا أفتى« الحاج عبده» بأن من تمنى ان يموت الناس ليعمل فهو كافر، لأنه بذلك يفرح بالفراق، والفراق أصعب شئ فى هذه الدنيا. واضاف.

- والعجب انهم يعملون بلاتراخيص، وانهم لايعرفون «الوهبة» أى تكفن ميت لوجه الله، كما كان يفعل الحانوتية الأصلاء!

عندما طرحت سؤالى على بعض المترددين على مشيخة الطرق الصوفية، عن التطرف الدينى، قالوا أن مفيش حاجة اسمها تطرف، وان كان فقط بعض الطلبة بيعتدوا بغشم على زملائهم.. وأن التطرف هو تطرف النصارى، الذين يخططون لنشر الرذيلة، ويستخدمون لذلك الكنائس، والسحر السفلى، وهو اشر أنواع السحر (كلام يقال فى الوطن فى القرن العشرين).

وفى «جامع البهرة»،وإثر جلسة استرخاء فى بهو مسجد «الحاكم بأمر الله» الذى جددوه، وبين الحمام الوديع، انتقلت لمقابلة «الشيخ يحيى» امام المسجد، وكان السؤال ايضا يرن فى اذنى

كيف تقبلت المنطقة هذا النمط من الثقافة، الذى لوكان فى مكان آخر، لتم حرق المسجد على من فيه؟

قال الشيخ المعين من قبل الأوقاف

-للبهرة معتقداتهم الخاصة، التى تتعلق بالايمان بالعقل الكلى، وخلع صفات الاله على سلطانهم ، والرجعة، أى الحلول، فى جسد السلطان ، ولهم طريقهم فى الجمع والقصر فى الصلاة، ولايصلون الجمعة ولا العيدين، كما انهم لايصلون الصبح جماعة ، وعددهم ضئيل جدا فى مصر. والمعروف تاريخيا انهم جاءوا مع الفاطميين، ثم انتهت قلتهم، الى أن جاءوا فى عصر السادات مرة أخرى.

أجمع كل من حضر اللقاء مع الشيخ ان البهرة على خلق كريم للغاية، وانهم غريبو الطبائع لكن لايستنفزون أحدا، وشطار فى التجارة.

أذن المغرب، فقام الجميع، وأقض الصوت

تفجير عقار أثرى لمنع مصلحة الآثار من إمتلاكه ورغبة الورثة فى الإنتفاع بأرضه!

بعض الحمام، فحوم فوق الرؤوس، ودخلت هفهفاته الى القلب دوغرى. فقلت عمار يابلد الانسان.. يامصر.

جريمة فى الحى الساهر

وبعيدا عن التطرف الدينى، وملابساته فى المكان، فان الحديث عن الجريمة فى الحى، لايخلو هو الآخر من خصوصية، لأسباب متعددة. وتصادف ان قص على اثناء الجولة شهود عيان كيف أن مجموعة من تجار السموم والعواطلية، ضربوا عددا من المواطنين، أبوا ان يستجيبوا لقانون «الفردة» الذى فرضه العواطلية على المكان. ومن المصابين انتقل الى مستشفى الحسين الجامعى «سمير ابراهيم» و«سيد وعبده أبو شوشة». ولعلهم لايزالون هناك حتى الآن.

نمط آخر قصه الشهود فقالوا ان افرادا وضعوا كمية ٣ كيلو من الديناميت لتفجير العقار رقم ١٣ بشارع الصنادقية منذ أكثر من عام. انفجر جزء من الكمية وأحدث ذعرا. وتبين ان بالعقار أعمدة رخام أثرية تريد الآثار بسببها، تسجيله كآثر ، ويصر الورثة على تدميره والانتفاع بأرضه.

هنا نذكر أن ٩٠٪ من أرض المنطقة مملوكه للأوقاف، وأن ٩٠٪ من الآثار بها مهددة بالانهيار- وفق تصريحات المسئولين،-، بسبب التعديات، والمياه الجوفية.

ونذكر ايضا أن ٥٠٪ على الأقل من مساكن الجمالية والغورية آيلة للسقوط. و ٥٠٪ من السطح مقابر للأموات ويعيش فيها الآلاف من الأموات بل اننى رأيت منزلا - أمام «مدرسة الظاهر بيبرس الأساسية-، صدر له قرار ازالة منذ ١٩٥٨، ولم ينفذ حتى الآن، رغم ان المنزل قائم بلاسكان.

المهم ان الصورة الاجمالية للجريمة فى الحى تتضح أكثر من تقارير وزارة الداخلية عام ١٩٨٨ تؤكد معنى الخصوصية. فمن بين ٤٦٠ جناية خطيرة بالقاهرة ، قتل سرقة وحريق عمد وأخرى، ارتكب فى الجمالية منها ١٨ وفى الدرب الأحمر ١٤.

ومن بين ٥٣١٧ قضية مخدرات ارتكبت «الجمالية» ٣٣٢، والدرب الأحمر ٦٥٩ (يضم الباطنية)، وهو أعلى رقم لقضايا من هذا النوع فى أقسام القاهرة ال ٣١ بل وفى كافة أقسام ومراكز مصر.

أعداد قضايا المخدرات فى ١٩٨٧ كانت ٣٦٩ فى الجمالية و٥٣٢ فى الدرب الأحمر وكان اجمالى قضايا المخدرات بالقاهرة فى ذلك العام ٤٥٨٦.

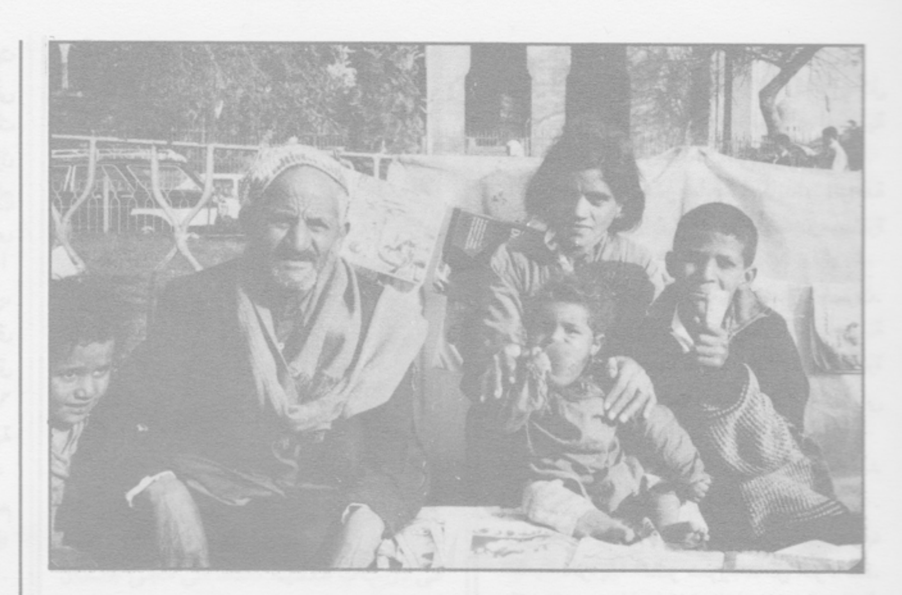
وفى عام ٨٨ ايضا ارتكبت «الجمالية» ١٢ جنحة سرقة مساكن، و«الدرب الأحمر» ١٤ من مجموع ١١٨٧.

وارتكبت «الجمالية»١٩ جنحة سرقة متاجر و«الدرب الأحمر» ١٥ من مجموع ٥٦٣.

وارتكبت «الجمالية» ٣ جنح سرقة سيارات والدرب الأحمر ٥ من مجموع ٥٣١، وارتكبت الجمالية ١٨ جنحة نشل والدرب الأحمر ٦ من مجموع ٨٠١

وفيما يتعلق بجنح جرائم الأحداث فقد ارتكبت الدرب الأحمر ٣٠ والجمالية ١٢٨ من مجموع ٢١٨٧

والطريف أن أحداث الحيين معالم يرتكبوا فى هذا العام أى جنح نصب، أو نشل، وأن جنح الضرب تشكل أعلى رقم للجريمة بين الأحداث



المعروف ان المنطقة كانت معقلا تقليديا للفتوات، ولم يبق منهم الآن إلا واحد يدعى «اسماعيل» له مقهى فى شياخة الكردى بميدان الجيش.

إثم الآثار

العجيب ان الناس تشهد بأن طفلا صغيرا يستطيع ان يرعى محلا كاملا للذهب، أو يسير ببضاعة غالية الثمن بلاخوف، لان الناس تعرف بعضها جيدا فى المكان.

والغريب ايضا ان عمليات التكافل البيئية، فى مجتمع الحى بعيدا عن الحكومة، ذات معدلات مرتفعة، فى نفس الوقت الذى تكاد تنعدم فيه التبرعات للجهات الرسمية لأنشاء مدارس أو منشآت خدمة عامة.

وفيما يتعلق بجرائم الاعتداء على الاثار فان للناس أيضا تفسيرا عجيبا يبلوره «عبد العزيز خليل» إذ يقول

ان الآثار المملوكية نشأت بطبيعتها كتلبية حاجات مجتمعية، تجارية وخدمية، ولذا فأن المواطنين لايشعرون بحال انهم يرتكبون اثما باستغلال الآثار لذات الغرض.

وفى قعدة الشاعر نجم تساءلت: لماذا يتجاسر الناس على الآثار هنا بشكل لم يسبق له مثيل ابدا مع الآثار الفرعونية.. هل هى فكرتنا عن مظالم المماليك ومجازر الدماء فى عهودهم؟ هل الأمر يتعلق بقيمة مصرية ما؟

د. سيد عشماوى يرفض مقولات العصر الظلامى التى تقال عن الحكم المملوكى، لكنه يقول بأن الشعور الجمعى للناس، لايرى فى الآثار المملوكية إلا بعضا من نتائج تنافس الاقطاع العسكرى المملوكى، ويضيف: قد يجوز هذا كتفسير لظاهرة التعديات.

أما «أحمد نجم» فقال:

لأن اغلب المماليك، لم يكونوا مصريين، ولم يكونوا ايضا ابطالا بالمفهوم الشعبى للبطولة فى الخيال الجماهيرى، فان الناس تستحل أثارهم بسهولة. من جهة أخرى فان الاعتام المعمارى فى الاثار المملوكية، وضعف ارتباطه بالمفهوم المصرى عن عقيدة الخلود: بناءات مشرقة وضخمة لموتى يعودون.. من أجل الشعب قد يكون سببا آخر.

ويستثنى نجم من المماليك فى عهد مابعد الظاهر بيبرس، طومان باى فقط، اذ يرى فيه بطلا شعبيا مخلصا لاحلام الشعب المصرى.

رمضان لن يولى ابدا.

هذا هو الحى الذى يحتفل برمضان كما لم

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

الرؤوس الكبيرة فى الحى تكسب من الأزهر وتعيش فى مصر الجديدة

يحتفل به مكان آخر فى مصر... لقد وددت لو سجلت اثناء جولتى كل اسم شارع وحرفة وكل سكنة وكلمة وحرف للنشر والأثر، لأنقلها الى القراء.

واذا كان استاذ علم الصوتيات لدى بيجماليون« شو» هو الذى استطاع تمييز سكان لندن طبقا لاحيائهم من صوتهم فان الانسان لايحتاج الى أى مهارة ليدرك هل المواطن فلان من ابناء الجمالية والغورية أم لا؟..

بل لقد طاف بذهنى تساؤل عجيب: كيف انخلع أفراد مثل جمال الغيطانى وعزة بلبع من المكان بعد أن لامسوا لفترة شرارة الحيوية الانسانية المدهشة فيه؟ وباى قلب، تجرأوا على ذلك؟ المهم أن فى الصورة تضاريس آخرى: وهذه المرة لانماط من البشر.

«محمد عمر عثمان» مدرس أسبانى فى اللغات والترجمة بالأزهر- جمعتنا الصدفة فى الحافلة وسألته

لماذا اخترت التدريس؟.

فقال: اهى خيبة بعيد عنك. أنا «أزهر يست»، وكان عندى فرصة ابقى عالم، لكن وقتها كان العالم مثار تريقة، والآن انقلبت الآية. العلماء مطلوبون. والمعلمون مها نون!

تركته وفى مخيلتى فكرة مفادها ان الحكم فى مصر بعد أن استنفدت الطريقة الساداتية، فى اطلاق وحشية الجماعات الدينية، على قوى اليسار، نفسها، بات يراهن فى الوقت الحالى على الشيوخ التقليديين، وهذا يفسر الاهتمام الأخير بهم. والملاحظ انه اهتمام يدور من خلال الجهاز التنفيذى، وزارة الأوقاف، وبعيدا عن الأزهر تجنبا لضغوطه.

وقد لاحظت ايضا أن الرمز الصاعد الجديد- دار الافتاء- يتم انشاء مبنى فخم له على طريق صلاح سالم، فوق تبة حديقة الخالدين، بدلا من المبنى الحالى فى العباسية.

* جلست لأستمع الى ندوة «مجلة التصوف الاسلامى» التى كانت تعد للنشر فى رمضان. ويبدو آن لبسا قد حدث، بمقتضاه قيض لى آن استمع من علماء أفاضل الى شتائم لاتليق، موجهة لكل من «الدكتور حسن حنفى»، والمرحوم د. عبد المحسن طه بدر، بدعوى الشيوعية كالعادة. المهم قال د. ابو الوفا التفتازنى- شيخ المشايخ ود. «عبد الله عبد الشكور». «د. الحسينى أبوفرحة» الكثير عن رمضان وفضائله، والصوم وآدابه،

ورغم الاجتهاد، إلا اننى شعرت أن ماقيل يصلح لأن يقال فى أى رمضان فى الدنيا، منذ شرع الله الصيام وحتى الآن. وللانصاف:

مجلة التصوف، مجلة حميدة، اذا قيست بالمطبوعات التى يكتظ بها المكان، والتى تمتلأ بالخرافات والنصوص المهملة، والتفسيرات الجامدة، وتبدأ بحجاب الحصن الحصين والعهود السبعة السلمانية، ولانهاية لما يخرج عنها. وهى مطبوعات تغازل الوعى المتدنى لمريدى المكان من شتى أرجاء مصر.

* فى كلية الدعوة الاسلامية بالأزهر، لاحظت أن مفتش الأوقاف احتل «رواق الجبرتى»، واحتل مكتب عميد الكلية «رواق الآتراك». وقرأت على الحائط أمام القاعة ٦ اعلانا يشير الى انه تم رفع قيمة تذكرة الوجبة الجافة من خمسة الى عشرة قروش!!

ولاحظت ان اتحاد طلاب الكلية يستخدم فى اعلاناته نفس لغة الجماعات المتطرفة: خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود. الطريف أن القاعة ٦ نفسها تمتلأ بكتابات الطلبة على حوائطها، وقد كتب أحدهم بخط واضح: أفلام نجاة تتقدم ....!!

طلب «منى مصطفى رفعت التونى»، أن أكتب مناشدا تشديد الرقابة على المعمل الجنائى فى المخدرات، لكى تسيره مسيرة الأخلاق الى الطريقة الصحيح اذ أن اغلب المتهمين يحصلون على البراءة بسبب تقارير المعمل كما قال. وطالب التونى بعمل قسم خاص لمنشية ناصر.. وبالارتباط خلف قيادة الرئيس حسنى مبارك وقال انه لأيذكر خطبة الأزهر ٥٦ غير أنه شاهد «الرئيس السادات» على كرس شيخ الأزهر يؤكد على أن التحرك العالمى أصبح غير مجد، وأن علينا تحرير مصر من الأعداء الصهيونى.

«الحزب الوطنى» فى رمضان اعد عدة دورات كرة قدم على كأس «د. عبد الأحد». وهى دورات تشارك فيها فرق الأحزاب. يذكر أن أهم نشاط حكومى بالمنطقة كان يتمثل فى سهرات «زكريا الحجاوى» التى بدأت عام ١٩٦٦. فيما يبدو أنه كان محاولة متأخرة للتواصل مع الحى.

سوق القماش

تجارة القماش الجملة تتركز بكثافة فى منطقة الغورية. والملاحظ ان العلاقات التقليدية لهذا المكان بالقرى والأرياف فى انحاء البلاد، بدأت تقل، بعد افتتاح محلات فى القرى الكبيرة. فى قريتى لازال عبد الحميد القماش يشترى من الأزهر على السنة إو يبيع للناس على السنة ويلق ببقجته التى لايقل وزنها عن ٨٠ كجم؟ وقد ذكر الأستاذ نجيب محفوظ مرارا كيف كان لحى الجمالية علاقة، بالامتداد الأجتماعى، بالعباسية شرقية– والآن فان الرؤوس الكبيرة بالحى تكسب من الأزهر، وتعيش فى مدينة نصر ومصر الجديدة والدقى. ويجسد ذلك الأستاذ «د. مصطفى عوف»– مدير المحل الذى يربط الناس بينه وبين قصة عوف الأصيل– مصطفى قال:

– أن القيم بالحى التجارى ثابتة!! والبركة فى التجار الكبار.. هم الأساتذة وعنهم نتعلم وأكدانه يسكن فى مصر الجديدة، وقد عمل بالمحل فور تخرجه عام ١٩٨٤، وقال أن كل بضائع المحل صناعة مصرية ونفى اى امكانية لنقل الثقل التجارى بالحى الى اماكن أخرى



استمع الموسيقار اليونانى إلى أصوات الآذان وقال: هذه سيمفونية كاملة الأركان!

* أما الحاج عمر صاحب لوكاندة.. الواقعة فى بين القصرين بمواجهة الحسين مباشرة فيقول

– أن الدينا تغيرت والأسعار تغيرت. كان الأول الأوضة ب ١١ قرشا والآن بجنية ونصف. وقال ان اللوكاندة من أملاك الاميرة شويكار رزق الله وايجار مبناها ٢٦ جنيها فى الشهر.

والحاج عمر ممن يقيمون خدمة فى مولد الحسين، اذ هو عضو فى الطريقة الرفاعية. ويؤكدانه لايسمع لزبائن من مصر بالمبيت لديه خشية الرديلة انظر صور مدخل الوكاندة. ولاتعليق سوى انها ذلك النوع الذى كنا نقول عنه: تنام عليك حيطة ببلاش. وتنام متقمش..!!

بلا خمارات

ليس بالحى الذى يقع بين خمارات العتبة، ومحششات الباطنية، وبوظ ولاخمارات، هكذا يؤكدون، وقد علمت ان بالحى ١٦ أسرة بديلة لأطفال مشردين، وفيه ١٦ دار حضانة، يضمون ٢٠٠ طفلا فقط. ومن الواضح ان نمط الأقتصاد العائلى السائد، لايحتاج كثيرا الى مثل هذه الخدمة.

ذكر الأستاذ «توفيق ابراهيم رجب»– مدير بنك فيصل فرع الأزهر– ان البنك يقيم مأدبة رحمة رمضانية بطاقة من مائه إلى ١٥٠ شخص يوميا.

وقال ان عملية توظيف الأموال أثرت على النشاط الاقتصادى، ككل وعلى البنوك والتجار بالمنطقة بشكل ظاهر.. اضافة الى الركود السائد وبطء معدلات الدوران

وقال ان نشاط البنك فى رمضان يكاد أن يتوقف، لأن التجار يمولون احتياجات رمضان قبل الشهر بفترة

«محمد الريحانى» وأخته باعة بخور أمام الحسين قالا أن البخور أصبح سلعة سياحية كمالية، وأن بدعا جاءت من السعودية عززت هذا الوضع وشكيا من مراعيد الحكومة التى لاتتوافق مع مواعيد الرزق بالمكان ذات الطبيعة الخاصة. وقالت الأخت ان الطريقة البرهمية لازالت اكثر الطرق الصوفية استهلاكا للسج. وأن أغلى مسبحة ثمنها ٣ جنيهات، بينما كان ثمن المسبحة «اليسر» زمان يصل الى ٢٠٠ جنية».

وقال «عم محمد» بائع الجرائد فى ساحة

الحسين ان الناس الآن تحب الهايفة، وفسر اقبال الناس على جريدة «الأخبار» بانه اقبال على الأشياء التى لاعلاقة لها بالسياسة مباشرة كالفن والجريمة والرياضة. وقال عم محمد ان البوليس يضايقة، وقد جرجره الباشا منذ أيام، وشد ابنه كذا قلم بلاذنب، مع أن الجرائد فى أوروبا تباع فى كل مكان كما يقول وقد تدخل قريب له فى الحديث- قال ان اسمة «على شميس» ليؤكد بلهجة نارية، كأنها تنتقم من مجهول : اليه الصحافة بقت منافقه حتى الرياضة بقت منافقة.

اللاخلا الصحافة تخاف، الشعب مش حيخاف وقال، وصوته يعلو، حتى ظننت ان الأمر سيقلب بخناقة.

– الأطفال برضه حتشترى صور عبد الناصر من هنا.. ولو انهم لم يعرفوه ولم يشاهدوه.

وعندما جاءت سيرة «الأهالى» ودورها فى ازاحة زكى بدر قالت دلال ابنة عم محمد انا حبيت «الأهالى» و«الشعب» علشان كده.

فرد عم محمد:

– بيمش زكى بدر ... بيجى زكى قدره وحياة الشهدده (الشاى الذى أمامه) الأوضاع فى البلد ماتخلصنيش

انضمام الى الجمالية

يذكر أن قرارا وزاريا صدرفى عام ٦٧ بضم شياختى الأزهر والحمزاوى، الى قسم الجمالية، الذى عاش فيه ناصر بعض سنوات طفولته ، وفى ٦٨ تم تسمية شياخة اليهود الربان باسم شياخة جوهر القائد، كأثر من آثار يونيو كما هو واضح، كما ضم شياخة اليهود القرائين الى شياخة بين السورين

أحمد فؤاد نجم قال لى

– ياابنى ماتتعبش نفسك فى التفسير انت ترصد وبس حتلاقى هنا ناس تسب بالدين، ولوجابت سيرة الحسين، تاكل ضرب، مياكلوش ... ، هل نقول انهم كفرة وفسدة أم نفهم؟.

ويضيف : ليست صدفة ان الناس احتضننت الشهيد الحسين هنا فى الوقت الذى دمرت فيه آثار الآخرين .. انه البطل الشعبى فى خيالهم . لقد جعلوا منه أوزوريس (بظن أن كل جزء منه فى مكان). جريا على طريقتهم فى التمصير، ولم يصدقوا كل ماورد فى دراسات علمية تشك فى مجئ جثمان الشهيد الى مصر.

عند هذا الحد جاء الفنان «سعيد عبيد» فقال«نجم»

– سعيد يغنى فى رمضان، وفى وكالة الغورى، مع جيش التواشيح، الحانا لحسن الموجى، وكلمات لمحمد جاد. نفس تشوف كيف يستقبلهم الناس وكيف يستقبلون مايسمون بالنجوم.. لنجوم الاذاعة والصحافة والتليفزيون والجاز (النفط وإعلامه) ؟

فى رمضان يختلف المكان هنا لأن الشهر يتيح لمخزون الفن ان يخرج.. فن الغناء والرقص والمواويل والموشحات. ذلك الفن المشحون بالروح الصوفى الشجى الأصيل، بعيدا عن صوفية الموظفين البارده، والأرزقجية أياها طبعا- ويضيف: الناس تمارس الدين نفسه كطقس فنى، وعندما اسمعت الموسيقار اليونانى تسجيلا لأصوات الآذان فى المنطقة قال : هذه سيمفونية كاملة الأركان، بصرف النظر عن عدم فهمى للكلام.

مرة أخرى أتى الحاضرون، وهم من أهل الحتة، على سيرة الناس اللى ربنا اكرمهم وعطاهم الدرجة «سيدى يحيى»، و«الست فاطمة النبوية» «وابو اليمين» – اخو سيدنا يوسف فى الرضاعة؟- وعبد الله ابن أبى بكر

وتذكر نجم فرق الضنهبجية التى مصرناها عن المغاربة، وأخذ ينشد عنهم : يابيض يصبحكم بالخير.. ياسمر يسعد مساكم أنا بامسى وباصبح .. علشان حبيبى وياكم

وعدت أنا للفلاح فى، فاستمعت فى صدرى صوتا قديما لمنشد القرية، يغنى للسيدة زينب:

حنّى علىّ ح ... ياأم الحنان حنّى

عشر سنين ياسيدة... وانا عاالباب مستنى!

وبحث د. سيد عن كتاب ابن اياسى ليتأكد من صحة تحليل نجم لشخصية طومان باى، وكلماته الأخيرة لسليم الأول. واستغل نجم حالة الوجد الانسانى فينا، فاطلق فتوى أخرى مفادها أن عبد الناصر أفسد الأزهر، تماما كما يقول المحافظون، ولكن بمثل ماأفسد المحافظون انفسهم الأزهر

كيف؟

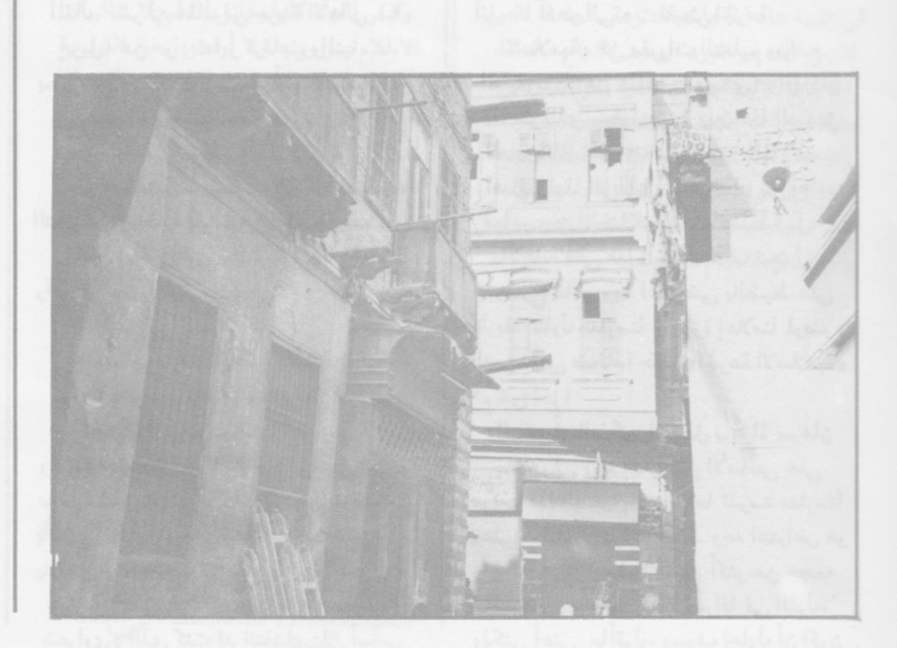
قال: قدم الطرفان فى كل تصوراتهما حلولا وسطية تشبه أن تترجم نيرودا بالعامية. وتحاشى الاثنان الاقتراب من الأزهر باعتباره بؤرة الشعور الشعبى للشعب المصرى. لأن ذلك ببساطة كان يعنى نفيهما معاً.

وواصل: من أجل هذا فالأزهر الآن قد يؤثر فى بلاد بعيدة لكن تأثيره على المكان محدود للغاية.

قلت ذكر الاستاذ طارق البشرى فى سفره الجميل «المسلمون والأقباط..» ان الأزهر كتب عليه أن يكون معقلا لدعم لرفض الشعبى بسبب فقر طلابه، ودعم السائد المحافظ بسبب نظامه التعليمى والمؤسسى.

قال نجم: نعم ولكنه منذ ١٩٥٢ لم يقدم حتى الآن وجها للحياة الوطنية والانسانية، يستحق الوقوف عنده. تماما كما لم تقدم الجمالية الا محمود العربى فى السنوات الأخيرة !!

تحقيق :مصباح قطب



عن التطرف والفتنة والنهضة

حسن الهنا



كنت قد كتبت فى العدد الماضى من «اليسار» أنتقد كتاب المطالعة المقرر على الصف الأول الاعدادى بسبب قيامه على فلسفة فى «تحريم الحلال»، أرفضها برمتها فاعطيت أمثلة متعددة لما يتضمنه هذا الكتاب من شعر ونثر، تتعلق بالدين او الوطن او الطبيعة او العلوم والفنون، تبين ان المؤلف، فى كل هذه الموضوعات لايتكلم الا فى الدين، رغم المفروض أن الكتاب فى المطالعة أو الادب او اللغة وليس فى الدين الذى له مقرر آخر وكتاب آخر واستنتجت من تحليلى للكتاب ان فلسفة وزارة التعليم عندنا، فيما هو الحلال وماهو الحرام يمكن تلخيصها دون تجن أو تعسف بأن كل شئ تقريبا فى هذا الدنيا حرام ألا التعبد، فكل مايتعلق بالمرأة حرام، وكل العلاقات الانسانية محذوفه، والكلام فى الفنون يتم فى حذر شديد وينتهى بصورة او بأخرى الى التعبد... الى آخر كل ذلك مما لا أريد اعادة ذكره.

وفى نفس الاسبوع الذى نشر فيه هذا المقال، نشر لى مقال فى جريدة الأهالى (٤ إبريل) عن حوادث ابو قرقاص والمنيا، مما يسمى «بالفتنة الطائفية»، وأشرت فيه الى ان من بين أسبابها الرئيسية هذا الذى ذكرته حالا:

أن سياستنا التعليمية والاعلامية تشجع التطرف وترسخه، بل انها هى نفسها متطرفة، فالذهاب فى تحريم الحلال الى هذا الحد، وتحويل الدنيا كلها الى دين ولاشئ غير الدين هو التطرف بعينه.

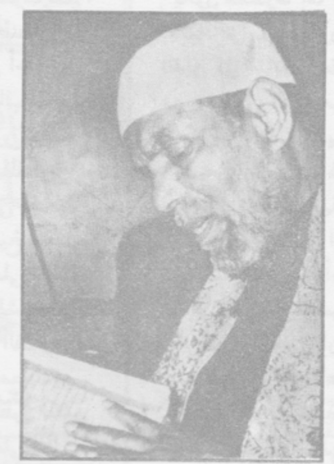
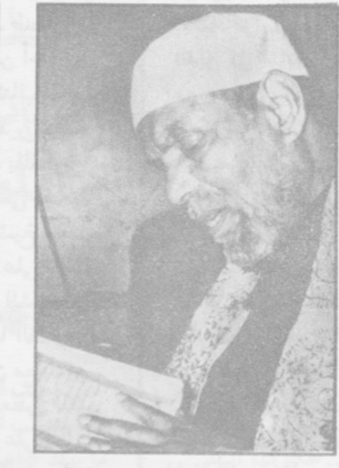
وقد جاء رد فعل القراء للمقالين كما توقعت: ترحيب واسع بهذا الرفض لتحريم الحلال ولتطرف سياستنا التعليمية والاعلامية، وتأكيد الكثيرين لى أنى عبرت عن مشاعرهم فى هذا الأمر. كنت توقعت بالطبع الاعتراض من البعض، وقد حدث هذا بالفعل أيضا، فنشر الاستاذ «أنيس منصور» مثلا فى عموده بالاهرام دفاعا عن «الشيخ شعراوى» الذى كنت قد انتقدته على أساس أن كثيرا من تفسيراته للدين من شأنها تشجيع التطرف، فنفى «أنيس منصور» ذلك بطريقه ضعيفة ومتهافتة لدرجة تفصح على الفور بأن كاتبها لايشعر بصدق مايقوله، فاعتبرت أن الامر قد انتهى، لايحتاج الى مزيد من الكتابة منى فى هذا الموضوع.

على أن الذى حدث أن كاتبا أسلاميا معروفا، هو من أحب الناس الى نفس، جمعتنى به ندوة لمناقشة الفتنة الطائفية، وبدرت منه عبارة فى معرض الرد على، استوقفتنى ونكأت الجرح الذى كان قد بدأ يلتئم واذا بالامر يثور فى ذهنى بأكمله من جديد مما دفعنى لأكتب هذا المقال لليسار.

قال الصديق العزيز إنه لايعترض على مراجعة ما تدرسه المدارس للتلاميذ، وما تبثه وسائل الاعلام على الناس، ولكنه اشتم من مقالى أننى ادعو الى ما يمكنه تسميته «تقليل الاسلامية» أى تخفيض «الجرعة الاسلامية» فى المدارس ووسائل الاعلام، وهو مالايوافق عليه.

أثار هذا الاعتراض يقظتى الكاملة. هل أنا حقا أدعو الى «تخفيض الجرعة الاسلامية» فى مقررات التعليم وبرامج التليفزيون؟ هل هذا هو مقصدى؟ واذا كان هذا هو الذى سيفرق بينى وبين هذا الصديق العزيز الذى طالما اتفقت معه، وطالما اتحدت اهدافنا لهذا الوطن وأسباب تألمنا من أجله، فماهو وجه الاختلاف بيننا بالضبط؟ بل أن الاجابة على هذا السؤال سوف تبين لى بوضوح ماهو وجه اعتراضى بالضبط على طريقة تناول مدارسنا وأجهزة إعلامنا لموضوع الدين. أهى ضخامة حجم «الجرعة الاسلامية» أم شئ اخر؟

والواقع أن التفكير لم يطل بى، اذ سرعان ماتبين لى وجه اعتراضى الأساسى على موقف هذا الصديق، وعلى ما تدرسه مدارسنا وعلى ماتبثه أجهزة الاعلام. وجه اعتراض هو أن كل هؤلاء يعطون الدين أكثر من حجمه الطبيعى. وقد يبدو هذا اسرافا فى القول، ولكنى أعنى ما أقول، وسوف احاول أن اكون

الشعراوى



أنيس منصور

على أكبر قدر من الوضوح

الدين ، فيما يبدولى، ليس هو الحياة، ولايمكن أن يكون، بل هو جزء منها، ويجب أن يبقى كذلك، بل هو فى الحقيقة دائما كذلك شئنا أم أبينا ، رغم غرام الكثيرين بالتظاهر بعكس ذلك.

إن أبسط تأمل لنفسى يدلنى على أنى جسد وعقل وعاطفة، وانى أفترض أن الآخرين من حولى هم مثلى جسد وعقل وعاطفة، وأن لكل عنصر من هذه العناصر الثلاثة لكيان الآدمى حاجاته، والدين يلبى بعض هذه الحاجات ولكنه لايلبيها كلها. وأن ما ابتدعه الانسان فى تطوره وتقدمه المستمر، من تكنولوجيا وآداب وفنون الى تنظيمات اجتماعية .. الخ تنضم الى الدين فى تلبية هذه الحاجات المتنوعة. معاملة الدين إذن، وكأنه هو المورد الوحيد لاشباع مختلف الحاجات الانسانية من تغذية لعواطفة، الى قضاء حاجات جسده الى اشباع حب استطلاعه ونهمه الرائع للمعرفة، هذه النظرة للدين هى نظرة قاصرة وغبية ومدمرة والاديان كلها تعترف بحاجات الانسان المتعددة والمتنوعة، ومن فضل الاسلام على غيره من الاديان أنه اكثرها جميعا ، فيما أعلم، اعترافا بتنوع وتعدد هذه الاحتياجات الانسانية، وتسليما بنوازع الانسان الطبيعية واحتراما لها. من أشد تفسيرات الأديان غباء، وهى إذن ، تلك التفسيرات التى تنكر هذا التنوع للاحتياجات الانسانية، وأنا أضم تحت هذه التفسيرات تلك النظرة التى تجعل الحياة كلها دينا، وتعتبر الدين هو كل الحياة وليس جزءا منها.

انى أعتبر هذا الكلام من قبيل البديهيات، وأكاد أعتذر للقارئ سوى النفس والعقل عن مجرد ذكره، ولكن الأمر وصل بالكثيرين الى درجة من إنكار البديهيات حتى أصبح من الضرورى من حين لآخر تكرار هذه البديهيات من جديد.

عندما أقول إن الدين جزء من الحياة وليس الحياة كلها، فانى بالطبع لا أنكر أن الاسلام دين ودنيا ولا أرفض اتخاذ الشريعة الاسلامية مصدرا اساسيا للتشريع.. الخ وإنما أقدم معنى معينا لكلا الدعوتين، وأرفض معانى آخرى لهما. الاسلام دين ودنيا، نعم لانه نظم علاقة المرء بربه وعلاقاته الاجتماعية أيضا (أو جزءا كبيرا منها) ولكن هذا شئ والقول بأن الدنيا كلها دين شئ آخر. فلتكن الشريعة الاسلامية أساساً للحكم، وأهلا بها وسهلا، وليحكم الاسلام حياتنا كما يحكم علاقاتنا بربنا، لكن هذا لايعنى بالمرة أن تتحول حياتنا كلها الى عبادة ، أو آن تتوقف كل انواع النشاط الانسانى لنتفرغ للصلاة والصيام. وان تتحول الكتب المدرسية كلها الى كتب فى شرح الفرائض والعبادات، وان تتحول برامجنا التليفزيونية والاذاعية كلها الى برامج دينية. انى ازعم ان هذا المسلك هو مجرد تفسير واحد معين للدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية، وتفسير واحد معين للقول بأن الاسلام دين ودنيا، وهو تفسير سقيم ومرفوض. فاذا كان صديقى المفكر الاسلامى الكبير يقصد هذا عندما يحبذ ويشجع زيادة «الجرعة الاسلامية»، فانى أخشى أن يكون هذا هو الفراق بينى وبينه. واذا كانت حالة كتب المطالعة والتاريخ التى تدرس فى المدارس وأحاديث الشيخ الشعراوى فى التليفزيون، اذا كان هذا كله يحوز رضاه ويعتبره جرعة مطلوبة من الاسلام، فانى أخشى اننا لايمكن أن نتفق.

أن هذا الفهم هو الذى يميز، فى رأيى ، بين موقف مفكرين اسلاميين، مستنيرين حقا، للاسلام، كالشيخ محمد عبده والشيخ عبد

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

السياسة التعليمية والاعلامية تشجع التطرف

الديـــن جزء من الحيـــاة وليس الحياة كلها

الوهاب خلاف والشيخ محمود شلتوت مثلا، (بل رأضيف اليهم الشيخ محمد طنطاوى فى حدود ما أستطيع أن اتبين من أحاديثه وتصريحاته)، وموقف هؤلاء الكتاب المحدثين الذين تكتظ بكتاباتهم الجرائد والاذاعة والتليفزيون والأرصفة، والمسمية بالمفكرين أو الدعاة الاسلاميين، والذين يسمى بعضهم بالمستنيرين. ان رجالا مثل الشيخ محمد عبده او الشيخ خلاف او الشيخ على الخفيف (وقد تشرفت بالتتلمذ على الشيخين الاخرين فى كلية الحقوق، عليهما ألف رحمه) هؤلاء لم يكونوا قط يتعاملون مع الدين وكانه هو كل الحياة، بل كانوا يعطون للدين «حجمه الصحيح»، ولاينكرون على الناس طيبات الحياة، لمجرد أنها لا «تتدرج» تحت عباءة الدين: الدين يعترف بها ولكنه لايحتويها.

هؤلاء الرجال العظام كانوا يتمتعون، فيما كانوا يتمتعون به، وفضلا عن الذكاء الفذ والعلم والحكمه، بالقدرة على تذوق الأدب وفهمه والاستمتاع به، وكلهم كانوا ممن يمكن وصفهم الآن بأنهم «أصحاب نكته»، يعرفون كيف يضحكون ولا يستحوت من الضحك، ولا يتظاهرون بالتجهم ليضحكوا فى الخفاء. يعكس هؤلاء الذين رزقنا بهم فى آخر أيامنا، من أصحاب الوجوه المتجهمه أبدا، أو الذين يتجهمون عمداً لأن «الحياة يجب أن يكون كلها دينا» والدين عندهم هذا الشئ الذى يتنافى مع أى سمة من سمات الطبيعة البشرية

حينما أقول إن الدين يجب ان يكون له حجمه الطبيعى، يتبادر الى الذهن على الفور حياة أوربا فى العصور الوسطى. فالذى يجعلنا دائما نضم العصور الوسطى بأنها عصور الظلام، ويجعلنا نخشى أن يكون ما يحدث فى بلادنا هو «عودة الى العصور الوسطى» وليس أنها كانت عصورا متدينه، ولكن أن الدين فيها كان يحتل حجما غير طبيعى. كان الدين يقحم فى أصغر تفاصيل الحياة اليومية كما كان يقحم فى اكتشافات جاليليو، يستخدم فى اخماد صوت العلم وفى حرمان الناس من أى تعبير عن أية عاطفة إنسانية: فلاكتابه إلا فى الدين، ولا أدب الا اذا كان الدين موضوعة ولارسم ولانحت الا لموضوعات دينية، ولاموسيقى إلا للعزف فى الكنائس. ولكن هذا العصر المظلم فى تاريخ أوربا هو أيضا أشد عصور أوربا نفاقا والسبب واضح كالشمس وهو أن اى محاولة لاعطاء الدين حجما أكبر من الحجم الطبيعى لابد أن يكون مصدرها إما نفاق أو مرض. ذلك أن الأشخاص يستطيعون بالفعل أن يجعلوا من الدين كل حياتهم، حقا وصدقا، فى أى عصر من العصور، الذين من ذلك هم الصنف النادر جدا من الناس الذين يتمتعون بقدرة غير طبيعية على كبت غرائزهم وانكار ميولهم ونزعاتهم الانسانية الطبيعية. هؤلاء هم الأنبياء والقدسيون العظام، ولكن هذا ليس شأن بقية الناس من أمثالنا ضعاف البشر فاذا تظاهر أحد منا بعكس ذلك فهو على الارجح مريض او منافق. إن الشخصية التى طالما تردد ظهورها فى الأعمال الادبية وفى المسرح والسينما، وهى شخصية رجل الدين المنافق، الذى يتظاهر بالتدين وهو يرتكب أفظع الخطايا فى الخفاء، يتكرر ظهورها فى الاعمال الادبية فى مختلف الثقافات وعلى مر العصور، ليس بالطبع لأن كل رجال الدين من هذا النوع، ولكن لأن التظاهر بالتدين كان دائما وسيلة فعالة للخداع، وايضا لان مايبدو لنا تدينا، متى تجاوز درجة معينة يكاد أن يكون بالضرورة نفاقا، لأن الطبيعة البشرية لاتسمح بهذه الدرجة من التدين الا، كما قلت لنسبة بالغة الضالة من الناس، ومايبدو على العكس ذلك يثير دائما شبهة النفاق.

قال لى مشترك آخر فى الندوة وهو يوصف دائما بالمفكر الاسلامى المستنير، وقد تبين لى مؤخرا أنه ليس كذلك، «إن هذا ليس موضوعك»، قاصدا أننى لست من المتفقهين فى الدين فالأفضل لى ولأمثالى أن نكف عن الكلام فى هذا الموضوع. وقاصدا ايضا أن يقول «اترك هذا الأمر لأمثالنا ممن يعرفون الدين حق المعرفة». وانا أعترف له أننى فعلا لست مثله من المتفقهين فى الدين، ولكنه هو وأمثاله ذهبوا الى حد تصوير أن الحياة كلها يجب أن تكون دينا، وكان الهواء الذى نستنشقه يجب أولا أن يعرض على مجلس من كبار العلماء ليقرر ما اذا كان استنشاقه حلالا أو حراما. اذا كان الأمر قد بلغ هذا الحد فلا أقل من أن يسمح لنا «المفكر» الكبير بأن نناقشه فى الأمر، رغم صغر عقولنا وضالة علمنا بالمقارنة بعقلة وعلمه، وقلة تفقهنا فى الدين بالقياس الى عميق تفقهه. فانا فى الواقع لا أتكلم فى الدين الآن، وانما فى الحياة ولا أتكلم عن مظاهر التدين وطقوسه، بل عن إمكانية الحياة خارج نطاق هذه المظاهر والطقوس. ان هذا المفكر المستنير وأمثاله، قد يكونون مستنيرين حقا فى بعض ما يقدمون للدين من تفسيرات، ولكن من المؤكد ان

لابد من احترام تراث الجميع مسلمين وأقباط



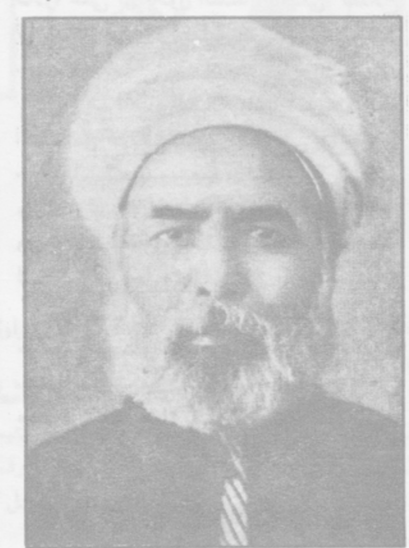
تفسيرهم للحياة «ليس مستنيراً»، او انهم يتظاهرون بعكس مايعتقدون، ومن ثم فانهم آخر من أستأمنهم على حكم هذا البلد والتحكم فى أهله. فاذا كان تفسيرهم للحياة هو حقا مايقولون: أن الحياة كلها يجب أن تتحول الى صلاة واحدة طويلة، من ساعة الميلاد حتى ساعة الموت، واذا كان التدين فى نظرهم يجب أن يعلن عن نفسه باستمرار، فلاصلاة إلا أمام الناس، ولا أذان إلا بميكروفون، ولاقصة إلا اذا كانت قصة دينية، ولاحب إلا اذا كان لله أو الأم، فانى لا أريد أن اعيش فى بلد يحكمونه، واذا كانوا يتظاهرون فقط بذلك وهم فى حياتهم الخاصة يرتكبون شتى الموبقات، او كانوا يقولون ذلك رغبة فقط فى تملق العامة، وهم لايؤمنون بما يقولون، فأنى لا أستأمنهم لحظة على نفسى أو على أولادى.

ان كل هذا وثيق الصلة بالطبع مما يسمى بالفتنة الطائفية والعلاقة بين المسلمين والأقباط. ففى مناخ يعطى الدين أكثر من حجمه الطبيعى، المباح فيه هو فقط ما اتصل بالدين بصلة، وتتحول المدارس فيه ووسائل الاعلام والثقافة لالنشر قيم الدين بل «للدعاية الدينية» الأشبه بوسائل ترويج السلع، ويتحول فيه نشاط النقابات الى نشاط دينى.. الخ و فى مناخ كهذا يصبح القبطى محلا للاجحاف والظلم فى كل لحظة فحياته تسلب منه جزءا فجزءا، تنزع ملكليتها وتحول الى ملكية شائعة لأصحاب دين الأغلبية، فكتب المطالعةوالتاريخ ليست له، والاذاعة والتليفزيون والصحف ليست له، والنقابات ليست له، بل كلها لأصحاب دين الأغلبية، وتسميه الأقلية فى هذه الحالة بالمواطنين تتصبح نكته فاسدة الذوق

ولكن الأمر فضلا عن ذلك ينطوى على خطر آخر. وهو أن الحياة عندما تصبح كلها دينا لايبقى معها مجال للتسامح الدينى، فالالحاح المستمر «فى كل مجالات الحياة»

على وصف الشخص أو الشئ وتحديد هويته بأنه ينتسب او لاينتسب الى الاسلام وسرعان ما يولد كراهية او نفوراً من الشخص أو الشئ الآخر الذى لاينتسب للاسلام، ومن ثم يصبح قبول الآخرين والتسامح معهم من قبيل المستحيل، حتى ولو كان الكلام فى الدين يتضمن دعوة شكلية الى التسامح مع الآخرين. ان التطرف ليس شيئا غير هذا أنه تحويل الحياة كلها الى دين. اما الخطوة الثالثة، وهى أن يلتقط المرء سكينا ليطعن به آخر او ان يحرق له كنيسة، فهذا ليس تطرفا بل اجراماً، على الرغم من شيوع أسماء مختلفة للأمرين. الاجرام سمى، على سبيل التساهل بالتطرف، والتطرف سمى تدينا.

بل أن تحويل الحياة كلها الى دين، على النحو الذى وصفته، ويفسد علينا أيضا قضية النهضة بأكملها. فالدين لكى يكون طريقا مؤديا للنهضة يجب ألا يتجاوز حجمه الطبيعى، اذا انه يتحول فى هذه الحالة ليس الى قوة اجتماعية دافعة للتقدم، بل للدروشة


محمد عبده

والانهيار النفسى. وبدلا من أن يتحول الدين الى قوة اجتماعية يتحول فى أحسن الفروض الى وسيلة للخلاص الروحى للفرد، كل شخص يحاول أن ينجو بنفسه منفردا من النار، لا أن يضم جهده الى جهود الآخرين لاعادة بناء الامة التدين الذى يبنى الأمه هو هذا الذى يبقى جزءا من الحياة ولايبتلعها ابتلاعا، واحترام التراث الذى يمكن ان يكون نقطة انطلاق نحو الابداع، هو احترام تراث الجميع، مسلمين وأقباطا، وليس احترام تراث البعض، ولوكانوا أغلبية، وتحقير تراث الآخرين.

هذه هى الأسباب، ياصديقى العزيز، التى لاتجعلنى متحمسا لزيادة «الجرعة الدينية»، التى تتكلم عنها، وهذه هى ايضا أسبابى لتخفيض هذه الجرعة بدلا من زيادتها، قد تقول إن المطلوب ليس هو تخفيض الجرعة بل تعديل مضمونها «وترشيده»، وقد تكون على صواب، ولكنى لايهمنى كثيرا الاسم الذى يجب أن نطلقه على ما يتعين عمله. كل ماأريد أن أقوله هو أن المناخ القائم الآن، سواء كان جرعة زائدة أو جرعة ذات محتوى غير رشيد، هو مناخ سئ للغاية وخطير الى أبعد الحدود. فاذا كنت راضيا عنه ولاتجد فيه غضاضة، ولا تنزعج له الانزعاج الواجب، كما يبدو لى من أقوالك ومواقفك الاخيرة، فان الخلاف بيننا، فيما يظهر لى، يصعب جبره، والصدع الذى بين آرائنا يبدو ان من الصعب رأبه، والارجح ان اختلاف الرأى فى مثل هذه الأمور، وياحسرتى الشديدة، سوف يفسد بالفعل ما بيننا من مودة

د. جلال أمين



الحياة.. بقى لونها مش "بمبى"!







ـ عايزكم تكتبوا فى وصيتى إنى "أتدفن" فى الصندوق ده ..!!



ـ أنا معرفش لا القرن العشرين .. ولا القرن الواحد وعشرين .. أنا اعرف بس "قرن الغزال" ..!!



ـ أنا عارف طبعاً أزمة المساكن .. ما عندكوش أى "طربه" انشالله ٣ نجوم لزوم يومين العسل ..!؟



فى سنوات توهج الراحل الفنان صلاح جاهين كتب لمصر انتصاراتها فى اجمل وروائع الاغانى الوطنية التى صاغها بوجدانه.. ورسخها ايضا فى وجدان الملايين صوت عبد الحليم حافظ بكل عذوبته.. وحبه للوطن..

لكن عندما إنكسر الوطن فى هزيمه ٦٧.. انكسر صلاح جاهين.. وانكسرت الاحلام وتحطمت.. وبدأت مصر فى الدخول الى نفق مظلم لم تصل الى مشارف نهايته حتى الان.. وفى لحظات صحوه الموت حاول صلاح جاهين أن يتبسم ويقول «الحياة بقى لونها بمبى»..

وكان ضحك وكأنه البكاء.. فالحياة لم تعد «بمبى».. وكل شئ اصبح اكثر ايلاماً وقسوة ورعباً.. كل القيم .. كل الاخلاق.. كل المواطنين سحقتهم عجله انفتاح السبعينات.. والحياة «البمبى» التى كانوا ينتظرونها.. وويل لامه ضحكت منها سياساتها..

الف رحمه لك ياجاهين.. والف رحمه على حياتنا سواء كانت بمبى او كحلى..!!



- تصرفاته مش طبيعيه يادكتور .. تصور انه مصدق ان فيه حاجه اسمها وزير التموين ..!؟



- مش المشكله فى ده .. المشكله
قطاع خاص ولّا عام .. ؟



- أنا فاهم يافندى .. تطوير التعليم يعنى يخلونا " طور الله فى برسيمه " .. !!



- مفيش معنى لحبنا .. أصله حايتغير - زى



هل الهرم الاكبر
!!؟



- ايه رأيك بأه .. انا أبيعك واشتريك زى القطاع العام كده ..!!

الشركات المتعثره ..!!



- وابعت برقيه لمسز تاتشر وقول لها " كله تمام .. والفله فى الفانله .. والفيل فى المنديل " ..!!

وقائع ماجرى

الرابطة الشرقية وتهمة الإلحاد

إلحاد أم تجديد؟
حقيقة النزاع بين تيارين فكريين

فى الحاضر تهتم كل دعوة الى إصلاح اجتماعى أو اقتصادى أو سياسى راديكالى من جانب السلفيين وغير المستنيرين من جماعات الاسلام السياسى- بالإلحاد والكفر والمروق عن الدين. ومن الناحية الموضوعية وبصرف النظر عن النوايا فإن مثل هذه الاشاعات تصب فى مجرى مصالح الحكام العرب الذين يمتصون دماء شعوبهم ويستولون على ثروات هذه الشعوب ويتحالفون مع الاستعمار الحامى لاسرائيل ويقفون ضد مصالح فقراء هذه الامة العربية، يفعلون هذا كله «تحت رايه الاسلام» وباسمه.

فهل كان الماضى مختلفا أم أننا نشهد اليوم، مع اختلاف فى الظروف، نفس المعارك الفكرية بين دعاة الاصلاح والتجديد وبين دعاة الجمود والتزمت الذين يشهرون أيضا ضد خصومهم سلاح الالحاد واللادينية أملا فى كسر شوكة حركة الاصلاح والتجديد.

لعل فى قصة الرابطة الشرقية، أو بالاحرى مجلة الرابطة الشرقية، والتى دارت المعارك الفكرية حولها فى مصر فى أواخر العشرينات (١٩٢٨-١٩٢٩) مثال على ما يحدث اليوم ويذكرنا بالماضى الذى ليس بالبعيد.

أنشئت الرابطة الشرقية فى العشرينات ضمن إطار الجامعة الوطنية التى لفت نظرها التقدم العارم الذى حققته دولة مثل اليابان فى عصرها الحديث ومنذ القرن التاسع عشر، ثم جاءت قيادة أتاتورك لدولة تركيا فى العشرينات ومشروع بنائه للدولة الحديثة فأثارت إعجاب الكثير من الوطنيين فى مصر، وكانت هناك محاولات للاصلاح وبناء الدولة الحديثة فى أفغانستان على يد ملكها أمان الله خان، وفى ايران على يد الشاه. وكل هذا قد ساعد على تبلور فكرة إنشاء الرابطة الشرقية فى مصر بهدف دعم محاولات الاصلاح تلك والتضامن معها والاستفادة من بعض توجهاتها.

ولقد جمعت هذه الرابطة فى عضويتها رجالا من توجهات سياسية وفكرية مختلفة من بينهم عبد الحميد البكرى وأحمد شفيق باشا والشيخ رشيد رضا صاحب جريدة المنار فضلا عن العديد من الليبراليين من مثقفى حزب الأحرار الدستوريين.

وفى عام ١٩٢٨ رأت الرابطة أن تصدر مجلة واختارت لذلك مجلس ادارة يتكون من البكرى رئيسا وأحمد شفيق مديرا للمجلة، وعلى عبد الرازق (صاحب كتاب الاسلام و أصول الحكم) رئيسا للتحرير، وأصدرت عددها الأول والثانى فى نوفمبر سنة ١٩٢٨ بأقلام على عبد الرازق ومنصور فهمى وطه حسين وأحمد أمين ومصطفى عبد الرازق وسلامة موسى وآخرين كثيرين.

ولم يكد يصدر العدد الأول حتى فتح الشيخ رشيد رضا فى جريدة المنار نيرانه على المجلة وكتابها متهما إياهم بالالحاد، ودارت معركة عارمة ذات أطراف أربعة:

الطرف الاول فيها كان هو الشيخ رشيد رضا، تلميذ الامام محمد عبده والافغانى، ولكن الشيخ رشيد كان قد تحول عن فكر الامام ودار حول نفسه مائه وثمانين درجة فأصبح من غلاة السلفيين والمعادين لحركة الاصلاح الاجتماعى بدعوى أنها حركة إلحاد. ومن اللافت للنظر أن تلك الفترة هى التى شهدت بداية نشأة حركة الاخوان المسلمين فى مصر على يد حسن البنا، وأن المؤرخين لتلك الحركة يذكرون دائما أن الشيخ رشيد رضا وجريدة المنار كانا هما الالهام الأول لتلك الحركة ولقائدها.

ولقد كتب الشيخ رشيد رضا عدة مقالات فى الهجوم على مجلة الرابطة الشرقية تحت عنوان (مجلة الرابطة الشرقية، ودعاية التجديد الالحادية واللادينية) حمل فيها على كتاب المجلة فوصف محمد حسين هيكل بأنه رئيس تحرير جريدة السياسة داعية الثقافة اللادينية، وأحمد أمين باعتباره، أحد أركانها، وطه حسين باعتباره من كتابها ومنصور فهمى باعتباره أستاذا لطه حسين فى الإلحاد، كما حملت على الشيخ مصطفى عبد الرازق (والذى أصبح شيخا للأزهر فى الاربعينات) لأنه ترجم مقالا لأحد المستشرقين يتضمن فى رأى الشيخ رشيد طعنا فى الاسلام دون أن يرد عليه. بعد الترجمة مباشرة. لكنه وجه نيرانا كثيفة ضد سلامه موسى بالذات فوصفه بأنه «عدو الاديان كافة والاسلام خاصة وعدو الآداب والفضائل الروحية وعدو الرابطة الشرقية من وطنية وجنسية لغويه، وداعية الكفر والوقاحة والتهتك!!»

الغريب أن مجلة الرابطة الشرقية عندما نشرت مقالة سلامة موسى فانما فعلت ذلك عملا بحرية الرأى وباعتبار أنه كاتب ذو شأن فى مصر، بينما كتبت مقدمة صريحة تذكر فيها أنها تختلف مع سلامه موسى فى آرائه.ولم يكن هذا غريبا فقد عارض سلامة موسى إنشاء الرابطة الشرقية ذاتها، وكان من رأيه أن المصريين والسوريين والعراقيين من حيث الدم سلالات آرية أى غربية لا تمت بأية صلة الى الصينين أو اليابانيين، وان اليابان لم تنهض إلا عندما تملصت من تاريخها وعاداتها وان علينا إن أردنا أن ننهض حقا أن ننضم قلبا وقالبا الى أوروبا و نصطنع حضارتها فى كل شئ.

أما «جريمة» طه حسين فى نظر الشيخ رشيد رضا فهو أنه كتب فى المجلة مقالا دعا فيه أن يركز الازهر على تخريج دعاة للاسلام وحماه له، وأن يترك شئون الدنيا وأعراضها

لمن تعنيهم أعراض هذه الحياة الدنيا. وكان معنى هذا عند رشيد رضا هو أن يترك الازهر التعليم فى المدارس وغير ذلك من أعمال الحكومة والمصالح لمدارس التعليم المدنى، وهذا فى رأيه هو واعمال لمذهب فصل أمر الدين عن أمور الدنيا، وهذا هو الالحاد بعينه، وقد يكفى أن نشير الى بعض العناوين الفرعية لمقالات الشيخ رشيد رضا للدلالة على نهج فكره، عند تعليقه على مقالات مجلة الرابطة الشرقية، واليك نماذج من هذه العناوين الفرعية (خداع طه حسين للأزهريين بترك الدنيا للملحدين، دعاية سلامة موسى إلى الالحاد وهدم الاسلام، دعاية أحمد أمين الى التفرنج، رأى هيكل بك فى الحاجة الى دين جديد) مختارات مجلة الرابطة الطاعنه فى الاسلام... الخ،. ولقد استكثر بعض قراء جريدة المنار الاتهام بالالحاد لرجل مثل أحمد أمين صاحب كتاب« فجر الاسلام» فكتبوا إلى الشيخ رشيد يذكرونه بذلك وبأن أحمد أمين كان قاضيا شرعيا ومن خريجى مدرسة القضاء الشرعى، فكتب رشيد رضا مقالا فيما بعد يعتذر عن خطأه فى حق أحمد أمين لكنه تمسك بتوجيه تهمة «التفرنج» إليه. ولقد اتضح من مقال المنار هذا أن الشيخ رشيد يستخدم مفهود الالحاد بمعنيين.. فالأصل عنده أنه إذا قيل «ألحد فلان» فمعناه أنه مال عن الحق. ولذلك فالالحاد عنده نوعان ... إلحاد بمعنى الشرك بالله وهو المخرج من الملة، وإلحاد بمعنى توهين عرى الايمان وهو ماليس بكفر. وقال الشيخ رشيد إنه يستعمل الكلمة بالمعنى العام الذى يشمل النوعين أحدهما أو كليهما!!

أما الطرف الثانى لتلك المعارك الفكرية فهو جماعة الليبراليين من سلالة حزب الامة، وهم جهرة المثقفين اللذين التفوا حول حزب الأحرار الدستوريين. ولقد تصدى للرد على الشيخ رشيد رضا اثنان أولهما رئيس تحرير مجلة الرابطة الشيخ على عبد الرازق، كما تصدى محمد حسين هيكل رئيس تحرير السياسة لذلك أيضا

فقد كتب الأول مقالا طريفا بعنوان (نحن وصاحب المنار) قال فيه إن بينه وبين صاحب المنار خصومه قديمة معروفة (لعله يشير هنا الى كتابه «الاسلام وأصول الحكم» الذى أثار ثائرة قيادات الازهر المتعاونه مع القصر)، وأنه (أى على عبد الرازق) قد عرف لهذه الخصومة حقها وأراد أن يقف بها عند حدودها فلا يخلط بها ماليس له بها صلة أما الشيخ رشيد فإنه لم يصن نفسه عن التورط فى تلك الخصومة وإثارتها فى غير مواطنها واتهم على عبد الرازق صاحب المنار أنه حرف كلام المقالات عن مواضعه، وأوضح دليل على ذلك أنه وهو الذى يحتكر فلسفة الاستاذ الأمام (محمد عبده) ودعوته إلى الخير والاصلاح، قد حولها الى دعوة مظلمة ناشرة للظلمة مبيته باسطة لسلطان الموت جامدة مسرفة فى الدعوة الى الجمود «ولو عاش الاستاذ الإمام وشيخه جمال الدين ورأيا مثل هذه النهضة فى الامم الاسلامية (يقصد تركيا وافغانستان وإيران) لكانا بذلك أسعد الناس وأشدهم غبطة» واتهم رئيس التحرير صاحب المنار بأنه رجل يوجه الاتهام بالكفر يمينا وشمالا، ودليل ذلك أنه رمى عالمين جليلين من علماء الاسلام، هما صاحبا الفضيلة مصطفى عبد الرازق وأحمد أمين، بالإلحاد واللادينية. ثم دافع على عبد الرازق عن نشر مقال سلامه موسى قائلا بان سوء نية الشيخ رشيد فى هجومه ظاهرة للعيان «فلاستاذ سلامه موسى مسيحى يعرف الناس جميعا عنه ذلك، متطرف فى نزعته الى التجديد.. وقد أخذت مجلتنا على نفسها أن تكون لسانا للشرقيين جميعا لاتفرق بين أديانهم»، وهى حين نشرت مقاله أوضحت أنها لاتوافق على كل ماجاء فيه ونشرت تعليقا لمنصور فهمى يدافع فيه عن نظام الإرشاد الاسلامى

أما محمد حسين هيكل رئيس تحرير السياسة فقد نشر خلال تلك المعركة مقالا هاما فى «مجلة الجديد» بعنوان (حياتنا العقلية.. إلحاد أم إصلاح) تحدث فيه عن حوار دار بينه وبين صحفى فلسطينى حول اتهامات الشيخ رشيد رضا ، قال خلاله إن الالحاد لفظ ابتدعه قوم ليحاربوا به أمام الجماهير كل من يتصدى للاصلاح، وأنه من اليسير على الصحفى الفلسطينى أن يرى ذلك متى ذكر له المواقع التى يستخدم فيها هذا اللفظ.فقانون يراد سنه لاتقاء أضرار تعدد الزوجات ويراد به أن لايكون التعدد إلا لضرورة يقرها القاضى فيقال هذا إلحاد. وقانون آخر يراد سنه لاتقاء أضرار الوقف الاهلى الذى أصبح عند الناس ذريعة للفرار عن التوريث الشرعى كما أصبح عقبة اقتصادية فى سبيل التطور الحديث فيقال هذا إلحاد. وبنك يراد إنشاؤه ليودع الناس فيه أموالهم ويقبضوا عنه فائدة مقابل إستغلال البنك إياها فيقال هذا ربا والسماح به ، أو الدعوة له إلحاد. هذا مع أن إذن القاضى فى التعدد وفى الطلاق مما أفتى به علماء مسلمون من مئات السنين، ومع أن الوقف الأهلى غير جائز فى رأى أبى حنيفة، ومع أن الاشتراك فى فائدة الاستغلال هو شئ غير الربا المقصود به إرهاق المدين بفائدة لايصل المرء إليها من السعى الحلال. فهل يعتبر لفظ الإلحاد هذا الذى يقول به أصحابه .فى مثل هذه المواقف إلا صيحة حرب يريدون بها إغراء

تهمة الالحاد لعبة أعداء الإصلاح

صدر العدد الأول من المجلة.. ففتح عليها الشيخ رشيد تهمة الإلحاد

جريمة طه حسين أنه طالب الأزهر بتخريج دعاة الإسلام وأن يترك شئون الدنيا لغيره!

الجماهير بخصومهم إغراء قبيحا؟

وقال محمد حسين هيكل أن المشايخ لم يوافقونا فى مسألة تعليم المرأة إلا بعد أن رموا الداعين اليه بالالحاد واتهموهم بأقبح التهم، وأنه عندما يقرأ كتاب قاسم أمين (تحرير المرأة) الذى وضعه عام ١٨٩٩ يشعر وكأنه يقرأ كتابا من كتب القرون الوسطى. لقد انفق قاسم أمين اكثر من ثلث الكتاب للتدليل على أن تعليم المرأة لايخالف الدين، ومع ذلك فقد رماه مشايخ عصره بالالحاد والمروق والفسق وحرم وهو المستشار فى الاستئناف دخول قصر عابدين ومقابلة الخديو بسبب هذا الكتاب!!

وقال هيكل لمحدثه «فأنت ترى أن كل فكرة جديدة تقابل من جانب رجال الدين برمى صاحبها بالإلحاد حتى تستقر وتصبح من الأفكار المتداولة فيقبلونها طائعين أو كارهين. وانت ترى أن هذه الافكار لا علاقة لها بالايمان أو الالحاد فهى كلها أفكار اجتماعية بحته، وحرية الفكر التى ندعو لها هى الاخرى اجتماعية لاعلاقة لها بالايمان أو الالحاد»

بقى أن نشير الى الطرفين الاخرين فى تلك المعركة الفكرية، بعد أن تعرضنا للطرفين الاولين فيها (السلفيين ممثلين فى الشيخ رشيد رضا، والليبراليين ممثلين فى على عبد الرزاق وهيكل)

فقد كان لسلامه موسى، وهو الطرف الثالث، موقف آخر غير موقف على عبد الرازق، من قضية الاصلاح والتراث، وهو موقف كان متسما بالمغلاة فى الدعوة الى تبنى الحضارة الغربية بقضها وقضيضها بحجة أن المصريين آريون مثل الاوربيين، كما كان متطرفا أيضا فى موقفه من التراث، إذ دعا الى قطيعة كامله معه، وطالب أن ندير ظهرنا له.

ولقد رد ساطع الحصرى، وهو الطرف الرابع والاخير، على مقالات سلامة موسى متفقا معها فى أشياء مختلفا معها فى أشياء أخرى، خصوصا فى موقفه من قضية التراث.

وكان هذا الخلاف فى الرؤية أمرا طبيعيا، إذ كان ساطع الحصرى من أوائل الداعين الى الفكر القوى العربى.

ونستطيع فى هذا السياق أن نرصد مقالتين لسلامه موسى، الأولى نشرها مجلة الرابطة الشرقية، وهى التى ينتقد فيها فكرة الرابطة الشرقية أصلا. والثانية نشرها فى مجلة «الحديث» بعنوان (قطيعه مع الماضى) وقد نشرت المجلة المقاله رغم تحفظها المعلن على اتجاهها. ومن رأى سلامة موسى أن بعض الناس مصابون بعقدة التاريخ أو «عقدة السلف» فيتعلقون بكل ماهو شرقى ويكرهون العادات الغربية ويتكلمون عن آسيا وكأنها وطنهم. ومثال ذلك (الرابطة الشرقية) التى تدافع عن الشرق وعاداته وتاريخه. ومثل هذه الجهود توهم الناس أننا شرقيون مع أن الواقع كما يقول سلامه موسى - أننا ذوو سلاسات آرية!

ويقول سلامة موسى فى معرض حديثه عن التراث إن هذا الماضى الذى يطلب منا تمجيده هو بالنسبة لنا بمثابة عهد الطفولة للشباب، كله سخافات وجهالات ليس يصح الافتخار بها. فقد كان أسلافنا يؤمنون بالرق ويرتكبون فى سبيله أكبر الجرائم، وكانوا يعيشون راضين بالحكومة الاوتوقراطية ولم تكن قصور ملوكهم سوى مواخير تعج عجيجا بالنساء، بينهم فحل عظيم هو الملك أو الخليفة.

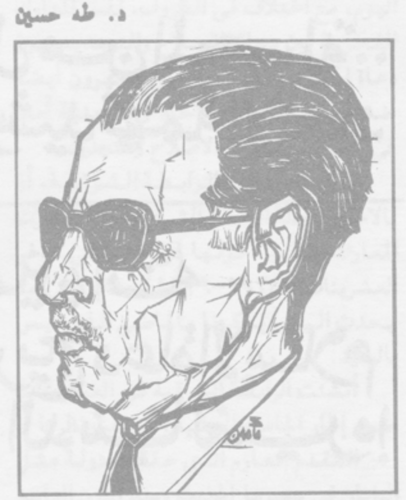
وبمناسبة الدعوة الى احترام الماضى أشار سلامه موسى الى ماذكره التاريخ من أن كيلو باترة كانت زوجة أخيها ومن أن أم عمروبن العاص كانت زوجة لأربعة رجال فى وقت واحد وماذكره الطبرى من أن يزيد بن المهلب كان قد أعطى الله عهدا لئن ظفر بأعدائه أن لا يرفع السيف عنهم حتى يطحن بدمائهم ويختبزمن ذلك الطحين ويأكل منهم. قال الطبرى: وبر يزيد بيمينه فطحن وأكل واختبز فهل مثل هذا السلف جدير بالاحترام؟

ودعا سلامة موسى الى قطيعة مع الماضى لأنه يخشى إن أشبعت قلوب الناس بالماضى أن يتجهموا للمستقبل فيرون فى المخترعات بدعا مكروها وينظرون للعالم الحديث نظرة العداء. وقال إن الاوربيين فى القرون الاوسطى كانوا يحترمون السلف ويعاقبون كل من يخالف رأيا من أراء أرسطو ويحرقون بالنار كل من يتجرأ على انكار شئ قال به الانجيل أو التوارة، فكانوا لذلك يعيشون فى ظلام

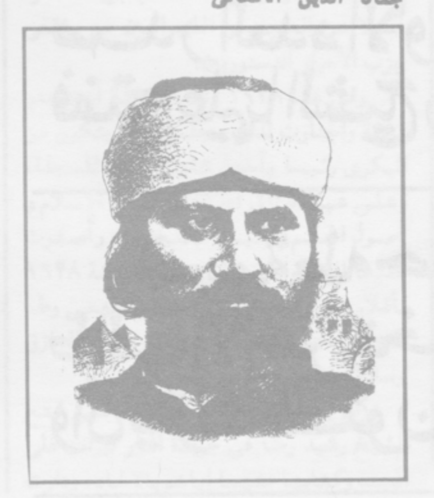
د. محمد حسين هيكل



د. طه حسين



جمال الدين الافغانى



قاسم أمين



الإلحاد لفظ ابتدعه قوم ليحاربوا به كل من يتصدى للإصلاح

"محمد حسين هيكل"

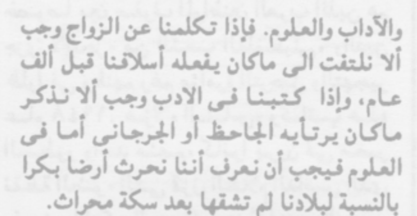
ويسودهم الاستبداد. فلما جاءت النهضة وقام كل من ديكارت وبيكون بالشك فى جميع ماقاله العلماء وشرع العلماء يدرسون الاشياء من جديد لايصدقون شيئا لاتقره التجربة أو الحواس.. ساد العقل وشرعت أوربا تخترع وتكتشف حتى طغى سبيلها على الشرق فاستعبدته، وحق لها أن تستعبده مادامت هى تنظر للمستقبل وتعد له عدته بينما الشرق ينظر الى الماضى ويتقيد بتقاليده.

أما ساطع الحصرى ، ممثل الفكر القومى العربى، فقد رد على سلامه موسى بمقال اتسم بالحكمه واتساع الافق. وقد ركز اتفاقه واختلافه معه فى ثلاث نقاط. فى الاولى يقول إن سلامه موسى ينادى فى مقالته أن نشرع فى اختطاط الخطط الجديده فى الأخلاق



سلامة موسى

بعض الناس مصابون بعقدة التاريخ أو عقدة السلف



"سلامه موسى"

والآداب والعلوم. فإذا تكلمنا عن الزواج وجب ألا نلتفت الى ماكان يفعله أسلافنا قبل ألف عام، وإذا كتبنا فى الادب وجب ألا نذكر ماكان يرتأيه الجاحظ أو الجرجانى أما فى العلوم فيجب أن نعرف أننا نحرث أرضا بكرا بالنسبة لبلادنا لم تشقها بعد سكة محراث.

إن الحصرى يعلن اتفاقه مع سلامه موسى فى هذه الملاحظات لأنه يعتقد بوجوب التجديد فى كل مناحى الحياة من أدبية وعلمية وصناعية وزراعية ودينية واجتماعية ويدرك حاجتنا الملحة الى تغيير أساليب التفكير المسيطرة على نفوسنا.

لكنه يخالف سلامه موسى فى ميله الى جعل فكرة التدين معادية للفكرة القومية كما فعل فى مقالات عديدة، كما أنه يخالف سلامه موسى فى دعواه بأن ماضينا كله سخافات وجهالات لايصح الافتخار بها»

وينبه ساطع الحصرى الى قضية هامه فى الحكم على أحداث التاريخ ورجاله، وهى ضرورة أن يكون هذا الحكم نسبيا، أى بالنسبة للظروف المحيطة به آنذاك وليس بالقياس الى درجة حضارة البشرية اليوم وينطبق نفس الشئ على كل رجل من رجال التاريخ. لذلك لايجد ساطع الحصرى غرابة أن يبجل الفرنسيون اليوم لويس الرابع عشر مثلا مع أنه كان من أكبر المستبدين، فلماذا لانفتخر بالمأمون وهارون الرشيد مع علمنا أن كلا منهما كان حاكما مستبدا؟

فى النقطة الثانية قال ساطع الحصرى إن سلامه موسى ينتقد جهود «الرابطة الشرقية» لأن مثل هذه الجهود توهم الناس أننا شرقيون مع أن الواقع عكس ذلك. والحصرى يعلن أنه ليس من الداعين الى الرابطة الشرقية ولامن القائلين بها لأنه لايعتقد إلا بالرابطة القومية (يعنى العربية)، ومع ذلك يشكك فيما ادعاه سلامه موسى من أن المصريين والسوريين والعراقيين من أصول آريه. ويتساءل هل كل الامم الغربية آريه ؟ فماذا إذن عن الهنغاريين و الفنلنديين والأستونيين. كما أن الفرس الأفغان والهنود من أصول آريه ما فماذا يمكننا أن نستنتج من ذلك؟

وأخيرا يستنكر ساطع الحصرى دعوة سلامة موسى الى قطيعة مع الماضى. وهو يقول الامم تركت كثيرا من تقاليدها القديمة كما أنها اقتبست جميع أساليب الحضارة الحديثة، لكنها لم تنكر تاريخها . لم يفعل اليابانيون ذلك وهم يقتبسون الحضارة الغربية وهم فخورون بتاريخهم الوطنى.

ويورد الحصرى فى رده بعضا من اقتباسات من كتاب غربيين فى تحليلهم للتجربة اليابانية حيث يقولون إن اليابان تأوربت ضد أوربه لكى تبقى أكثر يابانيه عن ذى قبل

فكيف يجوز لنا إذن أن نقول- كما يفعل سلامه موسى - إن إرتفاع اليابان يرجع الى تملصها من تاريخها وعاداتها ؟

ختاما فإن من دلالات ذلك العصر التى تدعو الى الابتسام أن صحيفة المنار قد وجهت أيضا تهمة الالحاد والثقافة اللادينية لا الى مجلة الرابطة الشرقية وحدها وإنما الى مجلتى الهلال والمقتطف أيضا!



د. عبد العظيم انيس



رسالة حيفا

ما الذي جاء يفعله "وفد النقابات المصري" في مؤتمر الهستدروت

«نحن نجتمع اليوم فى هذا المؤتمر فى ظل عالم السلام وعالم الديمقراطية»، هكذا قال السيد احمد هاشم بدر باسم النقابات المصرية فهل حقا؟!* لماذا يختار النقابى المصرى ان يهاجم، من على منصته فى تل ابيب القطاع العام فى بلده* وما هى الهستدروت التى جاء يحييها وهل يعرف عنها ما يجب ان يعرفه؟!

«باختصار، رحلة بائسة!!»

كان من عادة رئيس دولة اسرائيل السابق الذى شغل منصب وزير المعارف حتى استقالته مع بقية وزراء حزب العمل من الحكومة الاسرائيلية قبل شهرين، يتسحاق نائون، ان يستهل خطاباته بين المواطنين العرب بجملة او اكثر باللغة العربية. وفى كثير من الأحيان كان يلقى كل خطبته باللغة العربية، خصوصا بعد ان شعر بمدى تأثير هذا النهج لتقصير المسافات بينه وبينهم مع انه ينتمى الى طريق سياسى مغاير لافكارهم.

اما رئيس الدولة الحالى، حايم وشوع، فهو لا يجيد اللغة العربية بتاتا. ولما وجدناه، فى افتتاح مؤتمر «نقابة العمال العامة فى ارض اسرائيل «(الهستدروت) فى القدس يوم ٣ ابريل ١٩٩٠، يستهل خطابه ببضع كلمات عربية «مطبشة» فهمنا ان فى الأمر سرا كبيرا قال: «حدرات (يقصد- حضرات) أعداء (أعضاء) مؤتمر الهستدروت. أعداء (أعضاء) الوفد المصرى، اهلا وسهلاً«

.. وهكذا بكل العجب.

اذن، ففى القاعة وفد مصرى، وذلك لأول مرة فى تاريخ الهستدروت.. ومصر.

وكلمة مصر تفعل فى بلادنا فعلها، خصوصا بين صفوف المواطنين العرب الذين هم جزئ لايتجزء من الشعب الفلسطينى، والذين ظلوا فى وطنهم رغم مؤامرة الترحيل والتهجير عام ١٩٤٨. هؤلاء الناس، وكاتب هذه السطور واحد منهم، كانوا يرون فى مصر نقطة الضوء التى تمزق الظلام الدامس الذى يفرضه الحكم العسكرى. وكان جمال عبد الناصر بالنسبة لهم/ ليس مجرد تجسيد للحلم وللأمل بل اكسير للحياة وعندما دارت الأيام دورتها العوجاء العرجاء وشاهدنا السادات يهبط فى تل ابيب أحبطنا وامتعضنا واختنقنا لكن مصر بالنسبة لنا ظلت مصر عبد الناصر. ورحنا نفرق بين ما فيها من القمح ومن الزؤان.

وحاولنا مراقبة ما يجرى مع هذا الوفد الذى قدم فى المؤتمر على انه النقابات العمالية فى جمهورية مصر العربية. هل هو قمح او زؤان وزاد من اهتمامنا ومراقبتنا قول أحد مندوبى المؤتمر العرب من أعضاء حزب العمل هامسا فى اذننا: «الوفد المصرى سيفجر قنبلة». فسألت: أية قنبلة؟ فأجاب: قنبلة سياسية. فقد اشترط على قيادة الهستدروت لمجيئه ان تطلق تصريحا سياسيا يدعو للسلام مع الشعب الفلسطينى. وقال لهم لن آتى ولن أحضر اذا لم تتعهدوا بمثل هذا التصريح. فوافقوا.

وإنتظرنا.

.. من هو الوفد؟

تألف الوفد من السيدين: أحمد هاشم بدر، نائب. رئيس النقابة العامة لعمال الزراعة ومصادر المياه (والذى قدمه قال ان هذه النقابة تضم حوالى ١,٥ مليون عضو)، وأمين موسى الدين، السكرتير العام للجنة النقابية للاصلاح الزراعى فى مصر.

استفادت وسائل الاعلام الاسرائيلية بشكل غير قليل من وجود الوفد المصرى فى المؤتمر ولكن ذلك كان محدودا لسبب بسيط هو ان غالبية هذه الوسائل تستخف بالهستدروت والنقابات من منطلقاتها الطبقية. فلم تعكس اخباره بابراز شديد. خصوصا وان ازمة الحكومة وتقلباتها اليومية استحوذت على اهتماماتها الاساسية.

لكن قيادة الهستدروت استفادت كثيرا من هذه الزيارة فأبرزتها بمناسبة وبغير مناسبة. فرئيس الدولة خص الوفد بتحية. وسكرتير عام الهستدروت اسرائيل كيسار، افرد له فقرة كاملة فى خطابه فقال: «تحية خاصة أوجهها الى وفد النقابات العمالية فى مصر التى تشترك لاول مرة فى مؤتمر الهستدروت. (وكان قد رحب بالوفود الاخرى من دول اوروبا الشرقية والغربية وامريكا وافريقيا.. فأضاف) ان كل هذه الوفود جاءت للتضامن مع دولة اسرائيل والهستدروت، فى الأيام التى يخيم فيها الضباب السياسى وتتعرض فيها دولة اسرائيل لاتهامات كثيرة. ان قدوم هذه الوفود الى اسرائيل يثبت الصداقة الحقيقية التى تثبت فى الامتحان. فاسمحوا لى ان استقبل، باسمى وباسمكم، ضيوفنا بتحين اهلا وسهلا. جلبنا عليكم السلام.

واقامت قيادة الهستدروت «ندوة دولية للوفود الاجنبية فى المؤتمر تحدثوا فيها حول قضايا الساعة للحركة النقابية فى العالم. وشارك فيها ايضا رئيس الوفد المصرى، السيد احمد هاشم بدر. فوجدها مناسبة للهجوم على القطاع العام فى مصر والاعلان ان تجربته

تشلت، واضاف: انه جاء لدراسة تجربة الهستدروت والاستفادة منها وتعزيز التعاون بين الجانبين.

في ظل عالم السلام والديمقراطية

وفي يوم الابحاث الثاني المؤتمر الخميس ٥ ابريل ٩٠) وقف السيد احمد هاشم بدر يخطب فقال ما ملخصه (وفقا للترجمة الحرفية التي وردت في البروتوكول الرسمي للمؤتمر ص ٤-٥): «السيد رئيس المؤتمر. حضرة، سكرتير الهستدروت الاخ كيسار. حضرة سكرتيرة نعمت» (مجلس النساء العاملات والمتطوعات في اسرائيل ماشا لوبالسكي. اعضاء الكنيست مندوبي المؤتمر المحترمين. السلام عليكم. اننا نجتمع اليوم في هذا المؤتمر تحت ظل عالم السلام وعالم الديمقراطية. السلام الذي اتاح لنا ان نتكلم الواحد مع الأخر حول السلام الذي يجب ان ترفرف راياته فوق كل البلدان العالم بغض النظر عن الآراء والايدلوجيات.

«ان العالم يصبح عالما صغيرا بسبب وسائل الاعلام التي تنقل كل نبأ خلال بضع ساعات. وبات الوضع يجعل بالامكان حصولنا على نبأ وقوع اي حادث في أقصى اركان الارض خلال بضع دقائق. وأيضا نشاهده بأعيننا خلال ساعات. ان هذا الامر يتطلب منا جميعا، ان نرفع صوتنا من هذا المؤتمر داعين إلى) حل كل النزاعات بطريق السلام، بخطوات حقيقية من اجل السلام.

«السلام اصبح اليوم مطلبا ترفعه كل الامم حتى تحقق التقدم والتطور في حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والجماهيرية، من اجل مجتمع العدل والرخاء.

«السيد رئيس المؤتمر. هيا بنا جميعا، باسم النقابات العمالية، كل النقابات العمالية، نتوجه بنداء الى كل دول العالم ان تساعدنا على جر عملية السلام ، السلام بين جميع الشعوب، ان نهج السلام وهدف السلام يجب ان يكون شعار هذا المؤتمر.

«وانني لا استطيع ان انهي كلمتي قبل ان اعبر عن الرضى والسعادة بالدور الكبير الذي يؤديه الرئيس محمد حسني مبارك الذي يبذل جل جهوده في سبيل دفع عملية السلام. والسلام سيصل الى منطقتنا، منطقة الشرق الاوسط.

وهذا هو توجه الرئيس حسني مبارك. وبهذا هو يواصل سياسة السلام التي أيدها..

وهنا اعلن رئيس الوفد المصري عن سعادته في الوصول الى اتفاق تعاون مشترك بين الهستدرو وبين «النقابات العمالية في جمهورية مصر العربية ودعا الاخ كيسار ان يصعد الى المنصة ليوقع على الاتفاق. وكذلك دعا زمليه امين موسى شمس الدين. وجرى التوقيع الرسمي وسط التصفيق وهذا هو نص الاتفاق (انظر صورة زنغوغرافية للاتفاق):

«بيان مشترك بين الهستدروت (والنقابة العامة للعمال في اسرائيل) وبين النقابات العمالية في جمهورية مصر العربية..

«في اعقاب البحث المشترك الذي دار بين ممثلي الهستدروت وبين ممثلي النقابة العامة لعمال الزراعة والري واللجنة النقابية لعمال الاصلاح الزراعي المصريين حول العلاقات الثنائية بين الاطراف المذكورة اعلاه اتخذت القرارات التالية:

اولا: ان الهستدروت ونقابة عمال الزراعة والمياه ونقابة عمال الاصلاح الزراعي يباركون (هذا الخطأ اللغوي وغيره من الاخطاء اللغوية موجودة في الاصل ونقلتها حرفيا للأمانة- ن. م،) الخطوة المهمة لاشتراك بعثات (النقابات المصرية المذكورة في مؤتمر الهستدروت السادس عشر ويعتبرونها تقدم (..) مهم (..) نحو تعزيز السلام.

ثانيا: ان الهستدروت والنقابات المصرية الذكورة يناشدون (..) حكومتي اسرائيل ومصر الاستمرار في تقدم مسيرة السلام في الشرق الاوسط كخطوة تؤدي الى انعاش ورفاهية كل شعوب المنطقة بصورة عامة والجماهير العمالية بصورة خاصة.

ثالثاً: ان الهستدروت والنقابات المصرية قد بدأوا (..) في التداول والبحث حول طرق التعاون والعمل المشترك بينهم (..) وسيستمرون (..) في ذلك لكي يتوصلون (..) قريبا لبلورة الخطوط الخاصة بالعمل المشترك بين الاطراف المذكورة. وذلك في



مجالات النشاط والتنظيم النقابي والدورات الدراسية التكميلية في القطاعات المهنية والفعاليات الاجتماعية في الاوساط الشعبية المختلفة.

الى هنا نص الاتفاق ثم تأتي تواقيع بسرائيل كيسار عن الهستدروت واحمد هاشم بدر وامين شمس الدين عن النقابات المصرية.

.. ثلاثة اسئلة

لانريد ان نعتب على هجوم السيد بدر على القطاع العام في مصر. فهذا شأن أشقائنا المصريين. ولكننا نريد ان نسأله في ثلاثة مواضيع اخرى: السلام الديمقراطية، التعلم من تجربة الهستدروت.

*السلام: اما في قضية السلام فاننا لا نشك ابدا في النوايا الصادقة لمصر، شعبا ودولة، تجاهه.

ولكن الصياغات التي استعملها سيادة النقابي بدر كانت عمومية لدرجة كان يمكن ان نسمعها ايضا من حزب الليكود بزعامة شامير. فالكل يدعي انه يريد السلام. وليس من الشطارة بشيء جعل المؤتمر يرفع راية السلام ويصيح ليل نهار من اجل السلام. وانما كانت كلمة السلام هي اكثر كلمة استعملت في مؤتمر الهستدروت، وياسبحان الله، من جميع الاحزاب من الشيوعيين في اليسار والى الليكود وجماعة ارض اسرائيل الكاملة في اليمين. والسؤال هو: عن اي سلام يتحدثون؟!

لنطلع مثلا على ما جاء في هذا الموضوع في خطاب إسرائيل كيسار رزعيم الهستدروت واحد قادة حزب العمل البارزين، في مهرجان افتتاح المؤتمر:

«سنوات طويلة ونحن ننشد السلام. السلام هو كل كياننا لقد بنينا جيشا قويا يفرش علينا حمايته من كل ضائقة وكل عدو. وهو الذي يوفر لنا القدرة على اجراء مفاوضات السلام من موقع القوة. ان دولة اسرائيل هي عنصر الاستقلرار في الشرق الاوسط. قوية بديمقراطيتها. ويجب علينا ان نحافظ على قوتها وعلى ديمقراطيتها. نتوجه الى السلام من خلال الامن. «وتابع : «.. وهذا هو المكان ومن هذا المكان نعلن، على مسمع من ضيوفنا واصدقائنا واعدائنا ايضا، ان رغبتنا في السلام مهما تكن قوية فان هناك ماهو اقوى منها واكثر حزما الا وهو تمسكنا في بالقدس الواحدة الموحدة، العاصمة الابدية لدولة اسرائيل ولشعب اسرائيل. ان القدس هي في دم قلبنا لقد اقسم اباؤنا، جيلا بعد جيل، ونحن امناء على هذا القسم: اذا

نسيتك يا قدس تنسانى يمينى».

وفى قرارات المؤتمر التى اقرت باصوات الاكثرية الى يتمتع بها حزب العمل يتحدثون عن السلام ايضا بشكل عام.. ويخصصون بندا لموضوع القدس «ضد الذين يحاولون ضعضعة مكانتها كعاصمة لدولة اسرائيل والشعب اليهودى» وتحمل حكومة اسرائيل المسؤلية فى ضرورة تعزيز مكانتها وتخصص الموارد والميزانيات واستثمارها فى السكن والتطوير وتوجيه المهاجرين اليهود للاستيطان فيها».

وقد اسقطت هذه الاكثرية نفسها كل الاقتراحات والمشاريع التى قدمت الى المؤتمر من المندوبين اليساريين، اليهود والعرب، والتى تدعو الى سلام اسرائيلى، فلسطينى قائم على « اساس الانسحاب من الاراضى المحتلة عام ١٩٦٧ واقامة دولة فلسطين الى جانب اسرائيل والى التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى.

وفى الواقع اننا لم ننتظر من حزب العمال او كيسار ان يغيرا موقفهما المعروف ويؤيدا برامج السلام الذى يطرحه اليسار. ولكن، طالما كان هناك مندوبون (كثيرون جدا) فى المؤتمر اشاورا الى هذا البرنامج فلماذا امتنع المندوب المصرى عن الحديث عنه؟ لماذا لم يتطرق الى الشعب الفلسطينى بأية كلمة واكتفى بمناشدة الدول (؟!) والحكومات (؟!) فمع من يجب ان تعقد راية السلام؟! ومع من يجب ان تجرى المفاوضات للسلام.

ان رئيس اتحاد النقابات «الحرة»، وهو امريكى الجنسية ويمثل نقابات العالم الرأسمالى سمع لنفسه ان يطالب الهستدروت باستنكار اعمال القمع التى يمارسها الاحتلال الاسرائيلى ضد النقابات الفلسطينية فى المناطق المحتلة فلماذا امتنع المندوب المصرى عن ذلك؟!\

لم يبق هذه الاسئلة بدون جواب بل بالعكس. فحين توجه اليه اثنان من المندوبين العرب فى كتلة «القائمة المشتركة من اجل العمل والمساواه والسلام» تضم ٣ أحزاب فى حلف واحد هى الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواه والحركة التقدمية للسلام والحزب الديمقراطى العربى). هما الشاعر الفلسطينى نايف سليم والنقابى سعيد بدر، وسألاه عن ذلك اجابهما بغضب: «انا وطنى اكثر منكم». ثم اخذه مرافقه الهستدروتى يعقوب كوهن الى غرفة جانبية واخفاه عن الانظار ولم نعد نراه او نسمع بوجوده.

*الديمقراطية: لا ادرى من اين وكيف شعر السيد بدر براية الديمقراطية تظلل الهستدروت ومؤتمرها ونود أن نشير عليه الاطلاع اكثر على حقيقة هذه المؤسسة قبل ان يوجه اليها تهمة الديمقراطية. ونقدم له هنا بعض المعلومات.. عله وغيره يعرفون:

– يبلغ عدد اعضاء الهستدروت ١,٧٥ مليون بينهم ٢١٠ آلاف عضو عربى (١٣٪) من هؤلاء العرب يتمتع بحق الانتخاب فى مجالس عمال محلية فقط ٢١٪ اما الباقون (٧٩٪) فمحرومون من هذا الحق الديمقراطى والأولى. على سبيل المثال فان المدينة العربية أم الفحم البالغ عدد سكانها ٢٨ الف نسمة (٨٠٪ منهم اعضاء هستدروت) لا يوجد فيها مجلس عمال. بينما هناك قرية يهودية صغيرة اسمها جبعات عدا. عدد اعضاء الهستدورت فيها لايتعدى ستمئة عضو يوجد فيها مجلس عمال. فى الهستدروت يوجه تنظيم نقابى يحمى المزراعين وينظم امورهم إسمه المركز الزراعى». المزارعون العرب المحرومون من العضوية فيه. وبعد نضال شديد لهم نجحوا فى استصدار قرار فى مؤتمر الهستدروت الـ- ١٥ (عام ١٩٨٥ للانضمام اليه. ولكن هذا القرار لم ينفذ حتى يومنا هذا.

– شركات الهستدروت تسيطر على ٢٥٪ من الاقتصاد الاسرائيلى.

لكنها لم تقم حتى الآن ولو مصنعا واحدا فى البلدان والمدن العربية فيها.

– العمال العرب يحصلون على نسبة اجور منخفضة تصل بالمعدل الى نسبة ٦٠٪ من معدل اجور العمال اليهود. والهستدروت، النقابات، لم تفعل شيئا بهذا.

– تمتلك الهستدروت اضخم شركة بناء اسرائيليه خلال سنواتها بنت ١٩٧ ألف دار سكن.. كلها فى البلدن اليهودية ولم تبن بينا واحدا لاعضائها العرب.

– منذ تأسيس الهستدروت قبل سبعين سنة وحتى اليوم تعتبر ذزاعا اساسيا فى سياسة الاستيطان اليهودى. والمستوطنات الزراعية التابعة لها منتشرة على الاراضى العربية المحتلة من هضبة الجولان السورية وحتى قطاع غزة عبر الضفة الغربية والقدس.

– على مر السنين كانت الهستدروت شريكا طليعيا مع الحكومة فى كل برامجها ومشاريعها السياسية والعسكرية واخذت دورها فى الحروب والمعارك الاساسية.

– ولماذا نبعد ونقرب؟ فان الموضوع الاساسى والأهم الذى بحثه المؤتمر السادس عشر للهستدروت (٣-٩/٤/٥-٩)، والذى حضره المندوب المصرى، هو موضوع الهجرة اليهودية الكبرى. فقد خصص له المؤتمر ثلث أبحاثه. وفى حين ان حكومة اسرائيل نفسها لم تقم سلطة خاصة لموضوع الهجرة أقرت اكثرية المندوبين فى المؤتمر اقامة هذه السلطة معلنة: «دولة اسرائيل هى دولة يهود. بدون تشجيع هجرة اليهود الى اسرائيل والمساعدة على استيعابهم لايكون طعم او مبرر لقيامها دولة لليهود. لذا فان مؤتمر الهستدروت يحيى تجدد الهجرة اليهودية الجماهيرية من الاتحاد السوفيتى وامريكا الجنوبية وغيرهما ويدعو الى انقاذ اليهود من ضائقتهم فى اثيوبيا وسورية واليمن وغيرها... «وفى القرارات الاخرى تعلن الهستدروت: استعداها للمساعده على استيعاب المهاجرين الجدد وتكريس جهود كل مؤسساتها لهذا الغرض بما فى ذلك المستوطنات الزراعية وتجند اعضاءها ونشاطها والجان

*الاستفادة من التجربة:اما بالنسبة للخبرة التى يريد ان يستفيد منها سيادة النقابى المصرى بدر فيكفى ان نذكر له ما يلى: السمتوطنات الزراعية التعاونية مفلسة. بعض اعضائها اقدموا على الانتحار ليأسهم من امكانية الخروج من الازمة.

· شركة «كور» الهستدروت أضخم مجمع صناعى فى اسرائيل، اغلق عشرات المصانع المغلقة وطرد عمالها. شركة «سوليل بونية» الهستدروتية قلصت اعمالها بسبب خسائرها وفصلت ٩ آلوف من العمال. على الصعيد النقابى، وبسبب رضوخ قيادة الهستدروت الدائمة لاملاءات الحكومة، انخفضت مكانة العامل ومستوى معيشته بشكل خطير وارتفعت نسبة البطالة الى حوالى ١٠٪ (بين العرب النسبة هى ٢٠٪) ووصل عدد العاطلين عن العمل الى رقم قياسى جديد (١٥٠ الف عامل واصبح عدد المواطنين الذين يعيشون تحت خط الفقر ٦٩٤ الفا (العرب يشكلون نسبة ٥٠٪ منهم).

وغيرها– وغيرها.. فالامثلة كثيرة. والسؤال هو: ما الذى يريد السيد بدر ان يتعلم من هذه المؤسسة؟!

.. وأخيرا كانت تلك زيارة بائسة لوفد الأصدقاء المصريين. فان كانوا يعلمون الى اين جاءوا ورغم ذلك جاءوا فتلك تكون مصيبة وان لم يعرفوا.. فالمصيبة أعظم!!

وثقة/ نص الاتفاق

نظير مجلى

معادلة جديدة للمسألة السودانية

أما وقد أنتهى الحوار بين قيادة الحركة الشعبيه، والجيش الشعبي لتحرير السودان، وبين ممثلى حزب الأمة، والحزب الأتحادى الديمقراطي، والحزب الشيوعى السودانى، داخل التجمع الوطنى الديمقراطى المعارض، بالأتفاق، على تضمين وجهه نظر الحركة الشعبية فى ميثاق التجمع لتصبح جزءا مكملا له، فإن معادلة جديدة للمسألة السودانية، قد أخذت فى التبلور، من شأنها، أن تضع الحكم العسكرى القائم فى الخرطوم، أمام خيارين لاثالث لهما .فاما القبول بالحوار مع المعارضة حول شروطها لإستعادة الحياه الديمقراطية، وعقد المؤتمر القومى الدستورى، وإما مواصلة السير فى الطريق المسدود، الذى يؤدى الى إستمرار عزلة نظام الفريق عمر البشير محليا وعربيا ودوليا.

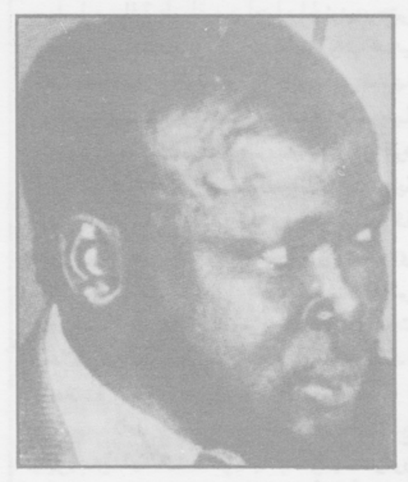
وفى الحالتين، فإن العد التنازلى لنفى الطابع الديكتاتورى لنظام الحكم فى السودان قد بدأ، لعدد من الأسباب من أهمها:

* أن الحركة الشعبية وهى حركة مسلحة قد أصبحت للمرة الأولى منذ قيامها عام ١٩٨٣ جزءا لايتجزأ من قوى المعارضة، التى توحدت الآن داخل التجمع الوطنى الديمقراطى. فمن المعروف أن الموقف السلبى الذى اتخذته الحركة الشعبية إبان حكم الانتفاضة كان أحد الأسباب الهامة التى أطاحت به، حيث ساهم فى عدم أكتمال البناء الديمقراطى.

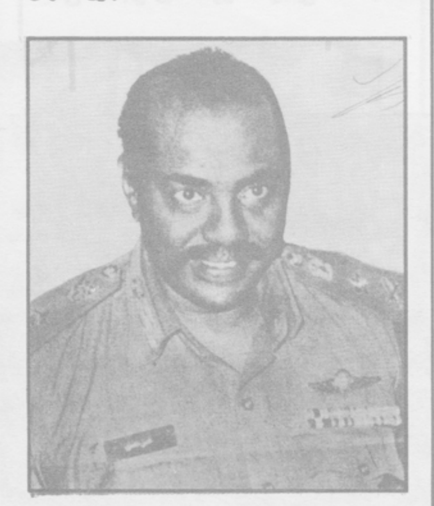
أصرار الحركة الشعبية على أن يكون النضال المسلح. أحد أدوات النضال الشعبى لاعادة الديمقراطيه، شأنه فى ذلك شأن العصيان المدنى والانتفاضة الشعبية والأضراب السياسى، ثم قبول التجمع لهذا الشرط، من شأنه أن يمنح قوى المعارضة السودانية أوراقا كثيره للضغط، ويكسبها قوة تفاوضية عالية، خاصة إذا أخذنا فى الأعتبار أن الحركة الشعبية كانت هى القوة الديمقراطية الوحيدة فى السودان التى عجز الحكم العسكرى عن حظر نشاطها أوحلها أو اعتقال قادتها.

* أن زيارة وفد الحركة الشعبية للقاهرة الشهر الماضى بدعوة من الحكومة المصرية، تدعم التوجه السابق فى أكثر من اتجاه. فهى الزيارة الأولى التى يعلن عنها وتحظى بإهتمام أعلامى واسع، بعد السريه التى احاطت بالزيارات السابقة لوفود الحركة.

والاعلان عن تلك الزيارة، هو إعلان فى نفس الوقت، عن أن القاهرة، قد أخذت فى الاقتناع، بأهمية أن تكون وسيطا بين الحكم



جون قرنق



عمر البشير

السودانى ومعارضيه، وهو تحول هام، لايغفل قوة المعارضة، ويعترف بجدوى الحوار وضرورته، ويسهم بشكل واضح فى ترشيد ممارسات الحكم العسكرى فى الخرطوم ومطالبته بالقبول بالحوار، ومن ثم المساعدة على نقله خطوة للأمام.

ويرجع المراقبون أن قيام القاهرة، بهذا الدور، قد تم بالاتفاق مع الخرطوم، إذ سبق زيارة وفد الحركة الشعبية للقاهرة، لقاء بين الرئيس مبارك والفريق البشير فى كل من ناميبيا وليبيا.

ويأتى الدور المصرى فى سياق سعى القاهرة للأنفتاح على جميع الأطراف العربية دون أستثناء، بعد تسرعها، فى المشاركة فى محور مجلس التعاون العربى، الذى ساهم بشكل أو بأخر فى إشاعة التوتر فى الاجواء العربية، بعد أن بدا أنه محور سياسى وعسكرى وليس تكتلا إقتصاديا. كما يأتى ضمن مناخ المصالحة العربية العامة، ومحاولة حل النزاعات الداخلية والأقليمية. فالنظام العربى يسعى لأن يكون له موقع قدم فى ظل مناخ التغيرات الدوليه المتلاحقة، بحل المشاكل الطائفية والعرقيه والحروب الأهلية داخل كل قطر على حده، تم حل المشاكل العربية العربيه.

وفى نفس السياق تأتى أيضا الوساطه الأفريقية، والدور النشط الذى تلعبه كل من أوغندا وأثيوبيا، لوقف الحرب الأهلية فى جنوب السودان، بحيث يصبح هناك خطان للوساطة، أحدهما عربى والثانى أفريقى، والأثنان يلتقيان عند ضرورة الأعتراف بالحوار وقبول الأطراف المتنازعة كل منها بالآخر، وهى ضرورة تساندها عودة القوى السودانية الحديثة للعمل بفاعلية فى ساحة العمل الوطنى، وتوصلها لأجماع وطنى شامل حول القضايا الأساسية محل الحوار بينها.

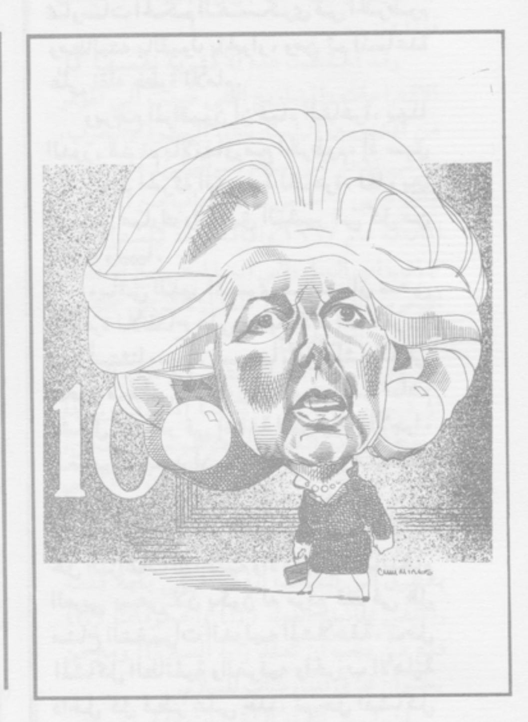
وتلك فيما هو واضح أعتبارات متعددة، تدفع النظام العسكرى الحاكم فى السودان إلى مزيد من التعقل إلا اذا كان للفريق عمر البشير رأى آخر!.

أمينه النقاش



رسالة لندن

تراجع "المشروع التاتشرى"



السبت ٣١ مارس

معركة الطرف الأغر» - ميدان ترافلجار - فى قلب العاصمة البريطانية. مايقرب من ربع مليون لندنى، تجمعوا فى مظاهرة سلمية وساروا مسافة طويلة من أحياء الجنوب، حتى وصلوا ليستمعوا الى كلمات نواب حزب العمال المعارضين لضريبة جديدة فرضتها حكومة السيدة« تاتشر » اسمها« ضريبة الرؤوس» وهى ببساطة ضريبة على كل فرد فوق السادسة عشرة بديلة« للعوائد » التقليدية التى تدفع على البيت كله. أسفرت المعركة عن جرحى من الجانبين : البوليس، ومثيرى الشغب الذين انتهزوا الفرصة فدخلوا فى معارك طاحنه مع البوليس وحطموا واجهات محلات شارع ريجنت واكسفورد ووسط البلد، المحلات الانيقة التى تبيع البضائع الغالية.

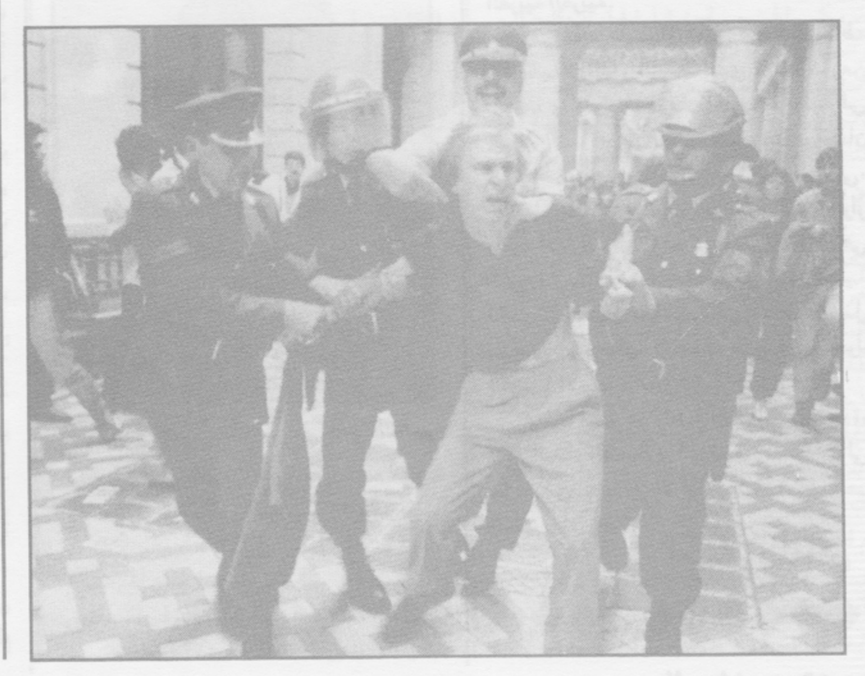
يوم الاحد أول ابريل سجناء سجن« استرانج وايز» بمدينة« مانشستر » بانجلترا يستولون على السجن ويشعلون النار فى أحد أجنحته ويصعدون فوق سطحه مقدمين مطالبهم.. قال وزير الداخلية أن هذه أسوأ ثوره فى تاريخ سجون بريطانيا.

بعدها بعدة أيام نشرت صحيفة« الديلى تلجراف » اليمينية استفتاء للرأى العام قام به« معهد جالوب » لحسابها، أخذ فيه رأى أكثر من عشرة الاف مواطن بريطانى خلال شهر مارس. إنتهى الاستفتاء الى أن السيدة« تاتشر » أقل رؤساء الوزارات البريطانية شعبية على مدى خمسين عاماً، وحتى اكثر انخفاضا من« هارولد ويلسون» الذى كان قد حصل فى أيامه على هذا « اللقب»، عندما حصل على ٢٧٪ من الأصوات المؤيدة فقط عام ١٩٦٨. أما الاستفتاء الأخير فقد أشار الى تقدم العمل عن المحافظين ب ٥ر٢٤ نقطه، هذه أول مرة يقدم فيها« جالوب» استفتاء بهذه النسبة المرتفعة، ولم يسبق أن حصل حزب العمال الاعلى نسبة ٢٠ نقطة متقدماً على المحافظين وكان ذلك فى عامى ١٩٦٣و ١٩٧١ عندما فاز حزب العمال فى الانتخابات العامة التى أجريت بعدهما. كانت النسب التى حصلت عليها الاحزاب السياسية البريطانية فى الاستفتاء الأخير كما يلى:

(١) العمال ٥ر٥٢٪
(٢) المحافظون ٢٨٪
(٣) الأحرار الديمقراطيون ٥ر٧٪
(٤) الخضر ٦٪
(٥) الاشتراكيون الديمقراطيون ٥ر٣٪
(د. ديفيد أوين)

هكذا يتبين بوضوح أن هناك« نقلة » كبرى فى المزاج السياسى للبريطنيين ضد السياسات التاتشرية الداخلية المطروحة.

وهكذا بدأ المشروع التاتشرى يتلقى الضربات، وعبر البريطانيون عن عدم رضاهم عن سياسات الحكومة بوضوح فى الانتخابية الفرعية التى أجريت فى أحد الدوائر بسبب موت نائبها المحافظ. انتصرت النائبة العمالية انتصاراً ساحقاً، غير عادى، لم يحدث فى ايه انتخابات فرعية منذ خمسة وخمسين عاماً اذ حصلت النائبة العمالية على ٢٥٪ زيادة فى



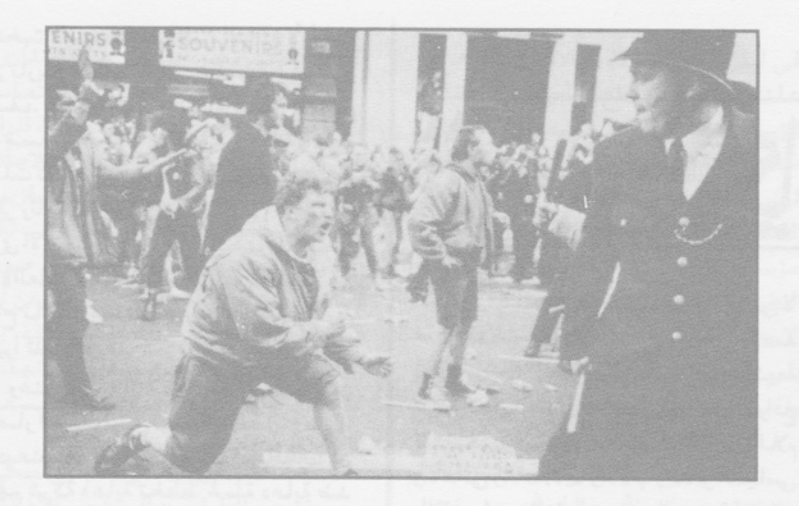
الأصوات على النائب المحافظ، وكانت هذه الدائرة مضمونة مغلقة على المحافظين، حصل النائب المحافظ المتوفى فيها على ١٤ الف صوت زيادة على المرشح العمالي في الانتخابات العامه السابقة.

نهاية الازدهار

لقد ازدهرت«التاتشرية» في عقد الثمانينيات، حتى انتخبت السيدة مرجريت تاتشر ثلاث مرات متتالية (لم يحدث هذا في تاريخ السياسة البريطانية على مدى ١٥٠ عاماً) وكان وراء هذا فهم التاتشرية للعصر الجديد واعتمادها على الازدهار الاقتصادى وبالذات في جنوب شرقى بريطانيا (معقل التاتشرية) حيث نمت الصناعات الجديدة. ولكن الاقتصاد البريطاني يمر الآن بأزمة خانقة : التضخم الذى سجل أعلى زيادة في الدول الصناعية، زيادة الأسعار، نسبة فائدة مرتفعة أدت الى إفلاس المحلات الصغيرة بالآلاف، حالة الركود في بيع وشراء البيوت. فارتفاع نسبة الفائدة يؤدى الى ارتفاع القسط الشهرى للبيوت والمحلات المشتراه بالتقسيط على مدى عشرين سنة أو اكثر). وعندما يرتفع القسط الشهرى يستغنى صاحبه عن السفر في الاجازات (٦٥٪ من البريطانيين يسافرون لقضاء عطلاتهم خارج بريطانيا) أو السفر مرة واحدة بدلا من مرتين. وأدى هذا الى انكماش في عديد من المجالات. لكن لعل اخطر النتائج ايضا هى الشراء بالدفع الأجل باستخدام«كروت القروض» (الفيزا- الاميريكان اكسبريس الخ)، مما أدى الى المزيد من التضخم، وكل هذه ضربات موجهة الى مؤيدى«التاتشرية» أو بالأحرى الذين انجبتهم من أصحاب الأعمال الجدد أصحاب الأعمال المزدهرة في المجالات الجديدة، والذين أشتروا أسهم الشركات التى خصصت«بعد أن كانت قطاعا عاما وبيعت للجمهور، وأصحاب البيوت الغالية. وكانت«ضريبة الرؤوس» هى القشة التى قصمت ظهر البعيد».

ضريبة الرؤوس

جاءت ضريبة الرؤوس» وتنفيذها في هذا الوقت بالذات ضربة للحكومة، لأن الناس تشعر بوطأة الركود الاقتصادى، اذ ازداد عدد المتضررين منه. لذا هناك قطاعات من حزب المحافظين لاتوافق على فرضها الآن، وهناك عدد من النواب المحافظين يهدد بالتصويت ضدها الى جانب حزب العمال. لكن تاتشر مصممه بعنادها المعروف، مما دفع بعدة نواب لرفض زعامتها، وطلبوا من النائب ووزير الدفاع السابق«مايكل هيسيلتاين» أن يتقدم لحل محلها. ولانه من الجناح«الاوربى المعتدل، تقدم فارس اخر ايضا على يمين تاتشر



هو«نورمان ثبت» الى الميدان.

ولما جاءت ميزانية«ماجور» وزير الخزانة (وهى ميزانيته الاولى بعد استقالة نايجيل لوسون) لم تفعل شيئا، قيل عنها انها مثل الماء لا لون لها ولاطعم ولا رائحة».

السلاح المفلول

إن مرض الاقتصاد البريطاني، الأ وهو ضعف الاستثمار في الصناعة البريطانية وكذا ضعف المهارات التقنيه في المجالات الصناعية بالنسبة للدول الاوربية الأخرى، وخاصة المانيا الغربية. لكن مازالت الحكومة التاتشرية تحتفظ بعدة اوراق في يدها، فمن الملاحظ أن اكثر المراقبين جدية للسياسات التاتشرية في الصحف البريطانية- لم يصرحوا بعد بالقول بامكانية انتصار العمال في الانتخابات العامة القادمة في عام ١٩٩٢ أو أواخر عام ١٩٩١. فعندما قامت الحكومة التاتشرته بالخصخصة في السابق فباعت«شركة الغاز» و«شركة ايروسيس» و«شركة رولز رويس» وباعت المطارات استعداداً لانتخابات عام ١٩٨٧، كانت أحد العوامل الكبرى التى أمنت لحزب المحافظين النجاح في انتخابات ذلك العام،



فانتخبت السيدة تاتشر للمرة الثالثة لأول مرة فى تاريخ السياسة البريطانية منذ قرن ونصف. فقد بيعت هذه الشركات فى الأساس لـ« مساهمين صغار » شكلوا دائرة واسعه حملت تاتشر الى«رقم ١٠ داونج ستريت» (مقر رئاسة الوزارة). والأن تجرى اكبر عملية أخرى الا وهى بيع شركات الكهربا ء. لكن هذا«العامل» لن يؤثر كثيرا فى الحقيقة فى انجاح تاتشر هذه المرة فهناك عناصر أقوى تأثيرا تلعب دورها.

وهنا يجب أن نضع فى الاعتبار أن انتصار العمال ليس نهائيا بالفعل، فمازال هناك عنصران قويان فى صالح المحافظين: إن لديهم شركة دعاية تخطط لحملة دعاية ضد حزب العمال فى وسائل الاعلام التى تقف معظمها الى جانبها.

والنقطة الثانية هى نقاط الضعف فى«المعارضة» فاذا كانت قضية. ضريبة الرأس« قد أصبحت غير شعبية فالحملة المعارضة ضدها غير شعبية بالمثل، خاصة تلك التى ارتبطت بالعنف فى قاعات مجالس المدن بقيادة«اليسار المتطرف» او تلك الحملة لعدم الدفع فهذا ليس من طبيعة الانجليزى الذى ينفذ القانون اولا، ثم يعترض عليه بكافة الطرق، ومما يعمق مشكلة المعارضة، انها لم تقدم بديلا«لضريبة الرأس» ثم حول التغيرات الكبرى التى تجرى فى الاتحاد السوفيتى، وأوربا الشرقية، نظر «العمال» برعب الى سياساتهم الدفاعية التى اعتبروها ضعيفة إزاء السوفيت ولم يتخذ بعدها موقف المساندة الواضح للسلام ونزع السلاح والديمقراطية فى كل أوربا.

لقد سيطرت التاتشرية على السياسات البريطانية منذ عام ١٩٧٩ على مدى عقد الثمانينيات، ودخلت عقد التسعينات، وهى تريد الاستمرار وفرض سياساتها فى التسعينيات. والمعارضة لم تقدم بدائل ناجحة حتى الآن.

حزب العمال مازال«يلملم» نفسه أو كاد من الانقسام الفظيع الذى آضر به وكان فى صف التاتشرية و«الوسط» الذى انقسم ليغزو السياسات البريطانية ويغيرها بقيادة الدكتور«ديفيد أوين» وزير الخارجية العمال السابق، انتهى أمره ولم يقم وانتهى الأمر بضعف«حزب الاحرار» نفسه الذى ضم بين صفوفه فلول «الحزب الاشتراكى الاجتماعى» ومازال على حزب العمال الكثير ليفعله ليكسب ثقة المواطنين الناخبين.

مجدى نصيف

رسالة موسكو

البيرسترويكا.. وثقافة الهدم

عندما أتحدث عن ثقافة الهدم، فأننى لا اعنى الأدب وحده أو المسرح، ولكننى أقصد ذلك المناخ الثقافى والفكرى العام الذى تشيعه حركة ثقافية تلملم ملامح وجهها من البرامج التليفزيونية، وخشبات المسارح والأفلام والأغانى والاعلانات والأدب والفكر السياسى والاقتصادى والنشرات غير الرسمية لمختلف المنظمات السياسية. وفى تاريخ كل مجتمع توجد عمليات هدم ايجابية لأنها تزيح كل مايعوق التطور ويعطله، ومنطلقها ومنتهاها هو الأخذ بيد الناس الى الأمام وتفتيح كل الطاقات الأبداعية. وهناك عمليات هدم سلبية ورجعية، هدفها تقويض أسس الحياة بغض النظر عما سيكون، وثمة جانب مشترك بين العمليتين، جانب يظل مشتركا لفترة، بين تيار الهدم الايجابى وتيار الهدم السلبى. ولذلك تختلط الأوراق فى وعى المواطنين السوفييت ويختلط الحابل بالنابل، والتيار الأول يسعى لرفع الرقابة عن الصحف والمطبوعات وحرية النشر واتاحة الفرصة لمختلف المدارس الأدبية والفنية ونشر الروايات التى تغلق عليها الدولة الخزائن الحديدية، ولهذا فأنه يخوض معركة ضد مؤسسات الدولة الثقافية البيروقراطية التى تتحكم فى الورق والمطابع وتحديد النسخ وإمكانية النشر من عدمه بناء على إشارة من أعلى، وتشكل هذه المطالب قاسما مشتركا بين التيارين. ثم تبدأ الفروق.. فالتيار الأول ينتقد الستالينية دفاعا عن الديمقراطية، أما الثانى فينتقدها دفاعا عن الديمقراطية الأميركية والتجربة الاسرائيلية المتحضرة. وينطلق الأول من أن هناك بالحتم جوانب ايجابية فى التجربة السوفيتية والتاريخ والثقافة لابد من الانطلاق منها وازاحة كافة العوائق، اما الثانى فينطلق من تحقير سبعين عاما كاملة لينتهى من جديد بتحقيرها واشاعة الشعور بالعدمية وبأن كل ماجرى كان هباء وزيفا وخداعا فى تاريخ أسود لم يعرف لحظة مضيئة واحدة. ويطالب الأول بنشر الروايات والأعمال الممنوعة، فيقول له الثانى«نعم عندك حق» ويضع مع الأسماء المحظورة وربما قبلها أسماء الكتاب الذين أيدوا العدوان النازى علنا وانضموا الى هتلر فى حربه على الشعب الروسى، مثل الشاعرة«زينائيدا جيبوس» التى قام يفتوشنكو بتلميعها وتقديمها للقارئ.. وينتقد التياران معسكرات الاعتقال الستالينية، ولكن التيار الثانى وهو ينتقدها يتطلع باعجاب الى العنصرية الاسرائيلية ويغض النظر عن معسكراتها. حتى أن أديبا مثل«أيتماتوف» لم يكتف بزيارته الى اسرائيل ولكنه انتهز الفرصة ليقوم باهداء آخر رواياته لاسحاق شامير تعبيرا عن خالص المودة والاحترام العميق!. وهكذا تأخذ المسافات فى الاتساع ما بين التيارين... وبينما يحاول المثقفون الحقيقيون أن يشعلوا شمعة بدلا من أن يلعنوا الظلام، فأن التيار الثانى السائد يتحرك وشعاره الحقيقى غير المعلن هو«أطفاء شمعة بدلا من أن تلعن الفجر!

وكانت الرأسمالية فيما سبق هى التى تواجه الاشتراكية وتستجمع ضدها كل الأسلحة والطاقات، فأصبحت الان الاشتراكية هى التى تواجه الاشتراكية. فلم تعد اللعنات تنصب على رأس ماركس وانجلز ولينين من دول الغرب، ولكنها تنصب عليهم من دول الشرق! وقد دفع البعض الجماهير- أية جماهير ؟- فى مدينة سوخومى بجيورجيا الى ازاحة تمثال لينين من مكانه، وكأن معركة الناس مع التماثيل الحجرية وليست مع الواقع الحى وأزماته!. وتجرى فى الوقت نفسه أوسع عملية تشوية لتاريخ المجتمع السوفيتى بما فى ذلك انتصاره على النازية. أما تاريخ الحزب الذى ناضل عشرين عاما قبل الثورة واحتفظ بالسلطة سبعين عاما، فأنه كما يصورونه تاريخ مجموعة من المتآمرين التى تتنازع على السلطة، نزاع فاز فيه الأقوى وهو ستالين!. أما لينين فقد كان فى سنواته الأخيرة مريضا ولايدرى بما يقوم به!. وقد كانت الثورة الاشتراكية خطأ من الأساس وعملا ارهابيا.

ويشيع هذا المناخ الفكرى والثقافى العام مع تزايد الأزمة الاقتصادية، وبتزايد احساس المواطن البسيط باليأس والتخبط وبأنه- لسبب ما - قد عاش سبعين عاما مخدوعا وعليه الان أن يواجه مصيره المجهول بنفسه. ولهذا يعود الناس الى الكنائس مرة أخرى،

ويعلقون الأيقونات فى بيوتهم، ويشعلون أمامها شموع التوبة والندم. لقد حولت هذه الحركة الثقافية الهدامة أعز القيم التى عاش عليها المواطن السوفيتى الى جريمة يحس بضرورة التكفير عنها كل لحظة. وحتى مشاعر التضامن مع الشعوب الأخرى والتى تربى عليها الانسان السوفيتى صارت تصور له وكأنها نوع من الغباء، والحماقة. وتروج شعارات من نوع«مد لحافك على قد رجليك»، و«مايحتاجه البيت يحرم على الايديولجية».

وقد أقامت البيرسترويكا الدنيا ولم تقعدها بعد، ولكنها تجد نفسها بعد مرور خمس سنوات فى قبضة نفس الأزمة الاقتصادية التى دفعتها للظهور ولاعلاء ماهو انسانى على ماهو طبقى. ولم تستطع كل اقتراحات البيرسترويكا لحل الأزمة أن تقدم أو تؤخر، وكل ما فعله«اطلاق قوانين السوق» أنه ضاعف من تدهور الأوضاع، ووصلت نسبة التضخم المالى لأول مرة الى ١٦٪، ونما جيش العاطلين عن العمل فوصل الى ٤ مليون!. أما المجرمون فوصل عددهم الى مليون ونصف المليون ثلثهم من النساء و٥٣٪ منهم من العمال. أما عدد الساخطين سياسيا وهم من شاركوا فى مظاهرات العام الماضى فبلغ ١٢ مليون انسان. ووصلت ثقة المؤسسات الخاصة فى نفسها حد أن مؤسسه فى لينينجراد راحت تبيع الأفيون والمخدرات علنا وبأسعار القطاع الخاص الغالية. أما مؤسسة«آنت»- وهى مؤسسة جادة- فقد استقر رأيها على بيع اثنى عشرة دبابة حديثة لبلد أجنبى لم يعلن عنه الى الان، ولولا يقظة السلطات لتمت الصفقة!. ومع ذلك فأن مؤسسة أخرى قررت أن تجرب حظها فى بيع الطائرات، وفى زحمة المشاريع الخاصة الاستثمارية تطفو على السطح المشاريع التى يقوم بها اولئك الذين تساندهم الاجهزة أو من راكموا الاموال بمختلف الطرق.

الاعلانات... والبيزنس...

تصدر فى موسكو مجلة خاصة للاعلانات، ويمكن لأى مواطن أن ينشر فيها مايشاء، وتزدحم صفحاتها بأسماء المؤسسات الكبرى من القطاع الخاص وأسماء أو أرقام هواتف الافراد، ونظرة سريعة على هذه الاعلانات ستكشف للقارئ عن المناخ الذى ينتشر الان، والذى يتخذ من كلمة«بيزنس» شعارا له. فهناك اعلان لم تخجل الصحف الاخرى ومنها أنباء موسكو من نشره، ويقول:«اذا كنت سائحا وتود قضاء وقت طيب فى موسكو، فأن مؤسسة«...» توفر لك خلال اقامتك صديقة أو صديق ظريف، مقابل خمسين دولار تحول على الحساب رقم...!. أى قيمة أخلاقية وثقافية ومعنوية يشيعها هذا الاعلان؟ وفى نفس الوقت سيجد القارىء إعلانات من نوع آخر تكشف عن تعاسة المواطنين البسطاء مثل:«أقوم بكافة أنواع العمل الجسمانى الشاق كرفع الثلاجات والغسالات«.أو:» لدى منضدة للتليفزيون بحالة متوسطة«أو» صحفى وشاعر يكتب لكم التهانى بأعياد الميلاد والمناسبات فى صورة قصائد فكاهية«أو» امرأة شابة تبحث عن أى عمل، من أى نوع، لقاء اقامتها فى شقة، بل ان امرأة لم تجد ماتعلن عنه سوى أنها:« تنتف شعر الذراعين والساقين بسعر معقول»!.

تيار للهدم الإيجابى ينتقد الستالينية دفاعاً عن الديمقراطية وآخر للهدم السلبى ينتقدها دفاعاً عن أمريكا وإسرائيل!

التضخم يصل إلى ١٦٪ وجيش العاطلين يرتفع إلى ٤ مليون أما المجرمين فوصل عددهم إلى مليون ونصف

التليفزيون...وكاشباروفسكى

يخصص التليفزيون السوفيتى الان قناة كاملة للاعلانات عن مختلف المؤسسات الخاصة، وهى قناة تعمل طيلة الليل والنهار، ويتخلل الاعلانات أغانى واستعراضات، ويخصص أيضا برنامجا اسمه«رجل البيزنس الشاب» وبرنامجا آخر بعنوان«نادى البيزنس». وهناك برنامج ثابت يومى وهو«ستة الاف ثانية» بلغ عدد المشاهدين الذين يتابعونه عشرين مليون انسان. وراحت صحافة تلك الثقافة تطبل وتزمر لمعجزات كاشبا روفسكى، وبركاته، فأنجبت من بعد جلساته التليفزيونية كل اللواتى لم ينجبن من قبل، ونبت الشعر فى رؤوس الصلع جميعا، ومش المقعدون والعجزة، وأبصر العميان، وليس فيما أقوله أية مبالغة. بل انه تمكن وهو فى موسكو - على حد قوله- من اجراء عملية فى مدينة أخرى لامرأة وشفاها!.

وليتخيل القارئ أن تكون كل هذه الخزعبلات مادة صحفية وتليفزيونية فى مجتمع ما فى القرن العشرين؟! وبلغ ثمن التذكرة لحضورجلساته العلاجية فى عيادته الخاصة ألف روبل، ثم انتقل«كشبا روفسكى» من العلاج الخاص الى العلاج السياسى كله، فصار ينصح المتنازعين على منطقة«كاراباخ» من الأرمن والاذربيجان بالاسترخاء والهدوء. وكاد الرجل أن يصبح ظاهرة سياسية تشبه ظاهرة راسبوتين لولا غضب العلماء والأطباء.

فمن الذى سمح بهذه الكوميديا الغريبة ومن الذى يروج لاغتيال الوعى هذا؟.

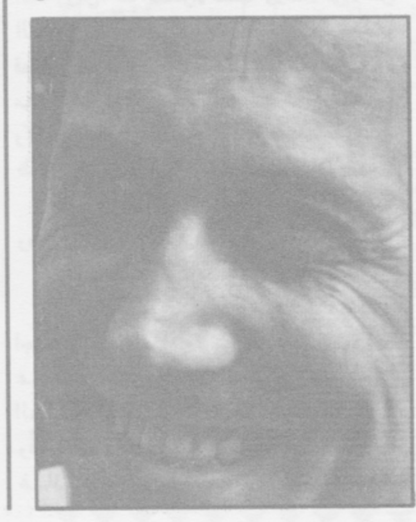
المسرح.. وداعا أميركا..

أثارت مسرحية وداعا أميركا ضجة اجتذبت اليها أعدادا كبيرة من المتفرجين. وقد عرضت المسرحية فى مسرح«المشاهدون الشباب». كتبها«نيدزفيتسكى» وأخرجتها«جنريتا يانوفسكايا». والمسرحية غنائية استعراضية مأخوذة عن قصيدة:

إطلاق قوانين السوق ضاعف من تدهور الأوضاع

طويلة للشاعر السوفيتى المعروف«مارشاك» الذى توفى عام ١٩٦٢ ويعد من أشهر كتاب أدب الفتيان والاطفال. وتحكى القصيدة عن مليونير أميركى هو«مستر تويستر» الذى قرر القيام بجولة للراحة مع ابنته وزوجته فى أى مكان فى العالم. وحينما جلس مع أسرته لاختيار البلد الذى سيسافرون اليه أصرت ابنته الشابة الصغيرة على أن يسافروا الى لينينجراد. وحاول أن يثنيها عن رأيها هذا وعرض عليها جزر هاياتى وغيرها، ولكنها أصرت على زيارة الاتحاد السوفيتى ولينينجراد لمشاهدة الليالى البيضاء، وتصل

يفوتشنكو



الأسرة الى لينينجراد وتنزل فى فندق فخم، ولكن المليونير«مستر تويستر» يفاجئ بأن الغرفة المجاورة له يقطنها منغولى، والغرفة الأخرى يقطنها أفريقى، ومن فوقه صينى ومن تحته ماليزى!. ويرفض«مستر تويستر» أن يضمه فندق واحد مع هذا الخليط من القوميات الملونة التى لايكن لها أى احترام، وحينئذ يترك الفندق ويجوب المدينة بحثا عن فندق آخر، الا أنه لايجد أماكن شاغرة. فيعود مرهقا ليبيت على الاريكة مع ابنته وزوجته. وقد أراد«مارشاك» بقصيدته الجميلة هذه أن يقول أن الناس كلها فى الاتحاد السوفيتى سواسية، لافضل لاحد على الآخر ولا تفرقة عنصرية.

ولنلاحظ أن الاعمال ذات النزعة الانسانية من هذا النوع- بغض النظر عن مدى تطابقها مع الواقع- تظل تروج لفكرة صحيحة ونبيلة وهى الدعوة لعدم التمييز بين البشر على أساس عرقى أو دينى وغير ذلك. وهناك مثال ذلك ماتجده فى أغنيات صلاح جاهين«على راس بستان الاشتراكية.. واقفين بنهندز ع الميه»، فهذه الاغنية- وان لم تتطابق مع الواقع المصرى حينذاك- الا أن سر جمالها فى أنها كانت ومازالت تخاطب حلما نبيلا فى الناس.

فكيف انقلبت فكرة وقصيدة«مارشاك» الشائعة بين الشباب الصغار؟ كيف انقلبت هذه الفكرة على يد«نيدزفيتسكى» من فكرة موحية الى خاطر أسود وكئيب؟. تبدأ المسرحية الغنائية الاستعراضية بالسفينة التى يصل عليها المليونير الاميركى«مستر تويستر» الى ميناء لينينجراد، ليفاجئ الرجل وزوجته وابنته بطوابير المواطنين السوفييت وقد سترتهم خرق مهلهلة، ولكنهم مع ذلك يقفون متصلبين على نحو مضحك ويوزعون الصحف السوفيتية«البرافدا» و«النجم الاحمر» وغيرها. أما المليونير ومعه حاشية تحيط به فيرتدون الملابس الفاخرة الزاهية الالوان. ومنذ أن يطأ«مستر تويستر» الارض بقدميه حتى يصل الى الفندق لايصادفه الا الجوع والعرى وأناس قد تخشبوا وهم يوزعون الصحف الثورية. أما حارس الفندق فقد جعلوه أشبة ما يكون بستالين، غبيا، متجهما، ورمزا للقسوة، وتدور المقارنه بين أميركا والاتحاد السوفيتى عبر كل التفاصيل وعبر الحوار، لنكشف أن أمريكا هى جنة الله فى الارض وأن المساواة الحقيقة هناك، وأن الاتحاد السوفيتى هو وطن المظالم والاضطهاد، وفى كل جلسة يجتمع فيها يمستر تويستر» بحاشيته وهم فى أفخر الملابس، يمر- بصورة عابرة- زوج وزوجة هما الصورة النمطية للمواطن السوفيتى حسبما يرى المؤلف والمخرجة. فهما يرتديان البلاطى الكالحة، ويمشيان بحذر وذعر، وبيد كل منهما حقيبة صغيرة لمشتروات السوق. وهما لايكفان على التطلع بانبهار لما يسرده«مستر تويستر» وحاشيته عن الحياة فى أمريكا التى حرما منها. وتنتهى المسرحية بأغنية صارخة«أننى أحبك يا أميركا.. لم أكن هناك وقد لاأكون.. ولكننى أحبك يا أميركا»!. وفى منتصف المسرحية نستمع لاغنية أخرى من الكورس يقولون فيها للمتفرجين من صغار الشباب الذين نشأوا وقد حفظوا عن ظهر غيب قصيدة«مارشاك»:«لقد خدعكم العم مارشاك.. فبلادنا لم تعرف المساواة ولم تعرف العدل»!. واذا كان الاتحاد السوفيتى لم يعرف المساواة والعدل، فهل ينتج عن هذا أن أميركا هى بلد الحرية والمساواة فى العالم؟.

هل ينتج عن هذا أن الشعب السوفيتى - كما تردد المسرحية- لم يفعل شيئا مفيدا على مدى سبعين عاما؟.. لماذا هذا الخلط بين نظام قمعى كالنظام الستالينى وعطاء شعب فى مرحلة كاملة؟. ولماذا يجرى تحقير المواطن السوفيتى انطلاقا من معيار غريب هو نوعية ملابسه وثيابه؟ وهل تسعى مثل هذه الثقافة لاعادة البناء.. أم لاستكمال الهدم؟. لقد شاهدت هذه المسرحية مع الصديق الفنان محمد المخريخى الذى كان يمر بموسكو فى طريقة الى كييف، وعند انتهائها سألنى بذهول: هل يمكن لشعب ما أن يقوم بشئ أو يتجاوز أزمة وهو مشبع بالشعور باحتقار النفس وازدراء ماضيه بأكمله؟. ولهذا أقول أن شعار هذه الحركة الثقافية هو«أطفئ شمعة بدلا من أن تلعن الفجر»!.

السينما واغتيال الوعى..

واذا انتقلنا الى مجال آخر كالسينما، سنجد مثالا أكثر وضوحا حتى من مسرحية«وداعا أميركا». مع أن هناك جانبا مشتركا بين المسرحية والفيلم الذى سأعرض له، وهذا الجانب هو أن العملين لايسعيان

للتعرض للواقع الحالى، قدر ما يركزان على تناول قيم الماضى وهدمها. المسرحية تهدم «مارشكاك» والفيلم يهدم فيلما آخر قبله تناول نفس الموضوع أى تجربة بناء محطات المترو فى موسكو «الفيلم القديم اسمه «المتطوعون» تم تصويره عام ١٩٥٨، ويصور قصة الرعيل الاول من شباب الكومسومول المتطوعين الذين قاموا ببناء المترو- من أكبر متروهات العالم- فى الثلاثينات فى ظروف شاقة، أما الفيلم الثانى الحديث فهو «فاسكا» وهو فيلم تليفزيونى من ثلاث حلقات عن رواية «سيرجى أنطونوف». ويصور الفيلم أيضا نفس التجربة، بناء المترو فى الثلاثينات. فيصور أن هؤلاء المتطوعين قد جرى جمعهم بمختلف الوسائل، وأن ذلك المشروع الضخم تم من دون تخطيط هندسى! واتسم البناء بالوفوضى، أما الشاب «ميتيا» عضو الكومسومول فهو تائه وباهت ويبدو كأنه مسير بفعل قوى خارجية أو مجبر على العمل. أما المشرفون على البناء فهم شخصيات مضحكة لا تكف عن رفع حمالات السروايل طيلة الفيلم. وكلما ارتفع حجر فى البناء سقطت أحجار أخرى أكثر. ويخرج المتفرج بانطباع أن بناء المترو كان عملية سخرة، لاهدف وراءها، قام بها مجموعة من الفوضويين لمجرد حب الشهرة.

وباختصار، فأن هذا الفيلم ومحاولته هو الاخر تشويه تاريخ حتى بناء المشاريع الكبرى، قد ذكرنى بالحملة التى شنت على السد العالى- ليس لأن السد غير مطلوب- ولكن لأنه بنى فى عهد عبد الناصر. وهذه المرة لن أقوم أنا بالرد على ماقدمه الفيلم، ولكنى أنقل لكم بعضا من ردود الناس الذين بنوا المترو حينذاك فى الثلاثينات. يكتب «ستوبالوف»- وهو من أبطال العمل الذين شاركوا فى بناء المترو-: «أصبحت حياتنا نحن الشيوخ مريرة للغاية، وقد عشنا حياتنا- كما يخيل لى- على النحو السليم. أما اليوم، وبعد أن رأيت فيلم «فاسكا»، فأن احساسا مؤلما قد غمرنى بأن كل مابنيناه لبلادنا كان عبثا.. ولم يكن له مبرر.. فهل أننا أذنبنا عندما وهبنا أعمارنا لبلادنا؟. كلا. لم تكن الأمور فى تلك المرحلة بهذه البساطة التى يصورها المخرج». ويكتب للصحف «ليفانوف» وهو رئيس أحدى فرق المتطوعين من الشباب حينذاك: «كيف يجرى تصويرنا فى الفيلم كأننا مجموعة من العجزة مسلوبى الارادة؟ نحن الشباب الذين كنا نعمل فى أشق الظروف ونواصل دراساتنا العليا فى نفس الوقت.. وكيف كان لنا أن

إعلانات عن الدعارة تنشرها مجلة أبناء موسكو للسائحين

نقيم هذا البناء المعمارى العالمى لو لم تتوفر لنا الحماسة والرغبة فى تجميل وطننا. كلا. لم تكن الأوضاع بهذه البساطة.. كلا» ويكتب «فيودروف» هو أحد أبطال العمل الاشتراكى وأحد بناة المترو:

«هل هذا جزاء من وهبوا حياتهم للأجيال التالية؟. وكيف تصور هذه التجربة وكأنها نوع من الفشل غير المبرر؟. لقد خرج من بيننا وزراء وأبطال وشعراء كبار مثل «سيرجى سميرنوف».. وياله من مرارة أحسسها حين أتذكر كيف محا المخرج كل بطولة وحماسة كانت تغمرنا». وأعتقد أن هناك خطا لابد أن يكون فاصلا بين العداء للتجربة الستالينية ومظاهرها القمعية، وبين العداء لما حققه الشعب السوفيتى نفسه. لكن ثقافة الهدم تلك لاتعرف حدودا. وقد كانت الانتلجنسيا المصرية حتى فى عام ٦٧ المرير، قادرة على التمييز بين سلبيات النظام والتجربة الناصرية، وبين عطاء شعبها، ولم يخلط أحد أبدا بين نواقص النظام وتضحيات الشعب، وهو ما تخلط بينه بعمد تلك الثقافة فى السينما والمسرح والصحافة والتليفزيون وغير ذلك من وسائل الاعلام.

وقد كتب الروائى السوفيتى المعروف «يورى بوندريف» مقالة هامة فى صحيفة «سوفيتسكايا روسيا» فى ٢٥ مارس، بعنوان «ماذا بعد.. ؟» حاول فيها



فيلم سينمائى يهاجم تجربة بناء مترو موسكو بطريقة الهجوم على السد العالى!

التصدى لتلك الظواهر، وتوضح هذه المقالة رد فعل المثقفين الحقيقيين على مايجرى. ويقول الروائى الكبير: «ان المجتمع الذى تصبح الخيانة فيه علامة من علامات البطولة، ويصبح الشرف فيه عارا، مثل هذا المجتمع محكوم عليه بالبؤس والتعاسة. ان نخبة من رجال الاعلام قد قامت عن عمد لمدة أربع سنوات متصلة بحملة مركزة فى المجال الثقافى والاعلامى بهدف هز ثقة المواطنين فى مستقبل بلادنا، وهز ثقتهم فى تاريخ وثقافة وحضارة أوطاننا. وقد ألقت هذه الحملة الى الوحل بكافة القيم الاخلاقية والانسانية، وأصبح التليفزيون السوفيتى يعرض قشور الثقافة والأفلام الهابطة ويروج لمختلف التفاهات.. فكيف لنا الآن أن نجمع شظايا مرآة الفن والثقافة بعد أن حطمتها تلك النخبة المسيطرة على الاعلام؟. وقد امتد ذلك الانحطاط الى المسرح والسينما. صارت تلك النخبة دولة داخل الدولة وهو الأمر الذى لم يحدث من قبل فى أى بلد آخر فى العالم.» وينتقل الكاتب الكبير من انتقاده لما يجرى فى المجال الثقافى الى الحلول الاقتصادية التى يعرضها العلماء على المجتمع السوفيتى فيقول: «هل أن المخرج من أزمتنا أن تقوم الدولة بشراء سلع من الخارج بثلاثة عشر مليار روبل ؟.

أم أن نؤجر أراضينا للمستثمرين الأمريكان واليابانيين؟ أم أن نقوم- كما يقترحون علينا- ببيع مساحات من أرضنا للغرب لكى يدفن فيها النفايات المشعة؟. وما الذى يريدون دفعنا اليه أهو القروض التى تكبل الاقتصاد وتشله وتجعله تابعا؟ أم قوانين السوق الحرة والبطالة والعبودية المقنعة؟». ويختتم «بوندريف» مقالته بتساؤل: «والان ماذا بعد.. ؟ ماذا بعد الكوارث التى هبطت علينا فى تشيرنوبل؟ وحلت بأرضنا وبحارنا وسمائنا؟ وماذا بعد أن هبطت طائرة الطيار الالمانى «روست» فى الساحة الحمراء فى وضح النهار؟ ومن المسئول عن الانفجارات التى وقعت فى كازاخستان وباشكيريا وغيرهما؟. نسأل أنفسنا من المسئول ولانجد اجابة عن ذلك.»

وعندما ينتهى الانسان من قراءة مقالة «بوندريف» يظل سؤاله يطن فى الأذنين وفى الوعى: ماذا بعد.. ؟ الى أين تمضى هذه التجربة التاريخية الكبرى؟

أحمد الخميسى



انقلاب مارس وتزايد احتمالات التسوية

فى ١٤ أبريل الماضى إنقضت سنتان على توقيع اتفاقية «جنيف» بين حكومة أفغانستان بزعامة د. نجيب الله، وحكومة باكستان، وحكومتى الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى، من أجل تحقيق التسوية السلمية فى أفغانستان.. دون أن يتوقف نزيف الدم. ورغم الأحداث الدامية والتصعيد فى العمليات العسكرية (الارهابية) من جانب المعارضة الأفغانية المسلحة (المجاهدون) وحمامات الدم بين الجماعات المتصارعة داخل نظام الحكم فى كابول، وبين الفرق المختلفة فى صفوف المجاهدين.. يرى المراقبون، أن إحتمالات التسوية السياسية تتزايد، وأن العناصر المتشددة والمتطرفة تفقد كثيرا من الارض التى تقف عليها.

ونستطيع أن نرصد ثلاثة أحداث هامه تزيد فى النهاية من فرص السلام فى أفغانستان

كابول تعلن استعدادها لتدمير أسلحتها إذا توقفت أمريكا عن دعم المتمردين بالسلاح!

«جبهة السلام»

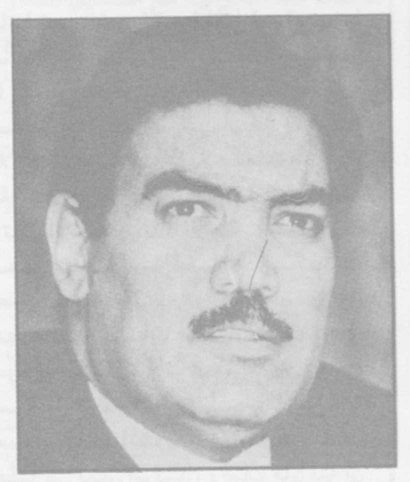
الأول.. فشل محاولة الانقلاب العسكرى الذى قاده الجنرال «شاهنواز تاناى» عضو المكتب السياسى لحزب الشعب الديمقراطى الحاكم ووزير الدفاع يوم ٦ مارس ١٩٩٠، بعد أيام فقط من الاحتفال بالذكرى الأولى من انسحاب القوات السوفييتية (١٥ فبراير ١٩٨٩).

فرغم إتساع قاعدة الانقلاب الفاشل الذى شارك فيه عدد كبير من جنرالات الجيش الأفغانى (أكثر من ١٢ جنرالا من بينهم قائد سلاح الاشارة وقائد القوات الجوية)، وبعض قادة الجيش السابقين مثل «الجزال قادر» القائد السابق للسلاح الجوى وأحدأهم المشاركين فى ثورة أبريل ١٩٧٨ التى أطاحت بحكم داوود خان وقفزت بحزب الشعب الى السلطة، وعدد من أعضاء المكتب السياسى للحزب الحاكم منهم «نياز».. فقد نجح د. نجيب الله فى تصفيه الانقلاب واستعادة السيطرة على كابول فى ساعات قليلة.

وساعد د. نجيب الله على عزل الانقلابيين، الموقف الانتهازى الفاضح الذى اتخذه «تاناى» لقد أعلن تاناى المعروف بتشدده ضد المعارضة المسلحة (المجاهدون) وضد أى تسوية سلمية معهم، ووصفهم دائما فى أحاديثه «بالكلاب»، تحالفه مع الجناح المتطرف « للمجاهدين» بزعامة «قلب الدين حكمتيار»، وقال بعد هروبه الى الجبال.. «سنستمر فى كفاحنا لاسقاط نظام نجيب الله بمساعدة المجاهدين» ودعى أنصاره للاتصال بقادة المقاومة المسلحة للاطاحة بنظام كابول ومساعدتها على إقامة حكومة إسلامية فى أفغانستان». وعلى الضفة الأخرى أعلن «حكمتيار» تأييده للأنقلاب ودعى المجاهدين للمشاركة مع الانقلابيين فى المعارك لإسقاط النظام.

وتقدمت حكومة كابول خطوات جديدة بعد أن استعادت زمام الأمور فى سياستها من

د. نجيب الله



أجل تحقيق المصالحة الوطنية.

فأعلن وزير الخارجية الأفغاني «عبد الوكيل» استعداد بلاده لتدمير مخزون الأسلحة السوفييتية الصنع الموجودة في أفغانستان، اذا توقفت الولايات المتحدة ودول أخرى عن دعم المجاهدين. وكانت قد طالبت حكومة باكستان قبل ذلك بوقف متزامن لشحنات الأسلحة لطرفي النزاع.

تم أعلن عن تأسيس «جبهة السلام» لتحل محل الجبهة الوطنية، على أن تعقد مؤتمرها التأسيسي خلال اربعة أشهر وتضم تسعة أحزاب سياسية وخمس منظمات إجتماعية، ولا تخضع لقيادة الحزب الحاكم، كخطوة لتأسيس حكومة ائتلافية في المستقبل من كافة القوى.

الاخوة الأعداء

الحدث الثاني الذي يدفع في إتجاه تحقيق التسوية السلمية هو فشل المجاهدين في تحقيق أي نصر عسكري منذ إنسحاب القوات السوفييتية. ونجاح حكومة نجيب الله في إفشال كافة المحاولات لإحتلال أي من المدن الأفغانية خاصة مدينتي «جلال أباد» و«خوست» القريبتين من الحدود الباكستانيه حيث تتركز قوات «المجاهدين». وكانت الحكومة التي شكلتها المعارضة المسلحة تراهن على الاستيلاء على أحد المدن الأفغانية واقامة سلطتها هناك وتشكيل مجلس للشورى، والحصول على اعتراف دولي بالحكومة.

وتصاعدت في الفترة الأخيرة الانقسامات داخل صفوف «المجاهدين»، والصدامات المسلحة، خاصة بين جماعة «قلب الدين حكمنيار» والجماعات الاخرى.

بعد المجزرة التي ارتكبها حكمنيار «ضد قوات »شاه مسعود « أحد أبراز زعماء المقاومة المسلحة في داخل أفغانستان في اقليم في وادي بانشير»، وقتل خلالها ثلاثون من رجال مسعود، من بينهم سته من القادة (يوليو ١٩٨٩)... أعدم مسعود «القائد سيد جمال وأخيه واثنين آخرين من اعضاء «حكمنيار» بتهمة مسئوليتهم على هذه المجزرة. وتمت عملية الاعدام شنقا في حديقة عامة في بداية شهر يناير الماضي. وخطورة هذا الاجراء أنه يأتي بعد مصالحة تمت بين زعيمي التنظيمين في نوفمبر الماضي، ويعيد مسلسل التصفيات المتبادلة من جديد.

وهكذا اغتيل «نسيم أحقد زاده» أحد القادة العسكريين «للمجاهدين» يوم ٢٥ مارس مع نائبه و٤ من «المجاهدين» في بيشاور بباكستان قرب الحدود الأفغانية اعتبر الاغتيال ردا على اغتيال «حاجي بايغده

قائد الإنقلاب متشدد يصف المجاهدين بالكلاب.. ويتحالف معهم!

محمد» أحد قادة التنظيمات المنافسة.

وجاءت محاولة الانقلاب الفاشلة في كابول، وتأييد حكمنيار لها لتزيد من الانقسام في صفوف تحالف الأحزاب السبعة «المجاهدين » في بيشاور.

فقد رفض «صبغة الله مجددي» باسم «المجاهدين» الدعوة الى التحالف مع الجنرال «تاناي» وجماعته، والتحالف الذي أعلنه «حكمنيار» معه فقال.. «لانستطيع أن نكون طرفا في اقتتال بين جماعتين شيوعيتين».كما رفضوا طلبا مماثلا من رئيسه وزراء باكستان«



رغم تصريحات الحكومة المتكررت، بأن العلاقات بينها وبين منظمة التحرير الفلسطينية سمن على عسل واصل «الاستاذ» أنيس منصور- رئيس تحرير جريدة «مايو» لسان حال الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم هجومه العنيف على المنظمة، وهو مالفت نظر صحفي أجنبي، فسأل أحد المسئولين عن هذا التناقض، وقد نفى سعادة الباشا أن هناك تناقضا، وقال ان جريدة «مايو» ليست لسان حال الحزب الوطني. ورداً على سؤال من الصحفي، قال معاليه:

- الجريدة الرسمية للحزب الوطني هي «يديعوت إحرانوت»!

«المصري أفندي»

بنازير بوتو» عندما اجتمعت بممثلي الأحزاب الستة بعد الانقلاب بليلة واحدة ودعتهم الى الوقوف مع تحالف «تاناي- حكمنيار» وتأييد الانقلاب، الذي ساهمت المخابرات الباكستانيه في إعداده.

ويتعرض تحالف «بيشاور» حاليا لمصاعب جمة من القبائل الباكستانية على حدود باكستان. فقد نصب رجال القبائل في بداية شهر أبريل الماضي كمينا لأربع سيارات تابعة للحكومة المؤقتة «للمجاهدين» في منطقة خيبر في باكستان أثناء توجهها الى إقليم «ننجارهار» في أفغانستان محمله بالعتاد الحربي والصواريخ الأمريكية، وذلك إحتجاجا على عدم استجابة المقاومة المسلحة لطلب رجال القبائل والتجار بفتح طريق «طورخم - كابول» أمام حركة التجارة.

ويزيد من المشاكل المواقف غير المسئولة من بعض قادة «المجاهدين» مثل حديث أحد شاه مسعود عن نيته لنقل المقاومة المسلحة من أفغانستان الى آسيا الوسطى داخل الاتحاد السوفيتي بهدف «تحرير «طاجكستان واوزبكستان وكازاخستان من الجيش الأحمر وإقامة دولة اسلامية هناك!. فبعض القادة الآخرين يرون في ذلك مغامرة حمقاء تدفع السوفييت الى مزيد من التأييد لحكومة نجيب الله.

ولاشك أن هذه المشاكل والانقسامات في صفوف «المجاهدين» والفشل في تحقيق أي من أهدافهم المعلنة يدفع بالكثيرين للتفكير في الاستجابة لدعوة السلام التي تنطلق بالحاح من كابول

أمريكا.. والمخدرات

أما الحدث الثالث والهام، فهو التغير في الموقف الأمريكي . فرغم أن الادارة الأمريكية مازالت تعلن أن الحل للمأساة الافغانية هو رحيل حكومة «د. نجيب الله» ، الا أن المراقبين يلاحظون مظاهر للتغيير النسبي في الموقف الأمريكي

فبعد عودة البعثات الدبلوماسية لفرنسا والمانيا الغربية وايطاليا وبريطانيا (٤ من حلفاء واشنطون) الى كابول، أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية وفدا عالي المستوى برئاسة «روبير كميت» مساعد وزير الخارجية الأمريكي للشئون السياسية للأجتماع مع ممثلي حركات المعارضة المسلحة في افغانستان ، وتم اللقاء في إسلام أباد. وعبر «كميت» عن قلق الادارة الأمريكية من فشل المقاومة في تحقيق أي نصر عسكري بعد عام من إنسحاب القوات السوفييتيه.. «فرغم الحصارات الطويلة لم تسقط أي من المدن الهامة مثل «قندهار»او «جلال أباد» أو

«خزنى» أو «هيرات» أو «مزار شريف» أو «خوست» ، والمطارات الدولية التى تستقبل الامدادات لكابول لاتزال تعمل. وممر «سالانج» الاستراتيجى الذى يربط «كابول» بالاتحاد السوفيتى، عجز المجاهدون عن إحتلاله» وقال «كميت» أن المعونه الأمريكية المقررة للمعارضة (٧٦٠ مليون دولار سنويا) لايمكن أن تجدد الى الأبد ، مالم تحقق المعارضة نتائج ملموسه على الأرض..» وأضاف السفير الامريكى لدى الحكومة المؤقته «ب. طوسون».. أن الحكومة الامريكية ستقوم فقط بمساعدة المنظمات الفاعلة داخل افغانستان».

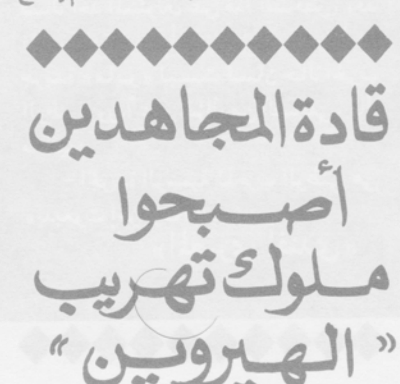
وعبرت صحيفة «نيويورك تايمز» عن الموقف الأمريكى فى أحد افتتاحياتها خلال شهر فبراير فقالت.. «إذ ماكان يعتبر إنتصارا حققته السياسة الأمريكية فى أفغانستان قبل عام ، لم يعد كذلك. فواشنطون توقعت إنتصارا عسكريا سريعا للمجاهدين بعد إنسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان، لكن ذلك لم يحدث.. ومنذ رحيل الروس أصبح بإمكان الرئيس نجيب الله أن يطرح نفسه كبطل للاستقلال الوطنى فى بلد عرف دائما بمقاومته للتدخلات الأجنبية»

وأضافت النيويورك تايمز..» لقد قتل المجاهدون آلاف المدنيين بإطلاق الصواريخ التى حصلوا عليها من الولايات المتحدة الأمريكية بصورة عشوائية على الاحياء السكانية بالمدن. ويقول بيتنز طومسون مبعوث الرئيس بوش لدى الحكومة المؤقته، أن قصف المدن الافغانية يذكره بالقصف الذى كانت تقوم به القوات الأمريكية على المدن الفيتنامية»، وتختم الصحيفة إفتتاحياتها قائلة.. «تحولت أفغانستان الى مصدر أساسى للمخدرات، التى أصبح عدد من قادة المجاهدين ملوك المتاجرة بها. ووصل الأمر الى الحد الذى طلبت فيه واشنطون من السفير الأمريكى لدى باكستان أن يبحث مع أحد القادة الموالين للمجاهدين فى مسائل تتعلق بزراعة الخشخاش وطلب هذا المجاهد« مليونى دولار مقابل الامتناع عن زراعته، لكن طلبه رفض».

وتحتل قضية متاجرة قادة المجاهدين فى المخدرات موقعها ما فى تغيير الموقف الأمريكى ، بعد أن أصبحت قضية المخدرات واحدة من أهم القضايا التى تشغل بال الرأى العام الأمريكى والحكومة على حد سواء. وأصبح موقف الادارة الأمريكية بالغ الحرج بعد حملتها على المخدرات فى أمريكا اللاتينية، وحملتها على دور قادة المجاهدين فى أفغانستان فى هذه التجارة.

وهكذا أضطرت الادارة الأمريكية الى توجيه إنذار علنى يوم ٢ أبريل الى المقاومة الافغانية طالبتها فيه بالبقاء بعيدة عن الشبكة الدولية لتهريب المخدرات، فأعلن «ملقى ليفيتسكى» مساعد وزير الخارجية الأمريكى لشئون المخدرات، فى مؤتمر صحفى عقده فى إسلام أباد، أن «الولايات المتحدة لايمكنها القبول بوضع تقدم فيه مساعدة الى المجاهدين الذين يشجعون من جهتهم إنتاج المخدرات لقد قلنا بوضوح للمجاهدين أن عليهم البقاء بعيدا عن المخدرات وعدم التشجيع على إنتاجها فى المناطق الأفغانية التى يسيطرون عليها. واذا قامت حكومة جديدة فى أفغانستان واذا أعترفت الولايات المتحدة بها، فهل نستطيع التأكد من أن هذه الحكومة ستتعاون معنا كليا وفق قوانيننا؟ لقد وجهنا الى المجاهدين هذا التحذير. فاذا تبين أن الأمر لا يتعلق بتعاون بل بمساعدة على تهريب المخدرات، فلن يكون بوسعنا مساعدة هذه الحكومة لأن قوانيننا متشددة جدا فى هذا المجال. إننا لم نطلب من المجاهدين وقف الانتاج فحسب ، بل التحرك ضد التهريب»

وطبقا للمصادر الأمريكية فانه يتم إنتاج مئات الاطنان من الأفيون سنويا فى الحدود الأفغانية ، ويتم تحويلها فى مختبرات سرية الى هيروين يملكها أو يشارك فيها قادة المجاهدين قبل أن تنتقل الى الولايات المتحدة وأوربا ويشارك «المجاهدون» مباشرة فى تهريب الهيروين بحجة تمويل حركتهم وشراء الأسلحة.



ويرى عدد من المراقبين الغربيين أن الولايات المتحدة تبحث عن ذريعة حاليا لفك إرتباطها بالمجاهدين ووقف مساعداتها قبل

نهاية السنة الحالية.

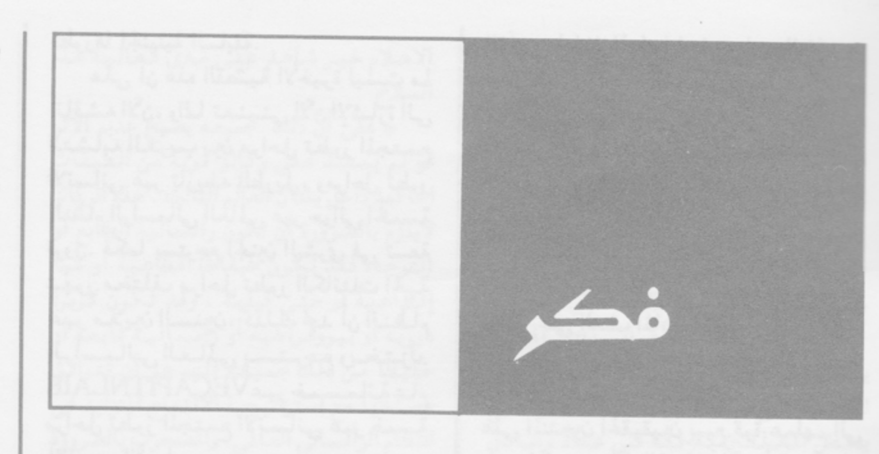
لكل هذه الأسباب تبدو إحتمالات السلام فى أفغانستان أقرب من أى وقت مضى..

وهناك حاليا ثلاثة مشاريع للسلام، تقوم بها.. حكومة كابول، والامم المتحدة، والاتحاد السوفييتى.. تقوم جميعا على وقف العمليات العسكرية، وتشكيل حكومة إئتلافية مؤقته تشارك فيها جميع القوى بما فيهم المجاهدون وحكومة كابول. واجراء انتخابات حرة تحت إشراف دولى.. ويبدو المشروع السوفييتى الذى أعلنه «ادوارد شيفاردنازه» والذى يحظى بموافقة كابول أوفر هذه المشاريع حظا. فهو يدعو الى حوار واسع بين الأطراف المختلفة بمشاركة كل القوى السياسية العاملة داخل أفغانستان وخارجها من دون إستثناء. وإعلان هدنة مؤقتة ينعقد خلالها مؤتمر سلام داخل أفغانستان أوفى بلد آخر وتبدأ به مرحلة إنتقاليه تنتهى بتشكيل حكومة إئتلافية واسعة، وإجراء إنتخابات تحت إشراف دولى بحضور مراقبين من الأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الاسلامى. كما يعقد مؤتمر رباعى تحضره الولايات المتحدة وباكستان وايران والاتحاد السوفييتى ويحضره الأمين العام والأطراف الأفغانية. وأن يوقف تزويد الاطراف المختلفة بالأسلحة، وتسحب كل احتياطيات الأسلحة من أفغانستان وأن يكون ذلك تمهيدا لجعل أفغانستان منزوعة السلاح ومحايدة شرط أن يثبت ذلك فى مؤتمر دولى.

فهل تتحقق تقديرات المراقبين، وتشهد أفغانستان فجر السلام هذا العام.

حسين عبد الرازق





مستقبل الإشتراكية فى عالم يحكمه نظام اقتصادى واحد

«تزايد الإفقار المطلق والإفقار النسبى للطبقات المنتجة». «تضخم جيش البطالة الدائم وارتفاع البطالة المؤقتة إلى قمم جديدة أكثر علوا فى كل مرة تحدث فيها إحدى الأزمات الدورية التى حتما تنتاب النظام الرأسمالى» «تهميش أعداد متزايدة من البشر وطردهم خارج العملية الانتاجية». «تركز الثروة والسلطة فى يد أعداد أقل فأقل من البرجوازية الحاكمة»« انهيار القيم المتوارثة بوجه عام: انهيارها لدى الأغلبية بسبب الفقر الملجئ، ولدى الأقلية بسبب الغنى الفاحش المفسد». «استحالة استمرار الوضع على ماهو عليه، وظهور القوى الثورية التى تنظم نفسها وتستفيد من أزمة النظام الرأسمالى المتزايدة العمق ومن عجز البرجوازية الظاهر عن الحكم أو- كما يقول المحدثون- فقدان مشروعيتها ومصداقيتها لكى تقلب ميزان القوى - أو تعدله- لصالح الأغلبية المستضعفة وتبدأ المسيرة الطويلة الواعدة على طريق الاشتراكية...»

ذلك ماكان يتنبأ به ماركس ورفاقه للبلدان الرأسمالية عالية التطور: انجلترا، فرنسا، المانيا .. الخ على أن هذه النبوءة- كما نعرف- لم تتحقق. وصحيح أن هذه البلدان تحتوى على رصيد دائم من البطالة يصعب إنكاره، بل إن من أساتذة الاقتصاد البرجوازى من يرى أن هذا الرصيد لايجوز أن يهبط الى أقل من ٦ أو ٨ فى المائة من القوة العاملة وإلا فقد الاقتصاد قدرته المتنافسة وتعرض للتضخم النقدى كما أن هذه النسبة قد ترتفع الى ١٢٪ أو أكثر فى أوقات الأزمات الدورية. صحيح أيضا أن كل مجتمع رأسمالى متقدم يحتوى على فئات مطحونة يقل عددها أو يتزايد: السود فى أمريكا، عمال الصناعات التقليدية فى شمال غرب انجلترا، العمال الأجانب فى سائر البلدان الرأسمالية، كذلك يستطيع كل ذى عينين أن يرى الأمراض الاجتماعية والنفسية التى تفتك بوجه خاص بالشباب والنساء، والشيوخ فى هذه البلدان نتيجه حمى السباق والتصارع الرأسمالى المحطم للروابط الإنسانية (المخدرات، الشعور بالوحدة والاغتراب .. الخ)، وهناك بعد ذلك المهمشون الذين يراهم السائح ملتحفين بأوراق الصحف فى ليالى الشتاء فى محطات المترو.. الخ.

لكى ذلك كله لاينفى أن الصوره بعيدة عن البؤس المادى المتزايد الذى كان يصفه ماركس ومرة بعد الاخرى تثبت الرأسمالية عالية التطور قدرتها على تخطى أزماتها وتطوير قوى الإنتاج بمعدلات عالية ومعالجة العديد من الأمراض الملاصقة لها عن طريق التأمينات الاجتماعية ورفع الأجور.. الخ، وذلك كله بفضل التقاليد الديمقراطية التى رسخت فيها، وقدرة الطبقات المنتجة على تنظيم نفسها والدفاع عن مصالحها، وقبول البرجوازية الحاكمة أن تقتسم معها الفائض الضخم الذى تقتطعه من بلدان العالم الثالث.

لم تصدق إذن نبوءات ماركس عن البؤس المتزايد وتباطؤ عجلة التقدم والإنتاج عن الدوران ثم الثورة .. لم تصدق لأن ماركس ركز جهده الأساسى على دراسة مايدور فى البلدان الرأسمالية عالية التطور التى ينتمى اليها، حاسرا البصر عن باقى العالم الذى ظل فى فكره مجرد متحف لاستخلاص الدروس التاريخية أو مسرح لصراعات القوى المتقدمة، محروم- إلا فى النادر- من دوره كفاعل أصلى للتاريخ المعاصر أو حتى الماضى (راجع على سبيل المثال نظريته فى ركود المجتمعات الشرقية).

لكن ما أن يخرج الدارس من إسار هذه الدائرة الضيقة التى حصر فيها ماركس تحليلاته وينظر الى العالم الفسيح الذى ينتمى مع ذلك اليها ويخضع لها ولاستغلالها ،ذلك العالم الذى نسميه الآن العالم الثالث، حتى يرى أن خطأ ماركس يتحول إلى صواب لم يكن يقصده: حين يرى أن الافقار المطلق والنسبى والبطالة الدائمة والتهميش والاغتراب والاستغلال البشع واتساع دوائر الجوع والحاجة من نصيب الغالبية العظمى من سكان العالم، وأن ذلك يحدث كنتيجه مباشرة لقوانين التطور الرأسمالى على المستوى العالمى التى تقسم العالم الى قسمين: بلدان مركزية متطورة، متحكمه ومستغلة، وأخرى - هى الأغلبية- طرفية فقيرة تابعة، مستغلة وعاجزة عن التطور السريع الذاتى الحركة.

بعبارة أخرى ما أن يجعل الدارس فى النظام الرأسمالى العالمى فى مجموعة الوحدة الأساسية للتحليل، حتى يرتد ماركس (لكى

نستعير عبارة ماركس الشهيرة التى تعامل بها هيجل) واقفا على قدميه بعد أن كان يبدو حتى الآن واقفا على رأسه، وتعود المصداقية الى الكثير من تحليلاته وربما أيضا بعض تنبؤاته. ولكن هذه التحاليل تعود بأشكال مختلفة عن الأشكال التى استخدمها ماركس، لكن تصبح أكثر اتساقا مع العالم الكبير الذى تتوجه اليه. عالم النظام الرأسمالى فى مجموعة، مأخوذا كوحدة واحدة، مركبة لكنها مترابطة.

تطور النظام الرأسمالى العالمى نظرية الاسترجاع المختزل

هذا النظام الرأسمالى العالمى كما قلت فى مقالى السابق لم يظهر بين عشية وضحاها وانما بدأ تطوره من حوالى خمسة قرون، مع نشأة الرأسمالية نفسها كنظام قومى (فى انجلترا ،فرنسا .. الخ). وها هو الآن قد وصل - ابتداء من فترة مابعد الحرب العالمية الثانية- الى المرحلة النهائية التى أصبح يتطابق فيها أسلوب الاستغلال على المستوى الداخلى القومى مع أسلوب الاستغلال على المستوى العالمى فى كونه قائما- فى الحالين- على السيطرة الاقتصادية للطبقات المستغلة على وسائل الانتاج وأدواته.

ولست ممن يؤمنون بالاستدلال على مايحدث فى الحياة الاجتماعية بالقياس على مايحدث فى الحياة البيولوجية لكن المتأمل لتطور المجتمع الانسانى يجد ظاهرة تستوقف النظر قد يصح فيها هذا القياس ولو بشكل جزئى.

فمن المعروف أن الجنين البشرى يختزل فى فترة الحمل وحدها مختلف مراحل التطور التى مرت بها الحياة عبر ملايين السنين، ابتداء من الخلية الواحده، الى الكائنات غير الفقرية متعددة الخلايا، ثم الفقريات غير الرئوية فالفقريات الرئوية حتى يصل أخيرا الى الفقريات الثديية، ويبدأ تطوره الحقيقى كإنسان بعد الولادة، من خلال المجتمع الذى يعيش فيه.

ولونظرنا الى تطور المجتمع البشرى بوجه عام لوجدنا أن ثمة تطورا طبيعيا من مرحلة الى أخرى أعلى منها: من مرحلة المشاعية الأولى الى مرحله الانقسام الطبقى القائم على العبودية ثم مرحلة الأنقسام الطبقى القائم على الأقطاع فمرحلة الانقسام الطبقى القائم على سيطرة الرأسمالية. وقد كان الظن سائدا لدى الكثيرين حتى وقت قريب أن التجارب الاشتراكية التى تحققت تمثل الولاده الحقيقية للمجتمع الانسانى الجديد الذى تنتفى فيه تدريجيا الطبقات والاستغلال وكل ماكان ينتقض من المجتمعات البشرية فى مراحل تطورها الجنينية السابقة.

على أن هذه القضية الأخيرة ليست ما أناقشه الآن، وانما تعنينى الآن الإشارة الى التشابه الغريب بين مراحل تطور المجتمع الانسانى عبر تاريخه الطويل، ومراحل تطور النظام الرأسمالى العالمى عبر حوالى الخمسة قرون. فكما يسترجع الجنين البشرى فى تسعة شهور مختلف مراحل تطور الكائنات الحية عبر ملايين السنين، كذلك نجد أن النظام الرأسمالى العالمى يسترجع ويختزل VECAPITNLAIE عبر خمسمائة عام مراحل تطور المجتمع الانسانى عبر خمسة آلاف من الأعوام:

واذا استثنينا مرحلة المشاعية البدائية التى ليس هناك مايقابلها فى تطور النظام الرأسمالى العالمى، فإننا سنجد أن المرحلة الأولى لتطور هذا النظام، تلك المرحلة التى قام فيها استغلال البلدان المركزية الرأسمالية (الأسياد) لبقية أطراف العالم على العنف المباشر غير المنظم، على الغزو والقتل والنهب واغتصاب ثروات الشعوب الذى لايحده عرف أو قانون أو قيم، تقابل الى حد كبير مرحلة العبودية فى تطور المجتمعات البشرية.

كذلك نجد ان المرحله الثانية لتطور النظام الرأسمالى العالمى، مرحلة الاستغلال الكولونيالى القائمة على العنف المنظم «المؤسسى» الذى يمارس على المستعمرات وأشباه المستعمرات، تقابل فى تطور المجتمعات البشرية مرحلة الاقطاع القائم بدوره على ممارسة العنف المؤسس والاعتراف بحد أدنى من الحقوق للأقنان لايتنافى مع أسس وقواعد الاستغلال الإقطاعى.

والمرحلة الثالثة، المرحلة الحالية التى انتقل اليها النظام الرأسمالى العالمى منذ الحرب العالمية الثانية هى مرحلة تعميم أساليب الاستغلال الرأسمالى التى يمارسها المركز على أطرافه على المستوى العالمى بسرعة متزايدة هذه المرحلة تقابل مرحلة التطور الرأسمالى فى سلم مراحل تطور المجتمعات البشرية. وهى تتميز بالتحرر السياسى للمستعمرات وأشباه المستعمرات مع بقاء ، بل وتزايد تبعيتها الاقتصادية. ومن هذه الزاوية فانها تتماثل مع تحرر الاقنان من النظام الاقطاعى (عند بدء ظهور الرأسمالية) واكتسابهم كافة الحقوق الشكلية للفرد الحر، دون أن يصاحب ذلك أى تحرر اقتصادى وبالعكس ، اقتران هذا التحرر القانونى بالخضوع الاضطرارى للاستغلال الرأسمالى بحكم حرمانهم من أى حق على وسائل الانتاج وادواته.

وبطبيعة الحال فأن هناك فوارق هامة بين أسس وتطور النظام الرأسمالى على المستوى القومى (داخل انجلترا او فرنسا .. الخ) وبين أسس تطور ذلك النظام على المستوى العالمى ، حتى فى مرحلته الأخيرة التى تتميز بغلبة أشكال الاستغلال الرأسمالى. هذه الفوارق لاينبغى أن تطمس أوجه الشبه الرئيسية بين النظامين:

* فكما أن الاستغلال الرأسمالى فى النظام الرأسمالى القومى أصبح لايقوم بشكل مباشر على العنف المادى المنظم أو غير المنظم، وانما يقوم على القهر الاقتصادى على طبيعة الأوضاع والقيود الاقتصادية التى تفرض على المنتجين الحقيقيين ببيع قوة عملهم الى من يملكون وسائل الانتاج والنزول لهؤلاء - بحكم قوى السوق- عن الفائض المتولد من عملية الانتاج ، كذلك فان استغلال المراكز الرأسمالية المتقدمة لقوة عمل وثروات شعوب العالم الثالث أصبح فى عالمنا المعاصر لايقوم على العنف المادى المنظم او غير المنظم ولكن على القهر الاقتصادى، حتى وان بقى العنف فى حالة النظام الرأسمالى القومى أو العالمى، هو الملجأ الأخير الذى تلجأ إليه بالضرورة الطبقات الحاكمة المستغلة لقمع كل محاولة من المستضعفين (الطبقات العاملة أو شعوب العالم الثالث) للتمرد على النظام أو تغيير أسسه.

* والقهر الاقتصادى الذى تمارسه مراكز النظام الرأسمالى العالمى لا يتأسس بالضرورة - كما هو الشأن فى النظام الرأسمالى القومى- على تملك المراكز لوسائل الانتاج الكائنة فى بلدان الاطراف، وان كانت هذه المراكز تسعى على الدوام لتملك اكبر قدر منها ، فى الماضى عن طريق تملك مصادر الثروات الطبيعية كالبترول والمناجم، وفى الحاضر عن طريق نشاطات الشركات المتعدية الجنسية ومحاولة شراء الموارد الانتاجية المختلفة، وخصوصا المملوك منها للقطاع العام فى بلدان العالم الثالث، مقابل الديون الخارجية التى كبلت بها غالبية هذه البلدان.

وانما يتأسس القهر الاقتصادى الذى تمارسة المراكز بالدرجة الأولى على احتكار هذه المراكز لوسائل انتاج التكنولوجيا المتطورة (أو تسيطر عليها المراكز- بصرف النظر عن تقدمها التكنولوجى- بسبب أهميتها الاستراتيجية) وامثلة ذلك الصناعات الالكترونيه وصناعات الكيمياء البيولوجية والفضاء ووسائل النقل والاتصال الأكثر تطورا والصناعات والخدمات الطبية والمصرفية والتأمين والسياحة والصناعات الحربية.. الخ وثمن براءات الاقتراح او أسماء الشهرة،

كذلك تتنوع أساليب الاستغلال المتفرعة

عن القهر الاقتصادى، من استغلال قوة عمل الشعوب على النمط التقليدى، الى التبادل غير المتكافئ، والأرباح الاحتكارية والفوائد الربوية الفاحشة واستغلال الأوضاع الاقتصادية المتدنية لفرض عقود الادارة وأعمال المقاولات وخدمات المكاتب الاستشارية مقابل عوائد باهظة، واستغلال هجرة العقول والهجرة العمالية غير المنظمة بل وهجرة - أوهرب- راس المال النقدى إلى بلدان المركز. يضاف ألى ذلك جميعه إفساد الحكام والادارة للحصول على امتيازات استثنائية الذى أصبح بعض المعلقين يدخله فى عداد وسائل الاستغلال الرئيسية التى تمارس على بلدان العالم الثالث.

وفى مواجهة هذه «الترسانة» المتكاملة للاستغلال، فإن انتقال بعض الصناعات الخفيفة و الصناعات الثقيلة غير المترابطة إلى بلدان العالم الثالث لايكفى وحده لنفى الاستغلال أو حتى التخفيف منه، فالعبرة فى النهاية هى بالاحتفاظ بالمفاتيح الرئيسية للاقتصاد العالمى فى يد المراكز المتقدمة.

* وكما قام الجهازان النقدى والمصرفى بدور رئيس فى تسيير ودفع عملية التطور الرأسمالى على المستوى القومى، كذلك احتاج النظام الرأسمالى العالمى فى مرحلته المعاصرة الى أجهزة مماثلة وإن اختلفت مهمتها بعض الشئ عن مثيلتها فى البلدان المركزية، فالمهمة الرئيسية لصندوق النقد الدولى وللبنك الدولى (ويقومان فيما بينهما بتقديم الأئتمان القصير المدى والأئتمان الطويل المدى والقيام بدور جنينى كبنك للأصدار) هى حتى الآن إخضاع بلدان العالم الثالث لبلدان المركز الرأسمالى الذى يسيطر على هذين الجهازين، وتهيئة أوضاعها الداخلية لتتمشى مع وسائل الاستغلال الرأسمالى العالمى، واعطاء الأولوية لنقل ثمار هذا الاستغلال من الأطراف إلى المركز ويعاونها فى ذلك جمعيه مصارف البلدان المتقدمة وفروعها فى بلدان العالم الثالث.

* لايستقر نظام رأسمالى ولايستطيع التطور اذا لم تصاحبه هيمنة أساليب الفكر والايديولوجية والقيم وانماط الاستهلاك البرجوازية. وفى النظام الرأسمالى العالمى تتكفل ببسط هذه الهيمنة وسائل الاعلام والاعلان والتعليم والتثقيف التى تسيطر عليها مراكز هذا النظام وتستخدم أحدث الوسائل وأكثرها فعالية لنشر رسالتها وراء الحدود، وخاصة بين الطبقات الحاكمة والمؤثرة فى الرأى العام داخل العالم الثالث. والمعركة الضارية التى دارت داخل اليونسكو فى الحقبة الماضية حول احتكار الغرب لوسائل الاعلام خير شاهد على مدى فعالية هذا السلاح

* على أن ذلك جميعه يصبح عديم الأثر لو لم يستند على ركائز قوية من الطبقات الحاكمة داخل بلدان العالم الثالث . هذه الركائز لايلزم بالضرورة أن تكون رأسمالية الطابع أو التوجه، فقد تكون طبقات اقطاعية أو شبه إقطاعية أو حتى قبلية ، وقد تكون كوبرا دورية أو بيروقراطية أو رأسمالية تابعة أو خليطا من ذلك جميعه إلمهم هو أن تتوافق مصالحها مع استراتيجية الاندماج المتزايد فى النظام الرأسمالى العالمى، والمصحوب بالضرورة - بوعى منها أو بدون وعى- بالتبعية المتزايدة للمراكز المسيطرة على هذا النظام.

* فى داخل هذا النظام العالمى تسرى قوانين التطور الرأسمالى الرئيسية التى كان يفترض أن تسود داخل النظام الرأسمالى القومى، وبوجه خاص قانون تركز الثراء والسلطة فى جانب وانتشار الافقار المطلق والنسبى فى جانب آخر ، وكذلك يسرى قانون التطور غير المتكافئ بين البلدان . وفى فترة معينة ساد لدى بعض الكتاب، ومن بينهم كاتب هذه السطور حتى وقت قريب، فكرة أن قانون التطوير غير المتكافئ لا يتعارض مع فكرة أخرى مستقرة، هى أن بلدان المركز ستبقى دائما بلدانا مركزية مسيطرة حتى وأن تغيرت مواقعها داخل المركز، كما أن البلدان الطرفية سوف تبقى على الدوام (مالم تتحول الى الاشتراكية) بلدانا تابعة لا ترقى الى مصاف بلدان المركز، حتى وان استطاع عدد قليل منها أن يتقرب من المركز بعض الشئ ليقوم بدور الوسيط، او حلقة الانتقال، بين المركز والبلدان التابعة. لكننى الآن اكثر ميلا الى تفسير قانون التطور غير المتكافئ؛ وضرورة وجود مركز مسيطر وبلدان تابعة داخل النظام الرأسمالى العالمى على نحو يحتم دائما وجود أقلية محددة من البلدان المركزية المسيطرة وأغلبية ساحقة من البلدان الفقيرة التابعة، دون أن يترتب على ذلك بالضرورة ثبات البلدان التى يتكون منها المركز أو البدان التى تتكون منها الأطراف

وبعبارة أخرى فمن الممكن أن يهبط أحد المراكز إلى مرتبة الأطراف (ولولا ارتباط انجلترا بالولايات المتحدة لكانت مرشحة لذلك) ، كما ان من الممكن أن يسمح لعدد محدود بين بلدان الأطراف بأن يرتقى الى المركز. والمهم هو أن تبقى هناك دائما اقلية مستغلة تكون المركز ، واغلبية تابعة متزايدة الفقر وقد يتكون حزام وسيط من البلدان الطرفية يماثل البورجوازية المصغيرة فى النظام الرأسمالى القومى ويؤدى دورها على مستوى النظام الرأسمالى العالمى.

ويمعرفة الظروف التى تمكن لبلد من الأطراف من الصعود الى هذه المرتبة الوسيطة أو حتى إلى مستوى المركز أمر بالغ الصعوبة، يكاد يكون فرعا مستقلا من فروع المعرفة الاقتصادية والاجتماعية لم تكد تبدأ بعد دراسته على أساس علمى

والأمر المتبقى منه- لأسباب يطول شرحها وقد عرضت لبعض منها فى محاولات أخرى- أن بلدان الوطن العربى بوصفها الحالى، والوطن العربى بوجه عام، ليست مرشحة للصعود الى هذا الوضع أو ذاك ، وبالعكس فأنها ، رغم غنى بعضها الظاهرى تنحدر

فى العدد القادم

محمود أمين العالم:	إشكالية الديمقراطية
د. رفعت السعيد:	الدور القيادى للحزب
محمد سيد أحمد:	الماركسية ودكتاتورية البروليتاريا
ناجى علوش:	الاسلام السياسى والقومية العربية
د. نصر حامد أبو زيد:	النصوص الدينية

بسرعة متزايدة نحو القاع، هذا اذا لم يحكم عليها بالتهميش الكامل اذا سمحت لنفسها باستمرار السير على طريقها الحالى.

* يبقى - استكمالا للمقارنة بين النظام الرأسمالى القومى والنظام الرأسمالى العالمى- أن أشير الى أن هذا الأخير قد أخذ أيضا يكتسب بشكل جنينى بعض المقومات السياسية والقانونية التى صحبت منذ فترة طويلة ظهور النظام الرأسمالى القومى. فمجلس الأمن والهيئات المتنوعة المتفرعة من الأمم المتحدة كهيئة الصحة العالمية ومنظمة الغذاء والزراعة واليونسكو .. الخ تقابل السلطة التنفيذية المركزية والأجهزة البيروقراطية فى الرأسماليات القومية، وتتشابه معها فى أنها فى الاساس تخدم مصالح البلدان الرأسمالية المركزية كما تخدم نظائرها على المستوى القومى الطبقات الحاكمة.

وعلى المستوى التشريعى والقضائى، هناك الجمعية العمومية للأمم المتحدة التى تقابل فى الرأسماليات القومية البرلمان، وان يكون دور الجمعية العمومية حتى الآن استشارى بحت، وهناك بعض الهيئات الأخرى التى تملك التشريع فى مسائل محددة مثل اتفاقية التجارة والتعريفات الجمركية (هيئة الجات) التى تلعب دورا هاما فى تقنين حرية التجارة الدولية والانفتاح الاقتصادى. على أن أهمها جميعا الاتفاقات المتصلة بحماية وتشجيع الاستثمار الاجنبى التى يشرف عليها ويسعى لفرضها على العالم الثالث البنك الدولى، فهذه فى مجموعها تعيد بالتدريج وعلى مستوى عام نظام الامتيازات الأجنبية الذى كان يحمى رأس المال الاجنبى فى مرحلة الاستعمار الكولونيالى فى الدولة العثمانية والصين، وقد أفرخت هذه الاتفاقات أيضا هيئات ومراكز التحكيم الدولية التى تسعى- بنجاح ملحوظ فى عدد من دول العالم الثالث- الى فرض سلطانها القضائى على منازعات الاستثمار الأجنبى وتقنين قواعد خاصة لحمايته. ويحدث ذلك فى غفلة من البرجوازيات المحلية أو بتواطؤ منها.

الديمقراطية الاشتراكية

ومن المعروف أن أجهزة الدولة الرأسمالية التنفيذية والتشريعية والقضائية ليست مجرد أجهزة للقهر الطبقى، لكن مهمتها تجاوز ذلك الى المحافظة على استقرار وسلامة النظام الذى يضمن استمرار عملية الاستغلال الرأسمالى. كذلك من المعروف أنه فى بعض الرأسمالية المركزية استطاعت القوى الشعبية أن تحصل على مكاسب كبيرة تحققت فى الاساس بفضل فائض الاستغلال الاستعمارى الضخم الذى أوجد نوعا من التحالف بين الرأسماليات المركزية وطبقاتها العاملة فى مواجهة حركات التحرر القومى، ويصدق ذلك على بلاد السويد او النرويج التى وإن لم يكن لها ماض استعمارى لكنها تعمل داخل دائرة الاستغلال الاستعمارى وتتمتع بثماره. وتعرف نظم الحكم فى هذه البلدان بنظم «الديمقراطية الاشتراكية» وهى فى حقيقتها نظم رأسمالية مركزية تستهدف المحافظة على أسس النظام الرأسمالى مع الحد من بعض شروره عن طريق اقتسام نسبة من الفائض مع الطبقات الشعبية.

وعلى المستوى العالمى فلاشك فى أن بعض الأجهزة مثل جهاز الصحة العالمية أو الفاو، وأن كان يخدم فى الأساس دوائر رجال الأعمال والمصالح الرأسمالية الكبرى، الا أنه أيضا يؤدى خدمات هامة لبلدان العالم الثالث. يثور التساؤل هنا عما اذا كان يمكن، بفضل الأغلبية المضمونة للعالم الثالث فى الجمعية العمومية للأمم المتحدة، أن يتحقق تدريجيا نوع من الديمقراطية الاشتراكية على المستوى العالمى يشابه ما نشأ فى بعض البلدان الرأسمالية المركزية وتحقق مكاسب لبدان العالم الثالث تماثل ما تحقق للطبقات الشعبية فى البلدان المركزية.

ذلك تساؤل، او على الأصح تفاؤل، ساد



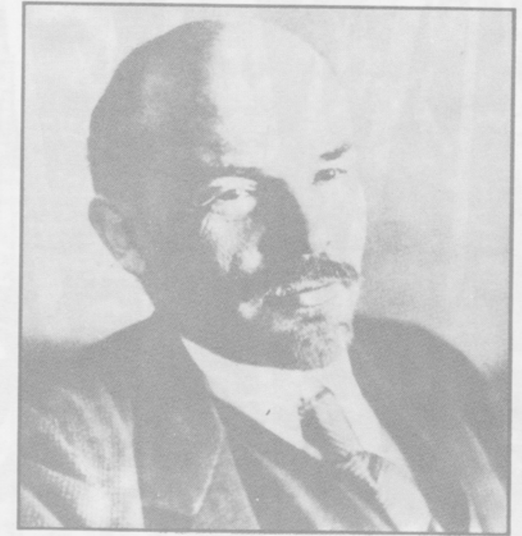
> دقت زوجتى على صدرها حين انتهى الحاحها علىّ فى بداية شهر الصوم بشراء ١٠ كيلو بلح ابريمى لكى تصنع منه خشاف رمضان،بشرائى لثُمن كيلو فقط، معتذرا بارتفاع سعر الكيلو الى ٣ جنيهات،
> ولما أحصت البلحات فوجدتها ٣٣ بلحه فقط، سألتنى:
> - ودول ح نعمل بهم إيه؟
> فقلت: نعملهم مسبحة، نسبح عليها بحمد الحكومة!
>
> «المصرى أفندى»

بشكل وبائى فى السبعينات، عندما نجحت الانتصارات السياسية التى حققتها حركات التحرر الوطنى فى العقدين السابقين. والقوة المتزايدة لحركة عدم الانحياز وانتصار البلدان النفطية وعلى رأسها البلدان العربية فى معركة أسعار النفط فى التبشير بقدوم نظام اقتصادى عالمى جديد وساعد على انتشار هذا التفاؤل صدور اعلان الجمعية العمومية للأمم المتحدة يحمل هذا العنوان فى عام ١٩٧٤ وكذلك صدور ميثاق الحقوق والواجبات الاقتصادية للدول فى العام ذاته.

عندئذ بدا للكثيرين أن الطريق أصبح ممهدا لعصر جديد تتوالى فيه انتصارات العالم الثالث الاقتصادية، محققه على المستوى العالمى نوعا من «الديمقراطية الاشتراكية» ورغم أننى فى هذه الفترة كتبت كثيرا مؤيدا الدعوة الى مثل هذا النظام وداعيا فى الوقت ذاته الى اقامة نوع من الاعتماد الجماعى على الذات بين دول العالم الثالث إلا أننى لم أشارك قط، بل وحذرت من، ذلك التفاؤل الذى شابه قدر كبير من السذاجة والبعد عن فهم طبيعة النظام الاقتصادى العالمى والقواعد التى تحكمه كما أشرت الى عدم اكتشاف كوكب جديد يمكن استغلال سكانه للحصول على فائض يمكن إقامة التحالف الضمنى المفترض بين مراكز النظام الرأسمالى العالمى وأطرافه!

وبوجه خاص فاننى أثرت موضوع هشاشة القاعدة الاجتماعية التى تقوم عليها النظم الحاكمة فى أغلب بلدان العالم الثالث واعتماد الحكام على إثارة الأمل فى قيام نظام اقتصادى عالمى جديد والقاء تبعة التخلف على الاستعمار والرأسمالية كبديل عن الاصلاحات الجذرية والسياسات السليمة التى ينبغى القيام بها فى الداخل والتى أصبحت تعرف كتابات هذه الفترة باستراتيجية التنمية المعتمدة على الذات والمتمركز فى نحوها كبديل عن سياسة الانفتاح والاندماج المتزايد فى النظام الاقتصادى الرأسمالى العالمى.

وأظن أن دروس الثمانينات، والهزيمة التى لقيتها الدعوة الى نظام اقتصادى عالمى جديد، وزيادة تدهور مواقع بلدان العالم الثالث بوجه عام داخل النظام القائم، كل ذلك يبين عدم جدوى الاعتماد فى الوقت الحاضر على أوهام «الديمقراطية الاشتراكية على المستوى العالمى» وضرورة الاستناد الى القوى الشعبية العاملة أو الفاعلة داخل هذه البلدان للخروج بها من المأزق الحالى.



لينين

اشتراكية القرن الواحد والعشرين:

«استراتيجية التنمية المعتمدة على الذات والمتمركزة نحوها كبديل عن استراتيجية الانفتاح والمزيد من الاندماج- من مركز الضعف- في النظام الرأسمالي العالمي» و«الاستناد في هذه الاستراتيجية الى القوى الشعبية العاملة او الفاعلة» كان هذان الشعاران يلخصان لدى عدد من دراسي العالم الثالث والمهمومين بمأزقه في عقدي السبعينات والثمانينات إسلوب الخلاص من هذا المأزق. ولم نكن نرى في هذين الشعارين ما يتعارض و الاشتراكية وبالعكس فان المتأمل فيهما يرى أنهما يمثلان خطوة ضرورية نحو أي تحول اشتراكي ، حتى ولم يكن هناك التزام فعلى بالاشتراكية كهدف نهائي.

وقد كان لهذه «النهاية المفتوحة» التي يمكن أن تؤدى الى طريق الرأسمالية (لكن من مركز أفضل داخل النظام الرأسمالي العالمي) كما يمكن أن تؤدى الى الاشتراكية مزايا ودوافع متعددة ليس أقلها ضمان مشاركة أوسع القوى الوطنية في تنفيذ هذين الشعارين وترك المصير النهائي للمستقبل دون أن يضمر أحد الأطراف النية منذ البداية على الطرف الآخر حول مقاصده وأهدافه، ومنها الشعور بأن التنمية المستقلة كانت في واقع الأمر أهم ماحققته البلدان «الاشتراكية» الرئيسية أما الأهداف الأخرى التي لاتكتمل الاشتراكية دونها، مثل القضاء الكامل على الاستغلال وعلى الصراعات القومية والطبقية وتحقيق الحريه الكاملة للمواطن فهي لاتزال أهدافا بعيدة المنال، ومن الافضل اذن عدم الارتباط بتسميات لم يسمح العصر بعد بتحقيقها حتى لاتفقد الدعوة مصداقتيتها لدى المتنبهين لما يحدث في العالم المحيط بهم أو تتبدل كلمة الاشتراكية السامية لتصبح- كما حدث في بعض الأحوال- مسخا بعيد الصلة عما صيغت الكلمة عليه. وفي تقديري أن ذلك الموقف كان سليما في وقته ولايزال سليما في وقتنا هذا.

هل يعني ذلك أن الاشتراكية عادت مرة أخرى مجرد حلم غير قابل للتحقيق، وعلى الأقل أجلت الى موعد بعيد؟ إن احداث أوربا الشرقية تمر الآن بسرعة تخطف البصر والفكر حتى أن ماكان يبدو من شهر، عند كتابة مقامي الأول، مجرد احتمال أصبح الآن قريبا من الأمر المؤكد. ورغم تقديري ، كما بينت في ذلك المقال، أن بعض بلدان أوربا الشرقية سوف تلحق حتما بالغرب وتصبح جزءا من نظامه، فلازلت أرى أن الوضع يختلف بالنسبة لبلد كالاتحاد السوفيتي

هناك ، بعد فترة تطول أو تقصر يتناوب فيها الحكم جناحا البيروقراطية الحاكمة، سوف يتضح في نهاية الأمر لمجموع الشعب العامل السوفيتي أنه لايستطيع الجمع بين ضمانات ومزايا المجتمع الاشتراكي التي اطمأن اليها وأصبحت جزءا من قيمة وبين مظاهر الاسهلاك الباذخ القائمة في جزء كبير منها على ثمار الاستغلال الاستعماري المتراكمة والمعاصرة، والتي تتمتع بها نسبة محدودة فقط من الشعب في الغرب و تصورها له وسائل الاعلام الخداعة النافذة إليه من الغرب كما لو كانت حق الميلاد الذي يحصل عليه كل مواطن عادي، دون دموع ودماء وعناء وتضحيات أخرى تهون بجوارها مشاق الحرمان الاخرى

وعندما تأتي الاشتراكية مرة أخرى الى هذه البلدان التي خاضت تجارب التحول الاشتراكي القاسية وتحاول الآن أو تحاول أجزاء من طبقاتها الحاكمة- الخلاص منها فلن تعود بشكلها القديم، وانما ستعود كما تصورها دعاة الاشتراكية الاولون، مضافا اليها الدروس المستخلصة من تجارب الماضي ومن مكتسبات الانسانية واتساع آفاقها في عصرنا الحالي، والتي قد يمكن تلخيص بعضها فيمايلي:

* أن حرية الفكر وحرية النقد وحرية اختيار الحكام هي من المكتسبات الأساسية التي تتصدر كل نظام اجتماعي مقبول والضمان الاساس المانع من انتشار الفساد بين الحكام ، وهي حرية لايصلح أن تتخلف انتظارا لتحقيق المكاسب الاقتصادية ، فالخبز، حتى عندما يتوافر لايمكن أن يصلح بديلا عن الحرية

* أن هناك أبعادا جديدة للاشتراكية تتناول علاقات الانسان الطبيعية تختلف عما كان يتصوره القرن التاسع عشر المغرور بانجازات الانسان العلمية والتكنولوجية: فالانسان لايمكنه أن يعيش حياة متكاملة أو حتى سليمة على أساس «السيطرة على الطبيعة» وتسخيرها لأغراضه القاصرة، ولكن على اساس احترامها والتناغم والتعايش معها كجزء من كل متكامل يتزايد ارتباطه الحميم به بدلا من أن يتصارع معه

* أن هناك ابعادا داخليه- داخل الانسان نفسه- للتحول الاشتراكي يمكن أن تعاون على تكاملها مكتسبات حضارات الشرق القديمة وانجازات العلم الحديث

هل يتعين الانتظار حتى تعود الاشتراكية الى مسارها الطبيعي، في الاتحاد السوفيتي والصين وغيرها، لكي تسترجع سحرها وجاذبيتها للشعوب الأخرى؟ وهل يتعين لكل شعب ينتهج طريق الاشتراكية، قبل أن يصل الى لحظة الميلاد السعيد الموعود، أن يمر بتجارب قاسية مشابهة او مغايرة لما مر به الاتحاد السوفيتي وغيرهما ؟ وماهي أساليب التحول الاشتراكي غير المصحوبة بآلام المخاض الفتاكه هذه؟

ذلك فيما اتصور هو علم الثورة والبناء الاشتراكي الجديد الذي يتعين على القرن الواحد والعشرين أن يبدأ بإرساء أسسه.

د. فوزي منصور

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆



خطأ المناقشة حول النظرية أو خطأ التطبيق

تتلخص المادة التاريخية فى ثلاثة مبادىء أساسية:

أولا- تطور الانظمة الاجتماعية الاقتصادية او المعروف تاريخيا أنها خمسة أنواع أساسية: الجماعة- البدائية، نظام العبودية، النظام الاقطاعى، النظام الرأسمالى، النظام الاشتراكى.

ثانيا- ان كل هيكل اجتماعى اقتصادى، وهو فى نظر ماركس البناء التحتى يولد ايديولوجية خاصة به، أو بنيان فوقى.

ثالثا- ان كل بنيان فوقى يستمر موجودا حتى بعد انتهاء الظروف- أى البنيان التحتى- التى ولدته. فالبيان الفوقى بعد تكوينه يصبح الى حدما مستقلا نسبيا عن البنيان التحتى: وقد كتب المؤرخ الماركسى الايطالى المشهور دونينى DONINI: «ان مظاهر الايديولوجية تميل الى الاستمرار بالانتقال من مرحلة الى أخرى حتى بعد زوال الظروف التى سببتها». وقد يدوم هذا الاستمرار مدة غير قصيرة.

وهذا المبدأ الثالث هو الذى يساعدنا على تحليل مايسمى بالستالينية وتفسير مايجرى حاليا ف البلاد الاشتراكية. ويبقى قبل كل شىء التميز بين تأثير ستالين كفرد- وهو بغير شك لعب دور ايجابيا- الى جانب دوره السلبى- والستالينية وهى مجموعة المظاهر السلبية التى ميزت مرحلة معينة من الاشتراكية السوفيتية. ولما كانت الماركسية تعلمنا ان نفسر التاريخ بمفتاح اجتماعى وليس بمفتاح فردى، فمن الخطأ أن ننسب كافة المظاهر السلبية الى تأثير ستالين الشخصى. فظاهرة الستالينية هى فى الأساس استمرار للايديولوجية التى تكونت عبر آلاف السنين من تطور الأنظمة الطبقية. وهذه الايديولوجية-، بالرغم من الفروق بين نظام طبقى وآخر، تتميز بالتفرقة بين الحاكمين والمحكومين وتعلى السلطة على الشعب.

فالنظام الاشتراكى، وهو وريث الأنظمة الطبقية السابقة، تأثر هو أيضا بالايديولوجية الطبقية. ويأخذ هذا التأثير مظاهر عديدة من شأنها أن تعرقل وتعوق نمو المجتمع ككل. فالستالينية هى الطموح الى السلطة والتشبث بها واستغلال امتيازاتها حتى بالطرق اللاقانونية والاجرامية.

وكان تأثير الايديولوجية الطبقية شديدا فى الاتحاد السوفيتى، إذ دعمته عوامل موضوعية خاصة بأول بلد اشتراكى ظهر فى التاريخ، وهى تتمثل فى ضعف النمو الاقتصادى الرأسمالى، وتقاليد البيروقراطية القيصرية او عدم وجود خبرة ديمقراطية، ثم الحصار العالمى الذى أدى الى ضرورة الدفاع عن النظام الاشتراكى بكافة الطرق. فالستالينية هى ايضا استمرار للايديولوجية

الرأسمالية بل الاقطاعية فى ظل حصار الامبريالية. فستالين هو من الوجهة الماركسية نتيجة للمرحلة المسماة بالستالينية اكثر منه سبباً لها وانما نتيجة بقاء الايديولوجية الطبقية بكل مظاهرها السلبية.

من الواضح انه لايمكن اعتبار ستالين– الذى مات منذ ٣٧ سنه مسئولا عن المقاومة التى يبديها اليوم جزء من الحزب الشيوعى السوفيتى للبيروسترويكا. فهذه المقاومة تعبر بجلاء عن التمسك بنظره دكتاتورية للسلطة كظاهرة تاريخية منتشرة فى كافة البلدان الاشتراكية بما فيها الصين ويوغوسلافيا. ويكفى أن نشير هنا الى ان الطلبة الصينيين يناضلون اليوم تحت شعار «فلنحرر الصين من الاقطاعية».

يقول الماركسى الايطالى ماريو الينى MARIO ALINEI «ان عدم أخذ الاستقلال النسبى للايديولوجية عن البنيان التحتى فى الاعتبار يؤدى الى تحويل التطور التاريخى الى صيغة ميكانيكية بل سحرية، وذلك استنادا الى افتراض خاطىء مؤداه ان كل بنيان تحتى يطابقة بنيان فوقى واحد، وأن كل بنيان فوقى يطابقه بنيان تحتى واحد

«فالاخذ بهذه النظرة غير المنطقية يؤدى الى استنتاج أن الستالينية، هى البنيان العلوى الخاص بالبنيان التحتى الاشتراكى. وبالتالى أن ادانة الستالينية تجر معها ادانة الاشتراكية، فى حين أن هذه النظرة غير ماركسية بل ستالينية اذا أن ستالين كان يعتبر طريقة حكمه مطابقة للنظام الاشتراكى.

واذا نظرنا الى المسألة القومية الى تواجهها الآن السياسة السوفيتية، فانها تعبر بوضوح عن استمرار الأيديولوجية السابقة على النظام الاشتراكى. فبعد الثورة واجه لينين مسألة القوميات وقدم لها حلولا سليمة، بل ان ستالين نفسه– وهو ابن جورجيا– درس القضية باهتمام وسعى الى حلها. ومن الخطأ اعتبار ستالين مسئولا وحدة عن الأزمة الحاضره، فمن الملاحظ اليوم ان هناك اتجاها فى الاتحاد السوفيتى لا لقاء اللوم عن كافة المشاكل على عاتق ستالين وحده. ففى يوغوسلافيا مثلا، وهى بعيدة كل البعد عن ستالين، تتخذ المسألة القومية– ابعادا أشد منها فى الاتحاد السوفيتى.

ففى جذر كافة المشاكل القومية سواء فى الاتحاد السوفيتى أو فى البلاد الاشتراكية الأخرى، هناك أيضا استمرار للايديولوجية الموروثة من الأنظمة الطبقية السابقة. وهذه الايديولوجية متغلغلة بين بعض قادة الأحزاب الشيوعية المتمسكين بنوع من السلطة الطبقية مما أدى الى تعطيل حل المشاكل القومية، كما أن روح الوطنية التقليدية– وهى مختلفة عن حب الوطن– تستمر منتشرة بين جماهير الشعوب وتظهر فى بعض الأحيان بصورة عنيفة كما هو الحال اليوم بين الأرمن والأذربجانيين وكذلك بين السروبيا والبانيين الكوسوفو. ويقول الينى «ان الوطنية جزء من ميراث ايديولوجى يرجع الى زمن بعيد، ولايوجد قانون حتى لو كان ثوريا وتقدميا يستطيع نزعه من روح الانسان بقوة المراسيم وحدها».





ستالين

وعلى ذلك فان البيروستريكا هى تعبير عن تأثير البنيان التحتى الاشتراكى على البنيان الفوقى الايديولوجى. فالبيروسترويكا هى تعبئة قوى المجتمع فى كفاح شامل من أجل التخلص من كافة بقايا الايديولوجية الطبقية السابقة بتلاحم الديمقراطية بالاشتراكية. وبالتالى فان التغير فى البنيان الفوقى سيؤثر على البنيان التحتى باعادة بناء الجهاز الاقتصادى، والديمقراطية الاشتراكية هى الوحيدة التى تفجر المساواة الحقيقية اذا أنها قائمة على أساس الغاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وعدم استغلال الانسان لأخية الانسان، أى على أساس بنيان تحتى اشتراكى.

وليس من قبيل الصدفة ان البيروستوريكا ظهرت فى نهاية الحصار الامبريالى وتدعيم التعايش السلمى على أساس من التكافؤ. ويرجع إلى جورباتشوف الفضل فى أنه أدرك أهمية السلام فى هذه الظروف الجديدة لمطابقة البنيان الفوقى للبنيان التحتى.

وهنا نشير الى الأزمة التى تمر بها الان بلاد أوربا وهى الاحزاب الشيوعية وليست أزمة الشيوعية– وهذه الاحزاب تدفع الان ثمن طريقة حكمها التعسفية الموروثه من الانظمة الطبقية السابقة. ومما سبق يتضح ان المناقشة حول هل أخطأت الاشتراكية الماركسية أو أخطأ تطبيقها لامعنى لها على الاطلاق. فلكى نفهم ونفسر ما يجرى الآن فى العالم الاشتراكى لابد من الالتجاء الى مبادىء الماركسية وتطبيقها على هذا الواقع المتطور، وعند ذلك تصبح جميع المسائل واضحة على ضوء الماركسية.

مارسيل أسرائيل

الماركسية والقومية العربية لاتتناقضان

تطرح التغيرات الحاصلة فى العالم اليوم ضرورة إعادة التفكير فى قضايانا العربية وفى أساليب إخراجها من واقعها السئ الذى تحيا فيه، وطبقا للأولويات الفكرية أعتقد أن المقاربات الاشتراكية لأوضاع تطور وطننا العربى تأتى فى المقدمة، ومنها مراجعة هامة عادت إلى الظهور على سطح مناقشاتنا وأقصد بها المشكلة القومية فى ضوء الماركسية.

أولا: يتفق الجميع على أن الحركات القومية العربية نشأت فى الأصل نتيجة للتحدى الخارجي للتميز عن الغير والحؤول دون استمرار السيطرة الاستعمارية على البلاد العربية ومامثله من استغلال لمواردها الاقتصادية وإذلال معنوى. من هنا فقد بقيت أهداف الحركات القومية العربية حتى زمن قريب محصورة فى إطار تحقيق الاستقلال السياسى للأقطار العربية وتحقيق الوحدة.

ولم تصبح الحركات القومية العربية ذات مضمون اجتماعى واشتراكى الا بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية معينة فرضت على البرجوازية الصغيرة التى تصدت لقيادة الحركة القومية تبنى الحل الاشتراكى للحصول على تأييد الغالبية (العمال والفلاحين) ضد طبقة الملاك.

هذا بجانب خروج الاتحاد السوفيتى منتصراً من الحرب الثانية وماحققه من تحول إلى وضع اقتصادى صناعى متقدم فى خلال خمسين عاماً مقابل مائة عام أو يزيد للولايات المتحدة لتصل إلى نفس الدرجة. وعندما ندرس اشتراكية اكبر حركتين قوميتين فى الوطن العربى (حزب البعث- الناصرية) نجد ان اشتراكيتهما كانت ترمى لمصالح الطبقة المتوسطة ولذا فهى لم تتبن كل مطالب العمال والفلاحين وانما تبنتها بالقدر الذى لايؤثر على مصالحها والذى يمكن تحقيقه على حساب طبقة الأعيان (البرجوازية). وكانت تخشى من ضياع دورها إذا ماتحققت جذريا المطالب العمالية والفلاحية والنهج الفكرى للطبقة المتوسطة يتأثر بمصلحتها، لأنه إذا كانت الأيديولوجية هى مجموعة متكاملة متناسقة من الآراء والأفكار السياسية والقانونية والأخلاقية والفنية والفلسفية فإننا نجد لكل من الطبقة العاملة والرأسمالية نظر يتبعها ومنهجهما الفكرى المتميز باعتبارهما قطبى الصراع، أما البرجوازية الصغيرة فبحكم وضعها الوسط وطابعها الانتقالى وبحكم ازدواجيتها فإن نظرتها مشوبة بخلط فى الأفكار المتناثرة وهى لاتستطيع أن تتبنى النهج الفكرى لأحد قطبى الصراع لأن أحدهما يقود إلى الاستغلال والقضاء على الملكية والآخر يؤثر تمركز سلطة رأس المال بما يهددها بالضياع والخراب.

ثانيا: لم تضع أى من الحركات القومية العربية - ربما حتى اليوم- نظرية متكاملة بل إنها تعتمد على التجربة كحقل لتكامل النظرية وتعميقها، وهو مانعتبره براجماتية غير مقبولة وان كانت هذه البراجماتية نفسها قد أنقذت هذه الحركات من الجمود العقائدى والتحجر الفكرى واللذين سقط فيهما معظم الماركسيين العرب نتيجة النظرة الدوجماتية الخارجية للقضايا القومية العربية.

والحقيقة أن الأحزاب الشيوعية العربية وقعت فى التناقض من جراء الشعارات الستالينية حول أولويات النضال ضد الفاشية فى وقت تناضل فيه الشعوب العربية ضد الاستعمار الانجليزى والفرنسى فغابت شعارات مثل «الجبهة الديمقراطية الوطنية» ونشأ الإلحاق العقائدى والذى أدى بالماركسيين إلى مواقف فكرية مسبقه وتحليلات جاهزة للقضية القومية الكبرى وهى فلسطين حيث اعترف الحزب الشيوعى اللبنانى - مثلا- «أنه لم يستطع ان يقرر كما ينبغى الأبعاد الحقيقية السياسية والقومية التى يمكن ان تؤدى إليها على المدى البعيد نجاح المؤامرة على فلسطين بانشاء كيان صهيونى» وهكذا سيطرت نظريات ستالين (التى يحاربها جورباتشوف دون غيرها) على الماركسيين العرب واعتبروا المسألة برجوازية بحتة وان النضال القومى ماهو الا نضال بين الطبقات البرجوازية - فهل نظل بعد كل هذا التطور الفكرى خاضعين للتفسيرات الستالينية الخاطئة لفلسفة متطورة كالماركسية.

ثالثا: بررت الحركات القومية العربية عدم وضعها نظريات من حيث أن الأخيرة لايجب ان تسبق التجربة بحال، وحتى إذا سبقتها - كما فى حزب البعث - تبقى مرشحة للتصحيح. إذن فالفكر القومى العربى فى مجمله فكر تجريبى يؤمن بالتجربة والخطأ وهو هنا يتفق تماما مع الماركسية وان اختلف عنها فى أن النظرية يجب ان تسبق الممارسة عند الماركسيين.

ولكن غاب عن الكثير من القوميين أنه فى ظل أنماط اقتصادية مختلفة ومتخلفة لايمكن إنتاج أية أفكار الا وكان التذبذب سمتها الأساسية وهذا ماحدث بالفعل. ومن ناحية أخرى لم ينتبه الماركسيون العرب إلى تحذير لينين حين قال «أن الطليعة لاتؤدى دورها كطليعة إلا عندما تكون قادرة على أن تبحث عن صيغة تجنبها التحول إلى طليعة منعزلة عن الجماهير التى تقودها هذه الطليعة» ولعل هذا النسيان الفكرى هو ما أخضع الشيوعيين لمواقف انفعالية غير مدروسة كتأييد الانفصال المصرى - السورى ، حتى جاءت كارثة ١٩٦٧ فكان لها أكبر الأثر فى المراجعات النقدية للجميع، فميشيل عفلق نفسه يقول « أننى وغيرى مطالبان بأن نتثبت من جديد من متانة الأسس الفكرية التى وضعت للثورة العربية»، ولم تعد الوحدة هى المحرك الأساسى بل أصبح التحرر السياسى والاقتصادى هما الأساس. ولم تعد الاشتراكية فى خدمة القومية بل أصبحت الأولى هى السبيل الأوحد للتحرر بل أصبحت الصيغة الاشتراكية هى القفزة المطلوبة التى أسقطت مقولة العداء للشيوعية وأصبحت الماركسية فى فكر القوميين «أولى النظريات العلمية وأهمها وليس جائزا ان ينظر إليها نظرة تعصب بل يجب الإنفتاح بموضوعية عليها» ويستوى فى هذه النظرة الجديدة الحزب الناصرى مع الحزب البعثى ومهما يكن من أمر التخبط الإنتقائى الذى يظهر فى الميثاق وفى الخلفية الفلسفية للاشتراكية، فان مايهمنا هو اقتراب الطروحات من الماركسية بدلاً من مناقضتها لها.

رابعاً : كما سبق توصلنا إلى ان الفكر القومى العربى عمل منذ البدء فى مناهضة الفكر الماركسى حين اعتبر ساطع الحصرى أن المفهوم الماركسى للقومية هو مفهوم إنتقائى وتعوزه الدقة العلمية، لأن «نزعة التفتيش عن العوامل الاقتصادية فى كل شئ- والتى استحوذت على عقل الماركسيين - لم تقف عند حملهم على اعتبار الحياة الاقتصادية

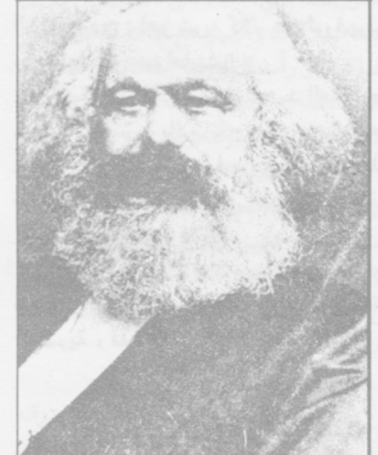
المشتركة من الشروط الأساسية لتكون الأمة بل دفعتهم الى أبعد من ذلك فى هذا المضمار إذ جعلتهم يربطون الحركات القومية بمقتضيات الرأسمالية ويزعمون ان القومية وليدة الرأسمالية» ويرى الحصرى أيضا أن القومية هى الشعور بالكيان الخاص والتميز عن سائر القوميات ولكنه لايشرح لنا كيف تأتى هذا الشعور بالكيان الخاص وماهى الأسباب التى دفعت بالعرب إلى الشعور بالتميز، وفى نظره لاتختلف القومية عن الأممية، فالأمة عنده مجتمع طبيعى من البشر يرتبط بعضها ببعض بوحدة الأرض والأصل والعادات واللغة من جراء الاشتراك فى الحياة وفى الشعور الاجتماعى. والحقيقة ان الامر فى وطننا العربى يختلف عنه فى المجتمعات الرأسمالية المتطورة والتى كانت أم القوميات ، لأن القومية عندنا تتخذ موقفا تقدميا ، بل ان إمرسون يرى ان القومية فى إفريقيا وآسيا هى قوة هائلة كما انها عامل تحرك وتقدم وثورة. ورغم صحة هذا الكلام إلا ان القومية التى تعبر عن إرادة التحرر والتقدم عند شعوب العالم الثالث الخارجةأو الساعية الى الخروج من نير التبعية لن تكفى وحدها فى التوصل إلى التحرر المطلوب. وقد انطلق النقاش الماركسى حول القومية من مسألة أساسية وهى مسألة التحرر الوطنى ومصلحة الشعوب، فماركس حين قال ان الدعوة الى القومية انما هى ضرب من الشوفينية لايخفى تعاطفه مع حركة التحرر الأيرلندية، بل ويؤيد حق الأيرلنديين فى تكوين دولة مستقلة، لأنه يقيم فرقا شاسعاً بين الأممية والمواطنية العالمية.ودافع إنجلز عن بولونيا بنفس الطريقة حيث رأى انه طالما ظل الجنود الروس فى بولونيا فلن يستطيع الشعب الروسى ان يتحرر سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا، فالأمة فى نظر ماركس ورفيقه ليست شكلا للسلطة السياسية كماهو معروف اليوم بل هى مجرد جماعية ثقافية. جاء لينين فاعتبر ان معيار وحدة الاشتراكية يكمن فى حق تقرير الشعوب لمصيرها، ولكنه فى الوقت نفسه لايجب ان نتغاضى عن أن مايوافق عليه لينين انما هو المحتوى الديمقراطى العام للقومية وبالتالى فهو ينتقد النزعة العنصرية القومية بشدة.

خامسا: ليس تتالى المراحل فى الماركسية إلا تطبيقا لقوانين العلم الطبيعى على التطور الانسانى، لذلك فان موقع القومية فى الماركسية لا يخرج عن تمرحل تطور رأس المال وبالتالى فماركس لم يكن قوميا على طريقة الرومانسية الألمانية أو العالم ثالثية، ولم تكن الأمة بالنسبة إليه مقولة أولية طبيعية تنزع نحو تكوين دولة مستقلة، بل كانت تكونا تاريخيا حادثا يمكن ان يختلف تماما عما يحدث اليوم والحقيقة ان لينين هو الذى بلور مفهوم القومية حين أنكر على أى ماركسى أو بروليتارى ان لايكون مؤيدا لاستقلال أمته السياسى بل يجعل من واجبه هذا التأييد ويرى ان شرارات الانتفاضات القومية قد اشتعلت فى المستعمرات وفى أوروبا على السواء، وأن المشاعر والكراهية القومية قد برزت رغم التهديد وتدابير القمع الشديد.

ويطرح لينين المسألة بعد الحرب العالمية الأولى على أن التصريحات بتساوى الأمم إذا لم يرافقها التأييد العملى للأحزاب الثائرة ودعم نظام تحرر الشعوب ليست سوى تصريحات فارغة. وهكذا طورت اللينينية مارأته- نقصا فى الرؤية الماركسية - من أن حق تفسير المصير ماهو إلا حق الشعوب المضطهدة فى البلدان المستعمرة والمستعمرات الأخرى فى الانفصال التام وتكوين دول مستقلة.

سادسا : من كل ماسبق نرى ان الماركسية لم تبد مفهوماً مجرداً للقومية عن الظروف الموضوعية لكل بلد على حدة وبالتالى فقد اعتبرت الماركسية فى خطها التطورى ان القومية مرحلة هامة ولازمة من مراحل النهوض السياسى للأمم وميزت بين القوميات تبعا لدرجات التطور الاقتصادى والسياسى لهذه الأمم . ومن المهم هنا أن نؤكد اننا نفرق بين الأمة أو الدولة القومية كإطار اجتماعى كامل له مؤسساته، والأمة بالمعنى السياسى القانونى كما تحدده الفئات الحاكمة فى الداخل وكما تنظر إليه الدول الأخرى. واعتقد ان انتقال القوميين العرب من شوفونية مغرقة

كارل ماركس





جمال عبد الناصر

إلى أممية تؤمن بأهمية الانفتاح العالمى ووحدة حركات التحرر العالمية فصدرت حركات مراجعتها النقدية لمواقفها إدانة كبرى للأيديولوجية البرجوازية التى هيمنت على تفكير الحركيين فى الخمسينات من هذا القرن وصنفت نفسها على يسار الحركات القومية. بل ان الأحزاب الماركسية نفسها اعترفت بأخطائها فى إنكار كل انتصار بقيادة البرجوازية الوطنية الوسطى «واعتبار الاستقلال السياسى الذى تحقق شيئا صوريا لاقيمة له مادامت الطبقات المطحونة ليست هى التى تتولى قيادة النضال».

وهنا نصل إلى تفرقة هامة بين مرحلتين من مراحل القومية : أولا الثقافة الهجومية أو ميكانيكية الدفاع الثقافى كالتمسك بمعتقدات دينية غير دين الاستعمار، وثانيا مرحلة الثقافة السياسية والتى تتحول بالوعى القومى من الهجوم إلى البناء السياسى الاجتماعى. وهذا ماجعل حزبا كالشيوعى اللبنانى يتراجع عن موقفه من القضية الفلسطينية وأدان تأييد الانفصال المصرى- السورى

وهكذا فقد ساعدت اعادة صياغة المقولات النظرية لجميع حركات التحرر العربية على طريق الالتقاء فى الجبهات الواحدة. وهذا ماأكدته الاجتهادات اللينينية والتى نسيها الماركسيون العرب تحت تأثير الستالينية التى تلفظ أنفاسها الآن تحت معاول البيروسترويكا.



◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

ديمقراط وارستقراط



شباب حزب الحكومة يدخلونه بحثاً عن شقة ويتدربون في معهد الإعداد بصفته بنسيون!

الزمان.. الساعة ١٢ ظهراً يوم الخميس

المكان: مقر أمانة الحزب الوطني الديمقراطي بالجيزة والمواجهة لمدير يه أمن الجيزة!

ملحوظة.. معظم مقرات الحزب الديمقراطي الرئيسية، تقع في مواجهة مديريات الأمن واقسام البوليس، وهي مجرد مصادفة لاتقلل من ديمقراطية الحزب!

الحدث: اشبه بفصول مسرحية كوميديه.. تقدمها.. احدى فرق مسرح القطاع الخاص، خاصة.. وأن الاحداث تدور داخل مقر أمانة الحزب الحاكم، بالجيزه عندما ذهبت لاجراء هذا التحقيق الصحفي..

سيدة تدعى مدام «فعن» بمجرد أن سمعتني إطلب استمارة عضوية، وأطلب معرفة الأنشطة التثقيفية داخل الأمانة حتى اقتربت مني قائلة

– لو عايزه ثقافة يبقى تروحي مكان غير ده، عشان تنفذي نفسك من الاحباط والصدمة، تثقيف ايه ياحبيبتي لكن لو عايزه تتكلمي عن فلان او فلانه.. او فستان علانه تعالي.. واملي استماره او سيبك من حكاية البرنامج دي. اهو شويه كلام عن ثورة يوليو واهدافها على حبه تحابيش!

تدخل في الحوار «أحمد عبد العظيم» – مسئول العضوية بالأمانة – وابدى دهشته من رغبتي في الانضمام للحزب والحاحي على معرفة الدور التثقيفي الذي يتم داخل الأمانة.. وصارحني قائلاً:

أصل بصراحة الاعضاء بينضموا، وبعدين محدش يشوفهم إلا عند تجديد بطاقة العضوية، فقط ولكن لو مصممه.. تعالى

معروفة سلفاً

صعدت الى أمانة الشباب بالدور الثالث: مبنى فخم جداً ككل المباني التابعة للحزب الوطني، وهو مثلها جميع

– خال من الاعضاء ايضاً الوحيد الذي وجدناه هو «د. محمد علي» مسئول بأمانه الشباب، والسيدة إحسان، المسئولة عن الفتيات بالمقر.. حدثتني هي.. وكأنها تقرأ من برنامج مكتوب:

– نقيم دورات لتعليم التفصيل. الفتيات يجتمعن كل يوم أحد، بالطبع.. نحن لا نقيم مجالس مختلطة بين الشباب والفتيات بحكم اننا في مجتمع.. شرقي له تقاليده.. وإن كان هذا لا يمنع من إقامة الرحلات الترفيهية لجنوب سيناء، والبحر الأحمر، والواحات!

يكشف «محمد رياض» – الموظف بهيئة الموانى والمنائر – عن اسباب انضمامه للحزب الوطني قائلاً

– انضممت للحزب الوطني من أجل أن احصل على شقه من خلال انتسابي لعضوية جمعية الإسكان التابعة للحزب، انا لا اعتبر نفسي عضواً بالمعنى المفهوم خاصة وأن معظم الاجتماعات التي أشارك فيها تكون حول موعد تسليم الشقق أو عندما نعلم ان هناك زيادة عن الاسعار التي دفعناها. لا أحمل بطاقة انتخابيه لأن نتائج كل الانتخابات معروفه سلفاً لا يربطني بالحزب إلا أن رئيسه هو حسني مبارك وحتى أمناء الشباب بالمحافظه لا أعرفهم

.. ويقول «أحمد عويس» – طالب بكلية الحقوق وعضو بالحزب الوطني

في الحقيقة أنا «مش باحب السياسة» وانضمامي للحزب الحاكم جاء عن طريق اصدقائي الذين أغروني بأن من يحمل بطاقة عضويه يحصل على امتياز المشاركة في



ديمقراط وارستقراط

المعسكرات الصيفية بالمجان ويسافر للخارج مع الوفود الشبابية أما اهم اسباب اشتراكى فى الحزب فهى الانتساب لجمعيات الاسكان التى «توزع شققا» عن طريق الحزب، وطبعاً لم أقرأ برنامج الحزب « ولا يحزنون»

.. «ايهاب فتحى» كلية الحقوق يقول

-انضمامى للحزب طريق نحو الدخول فى عالم السياسة قد أكون لم أقرأ البرنامج، وايضا لا احمل بطاقة انتخابية ، ورغم هذا أجد فى الحزب الوطنى انتمائى السياسى

البحث عن مصلحتى

.. عماد السيد عودة- الموظف بشركة السويس لتصنيع البترول- لديه سبب مختلف للانضمام للحزب الوطنى..

- لو انضميت لحزب معارض فى ظل قانون الطوارئ اكيد حيقبضوا على فكان طبيعيا أن أنضم لحزب الحكومة حتى احصل على امتيازاته من شقق بالتقسيط، ومن تسهيلات أجدها أحيانا بسبب هذه العضوية يعنى بصراحة بادور على مصلحتى. لأطبعاً مش شايل بطاقة انتخابية، هو فيه فى البلد انتخابات علشان اتعب نفسى، كفايه أنى عارف الرئيس حسنى مبارك.

.. حاتم محمد امين شباب الحزب الوطنى (بالسويس عن حى ابو العز) يقول

- انضمامى للحزب الحاكم جاء عن اقتناع تام بمبادئه وبرنامجه الانتخابى الذى فهمته من خلال محاضرات وندوات كان يحاضرنا فيها قيادات الحزب بالمحافظة بجانب اهتمامى الشخصى بكل الأنشطة الخدمية ومنها دورات محو الامية ومشروعات النظافة ومشروعات خدمة البيئة ومشاريع الاسر المنتجه

وينفى « رأفت رجب» - مدير عام المكتب الصحفى بالمجلس الاعلى للشباب والرياضة - ما يثار عن تحكم شباب الحزب الوطنى فى انشطة المجلس ويضيف

نحن نعمل مع شباب مصر بشكل عام وقومى، ولا نفرق بين شباب حزب وحزب آخر، لأن إطار عملنا الاساسى هو الاهتمام بالشباب المصرى وتنميته من الناحية العقلية والروحية والبدنية، واتصالنا معهم يكون عن طريق مديريات الشباب بالمحافظات المختلفة، فنقيم لهم المسابقات الثقافية بشكل مستمر ونحاول من خلال هذه المسابقات أن نجرى معهم لقاءات شخصية للتعرف على مدى معرفتهم بتاريخ بلادهم وإتقانهم للغات الاجنبية

ثم قال ان دورة إعداد القادة الماضيه كانت تضم بعضا من الشباب الذين لايعرفون اسماء الشخصيات الحزبية بل حتى رؤساء الاحزاب

.. كمال ابو الخير أمين شباب الحزب قال

قد يكون داخل الحزب اعضاء غير منتمين إليه وقد يكون هناك من تصوروا أن من خلال عضويتهم للحزب الوطنى بالذات سيحصلون على امتيازات خاصة، وبالطبع هؤلاء يمثلون استثناء عن القاعدة الشبابية الموجودة داخل الحزب والمؤمنة بمبادئه وبرؤيته لحلول مشاكل شباب مصر وليس شباب الحزب الوطنى فقط

..............................؟

- غير صحيح أن شباب الحزب الوطنى لايتم تثقيفهم بشكل جيد لأننا نقوم بالفعل بعمل دورات تثقيفية مستمرة تبدأ منذ انضمام العضو بجانب أن لنا نشاطا ثقافيا دائما يتمثل فى مهرجانات المسرح واصدار النشرات المواكبه للاحداث وإقامة المعارض وكل هذا يتم من اجل خلق تنافس شريف بين القطاعات المختلفة من الشباب هذا على المستوى الداخلى، أما على الصعيد الخارجى فنشاطنا ممتد وكبير مع كافة الدول سواء اشتراكية او رأسماليه ولنا علاقات وطيدة مع معظم منظمات الشباب فى دول العالم بمختلف اتجاهاتها السياسية والفكرية:

وحول انتشار نفوذ جماعات التطرف الدينى بين الشباب أكد «أبو الخير» أن لأمانة الشباب دورا كبيرا فى مواجهة التطرف من خلال إرسال القوافل المختلفة، التى تضم رجال دين افاضل يخاطبون الشباب فى مواقعهم فى القرى والمدن

بنسيون سياسى

وعن تقييمه للتفسير الذى يرى أن عزوف الشباب عن الانضمام للأحزاب السياسية يعود الى ممارسات الحزب الوطنى على الساحه قال

لا اتصور أن ممارسات الحزب الوطنى هى السبب فى نفور الشباب عن الانضمام الى السياسة بل إلى ما يتعلق فى اذهان البعض بأن العمل السياسى يؤدى الى السجون والمعتقلات وايضاً التناحر الاعلامى الموجود على الساحة والذين شوه معظم زعماء مصر مما احدث خلخلة عنيفة عند هؤلاء الشباب الذى لم يعد يستطيع أن يميز من هو الزعيم ومن هو الخائن؟

ويشرح نور الدين بكر أحد مؤسسى معهد اعداد القادة أساليب الدراسة بالمعهد قائلا

- عندما فكرنا فى تدريب الكوادر الشبابية سياسياً وضعنا فى الاعتبار ألا نكون تكراراً لمنظمة الشباب. وهذا بالطبع لاختلاف الظروف وأسلوب التربية السياسية خاصة وأننا نعتمد على اسلوب طرح القضايا الوطنية من خلال المناقشة والحوار والاقناع

ثم أضاف

نجحنا فى ابراز بعض القيادات وإن كان عددهم مايزال قليلا، ويجب أن نضع فى الاعتبار من يتسللون الى السلطة فكل حزب بداخله اشكال واتجاهات مختلفة، وهذا موجود فى كل بلدان العالم.ومن اهم ماندرس فى المعهد تاريخ الشعب المصرى والنظريات الفكرية المعاصرة وتاريخ ثورة يوليو والماركسية والرأسمالية ويقوم بالتدريس اساتذة متخصصون

وأضاف أن من العقبات التى تواجه المعهد أن اعضاء الحزب فى المحافظات يرسلون بأقاربهم إليه ليس حباً فى الدراسة أو رغبة فيها ولكن باعتباره بنسيون يقضون فيه وقتهم بالقاهرة.

.... انتهى يوم الخميس.... وانتهى التحقيق!

سهى مختار





ديمقراط وارستقراط

امتدت ايدلوجيا «الكومبشن» ، أى العمولة، من أوساط الطفيلية المصرية الحاكمة، الى بعض الأوساط الاجتماعية الفقيرة، من خلال صفقات تزويج البنات لشيوخ الجاز... أو النفط ، أيهما أكثر سوادا!؟

«اليسار» وهى تتابع هذه الظاهرة، ظاهرة الزواج «الاراب إيجبت» فى بعض قرى الجيزة ، تمكنت من الحصول على محضر تحريات، متعلق باحدى الحالات، كشف عن مآس انسانية يشيب لها الولدان، بل وقد ينطق معها رئيس الوزراء كذلك!

من المحضر يتبين، كيف يشارك الطبيب، طبيب التسنين، والمحام، وشيخ البلد، والمأزون ، وصاحب الشقة المفروشة، وسائق السيارة، كل فيما يخصه، بالاضافة الى مشهلاتى تزوير الأوراق الرسمية ، فى اتمام الزواج، ومطابقته على نصوص القانون التى لاتجيز أن يزيد الفارق بين سن الزوج الأجنبى، والزوجة المصرية ، عن ٢٥ عاما.

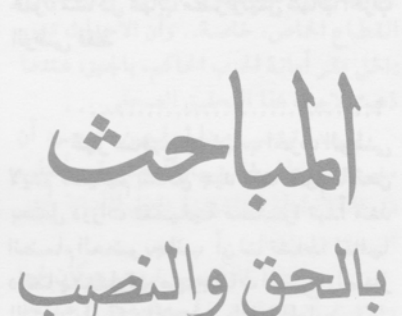
ومع كل أولئك طبعا ، يبرز الفقر، الذى يبدو أن «عليا» كرم الله وجهه لن يستطيع قتله، حتى لو أصبح رجلا ، كبطل رئيسى خلف كل الخيوط.

يبدأ المحضر بالاشارة الى أن ادارة الجوازات بمطار القاهرة، بعثت الى ادارة البحث الجنائى تحذر من انتشار ظاهرة تزوير البطاقات والجوازات، الخاصة بالفتيات المصريات، المسافرات مع عرب. وقال العميد محمد توفيق مدير ادارة البحث الجنائى بالجيزة لدى ضبط احدى هذه الحالات، أن التشكيلات العصابية باتت تقوم بتلبية رغبة الأعراب- كتبها هكذا قاصدا العرب- فى الزواج بالفتيات الصغيرات ، وأن هؤلاء الأزواج يدفعون الفتيات الى ارتكاب جرائم الاداب العامة فى بلادهم ، مما يسئ الى سمعة البلاد.. المصرية.

– عظيم

والمهم أن الحالة التى يتحدث عنها المحضر، هى حالة المواطنة «...» التى تم تزويجها ، بالتزوير ل السعودى الجنسية، وتم رفع سن الفتاة من ١٥ الى ٢٨ سنة لتلاءم عريس الهنا والأخضر (الدولار).



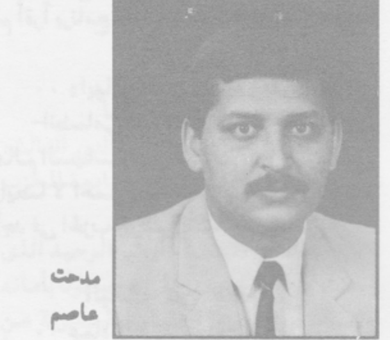


المباحث بالحق والنصب

هاجم ثلاثة أشخاص اسماعيل مبارك خليفة، قطرى الجنسية، أثناء زيارته لمنطقة الأهرامات، واوهموه، بعد أن هبطوا من سيارة مرسيدس، فخمة، انهم من مباحث أمن الدولة، وانهم يبحثون عن عربى يروج العملات الأجنبية المزيفة ولما قال العربى ان جواز سفره بالمنزل، ذهبوا معه وأكلوا وشربوا، وأسرفوا، ثم طلبوا منه ما معه من مبالغ، وشمعوها وأعادوها اليه، وبعد انصرافهم اكتشف فى القسم ان الفلوس أصبحت رزمة ورق!

جاء ذلك فى التحقيقات التى باشرها مدحت عاصم وكيل نيابة قسم إمبابة وتبين ان الجناة مسجلون خطرون.





مدحت عاصم

والطريف أن المحضر يذكر انه برغم ضبط تزوير شهادة الصحة الخاصة بالعروسة فى مبنى وزارة الصحة، الا أن المشهلاتى، أخذ الشهادة من الزوج، و١١٠ جنيهات اضافية، ودخل بها هو مرة ثانية ، فختمها بختم سيدنا النسر، متعه الله بكل «الرشات »الجرينة.

وفى المحضر يسأل المحقق، عم العروس ويدعى عادل (١٨) سنة

– متى تم زواج «...» من السعودى؟

– معرفش هوه كتب كتابه امتى.. لكن هوه كان بيبجى من السعودية من سنة ونصف والبنت بتقعد معاه.

– وما قولك فى أن عقد الزواج مبرم فى ٨٩/٢/١٩؟

– لأ هوه من سنة ٨٧ بياخدها فى شقة بحلوان!! أما العروس فقالت، وكان التحقيق فى فبراير انها متجوزاه من ٣ شهور وعايشة معاه.

– ويسألها المحقق: ماقولك انك متجوزه من سنة ونصف؟

– السعودى قال أناهاادبحك لو قلت ، وهو بيروح وبيجى، وأنا متجوزاه من سنة ونصف وفى كل مرة كان بيجى من السعودية يدينى ١٠٠ جنيه ، ثم خلاهم ٢٠٠

–وهل عمرك ٢٨ سنة؟

– أنا ١٥ سنة لكن مقدرش أقول حاجة لأنه بيدينى فلوس ويدى أبويا فلوس!

وتشيع فى المحضر عبارة «معرفش» كثيرا فى اجابات معظم من سألهم المحقق، حتى السعودى.. خاصة فى الأسئلة التى تحدد الاتهامات الموجهة اليهم. هى اتهامات بالتزوير وتسهيل الدعارة، وممارستها ، كما تتناثر تفاصيل كثيرة عن خناقة السعودى مع الشهلاتى حول المبلغ المتفق عليه والذى كان بالأساس ٧٥٠ جنيها.

ونكتشف أن السعودى بلا عمل فى بلده، وان عمله الوحيد هو القدوم الى مصر لأخذ عمال، وأنه بعد أن عاشر «.....» لمدة طويلة، فكر فى اصطحابها الى السعودية، فكان لابد من تزوير شهادة الميلاد والشهادة الصحية لاستخراج البطاقة العائلية ثم الباسبور.

والطريف انه قال فى التحقيقات ان أهل العروس فى البدرشين، قالوا له عند بدء «الزواج» انها ساقطة قيد، وأن العادة عندهم ان العريس «يدخل» أولا، ويدفع المهر، وبعدين تطلع الشهادة !!. ونكتشف أخيرا أن والد العروس كان يقضى فترة عقوبة فى سجن حلوان، اثناء اجراءات تزوير أوراق الزواج.. ولكن بعلمه!

وعندما احيل المحضر الى النيابة، ومعه المتهمون، أمر محمد الفقى وكيل نيابة البدرشين بحبس السعودى وشركائه فى الجريمة، وأن كانت «العروس» لم توجه اليها تهم، لأنها قاصر!

فى نفس الأسبوع كان على الأستاذ محمد الفقى وكيل النيابة أن يأمر أيضا بضبط واحضار أم عزت السمسارة ! بعد أن قال «....» السعودى الجنسية، (٧٠عاما) فى تحقيقات بالنيابة حول حالة زواجه بالتزوير، ان أم عزت هى السبب، وانها هى التى أتمت الأوراق، وقامت بكل شئ وهى التى جاءته ب «.....» (١٢ عاما) ليتزوجها بالرفاء والبنين ... (والبنوك).

وأوضح السعودى أن أم عزت استغلت شهادة ميلاد اختها التى توفيت منذ نحو عشر سنوات، واستخرجت بها ، أى الشهادة، بطاقة «للعروس» تلائم الوضع القانونى المطلوب لاتمام الزيجة. وأكد السعودى انه لم يفعل شيئا سوى دفع عشرة آلاف جنيه للسمسارة من أجل الزواج « بالقمورة»، شاملة كل التكاليف بما فيها المهر، وترضية الأب وتربيشه.

أما الأب، فقد بكى أمام وكيل النيابة، وقال انه غلبان، قيحة، يجرى على شحم ولحم، وأن فى رقبته عشربنات يريد أن يسترهم، بالاضافة الى مخاوفه من الزمن والأيام. والسكن فى غرفة واحدة من غير حمام! وأضاف: علشان كده قبلت أبيع بنتى علشان ٥٠٠٠ جنيه يصلحوا الأحوال!

والطريف ، أيضا ، أن العروس الطفلة، قالت ان أم عزت أكدت لها أن الشيخ سيشترى لها فساتين كثيرة، وسيطعمها تفاحا أمريكانيا وقالت انها فرحت بذلك وطلبت ايضا عروسة لعبة شعرها أصفر كالتى رأتها مع أولاد الجيران.

وفى حالة ثانية

اعترف سمسار الصبايا «القصر»، على النحو التالى:

جاءنى زبون سعودى مريش، وأعطانى عشرة ألاف جنية، وطلب أن يتمتع كام يوم فى مصر.. نصحته بالزواج، ليحمى نفسه من شرطة الآداب! وقلت له: العروس عندى، وعلى الفور ذهبت الى عم «.....» جارى فى منيل شيحه، وهو رجل غلبان، وسريح خضار على باب الله. وعرضت عليه تزويج احدى ابنتيه للشيخ السعودى (٧٥عاما) فوافق بعد تردد ، أخذت البنتين «...»، ٢٤ عاما، و «......» ١٤ عاما، وعرضتهما على الشيخ عياد ، فاختار الصغرى (القاصر) واستطعت أن استخرج لها بطاقة شخصية باسم اختها الراشدة ووضعت عليها صورتها وعند توثيق العقد بالقنصلية السعودية تم القبض على وعلى العروس ووالدهما ورفض السعودى النزول من القنصلية ثم هرب فيما بعد!

هكذا جاءت اعترافات جمعة عبد المقصود الشرقاوى الترزى بحى منيل شيحه (بالجيزة) أمام حسين حجازى وكيل نيابة قسم الهرم الذى تولى التحقيق.

وكانت التحريات قد أظهرت أن جمعه احترف العمل كسمسار لتزويج الفتيات القصر للعرب، وأنه اعطى والد البنت ٢٠٠٠ جنيه «وربح» الباقى.

الطريف ان العروس أعلنت أمام وكيل النيابة ابتهاجها، بعد الفكاك من «الجوازة الشؤم»، رغم حبس والدها وطلبت من الوكيل أن «يخبيها ومتروحش البيت.. أحسن الراجل العجوز ده (السعودى) ياخدها تانى ! كما قالت.

ديمقراط

أمر عبد الصمد وكيل نيابة مركز امبابة بحبس محام تم ضبطه بعد أن زوج طفلة لأحد الشيوخ العرب. التحريات كانت قد أثبتت أن المحامى يمتهن سمسرة الفتيات» والمحامى اعترف لوكيل النيابة بانه قام بذلك رغم علمه بمخالفته لشرف المهنة والقانون الذى أقسم أن يحترمه، وبرر المحامى جريمته بالظروف الاقتصادية الصعبة، وباغراء سماسرة الزوجات النفطية، الذين طلبوا خدماته.

.... ومعمارجى!

وعرض السمسار على الرجل أن يزوج ابنته الصغيرة لعريس عربى حتى يحل مشاكله، مع الجوع والفقر والأولاد الثمانية. لم يتردد الأب.. ووافق على الصفقة حتى دون علم الطفلة الضحية، التى فوجئت برجل يسحبها من يدها ، وعندما هتفت مذهولة : الحقونى، قالوا لها ألف مبروك دا اجوزك؟!

وهذه اعترافات حالة أخرى أمام محمد على وكيل نيابة الأزبكية.. وتبين منها كالعادة أن العقد عرفى، وأن الأختام والشهادات مزورة. وأمام وكيل النيابة قال الأب:

حرام عليكم ياناس أنا عامل من طايفة المعمار. يوم شغل وعشرة لا .. وعيشتى كفر... أنا جوزت البنت وقلبى بيتقطع....

عفاف خلاف



العمال على المسرح

كل شكل هو بالضروره حامل لايدلوجيةأصحابه ومنتجيه، ولهذا كان لابد من انقلاب الشكل المسرحي رأساً على عقب، منذ أن رفع المسرح السوفيتي بعد الثورة الاشتراكية شعار (طبقه ضد طبقه) بهدف نشر الوعي الطبقي بين العمال... ومنذ ان قدم الالماني (أبروين بيسكاتور) عروضه في أماكن تجمع العمال بهدف خدمه الصراع الطبقي... ففي ١٩١٩ كون بيسكاتور (المسرح البروليتاري) ونادى بالمسرح التعليمي سعياً وراء تغير العلاقات الاجتماعية، وقد ارتبطت سياسته المسرحية بسياسة وتحركات الطبقة العاملة حتى انه كون لجنة عمالية لتقوم بالدعاية للمسرح العمالي الساهر على قضايا العمال ومشاكلهم.. وكانت عروضه المسرحية تمثل وسط أماكن تجمع العمال وفي قاعات الاتحادات والمعسكرات الصيفية ومراكز الاحزاب تحت شعار: «طالما ان هناك أناساً جياعاً فلن نعرف أبداً مبادىء جمالية»

مسرح العمال أو المسرح البروليتاري بمفهوم بيسكاتور هو الذي يستخدم الدراما كمسرح مشهر من أجل خدمة الصراع الطبقي.. من هنا كان لابد من سقوط الشكل المسرحي التقليدي وانهيار البناء «الارسطي» من بداية ووسط ونهاية، ولتنتهي أحكام الحبكه وأدوات التطهر حيث اتخذ المسرح العمالي كما قدمه بيسكاتور في العديد من أعماله. شكل اللوحات واحتوى على أغنيات ورقصات تؤديها جوقه من العمال.. المسرح العمالي من خلال هذه البدايه نشأ اشتراكياً في أحضان الاحزاب اليسارية من اجل هدف واحد هو الصعود البروليتاري لكن ذلك قوبل بعاصفه من الرفض والاستنكار فقد رأى الكثيرون أن المسرح مسرح سواء مارسته فئه مكدوده في أسفل السلم الاجتماعي أو مارسته الفئه التي تجلس فوق سطح قمه هذا السلم خصائصه محدده وطبيعته واحده وأشكاله الفنيه لاتحكم شروطها طبيعة الطبقة المنتميه أو المستهلكة.. بهذا المعنى يرى أصحاب هذا الرأى أنه لايوجد مسرح عمالي بل ليس هناك من معنى وراء هذه التسميه أو هذه التقسيمه المفتعله.

وانطلق أخرون في فضاء اكثر اتساعاً. بأن قضية الانسان الحقيقية هي تاريخه مع العمل، و لهذا فالمسرح العمالي يتسع ليشمل كل مايمت الى الطبقات المسحوقه ويدافع عنها، وكل مايمكن تفسيره لصالحها منذ المسرح الاغريقي وحتى يومنا هذا.

لكن مسرح العمال كمفهوم وكواقع مارسه المسرحيون هل هو أنتاج طبقه العمال. أي هل يجب ان يكون كاتبه عامل، وممثله عامل ومخرجه عامل وكل من يعمل به من العمال.. ام ان الطبقه هنا شرط غير مسرحي في العملية الانتاجيه أو في العملية الفنية تحديداً؟

بيسكاتور لم يعتبر هذا الفهم هو مايحدد لديه مفهوم المسرح العمالي. فمسرح العمال ليس مجرد افراز الطبقة ولكنه بالاساس هو مايقوم على خدمتها، وما يستخدم كمسرح في صراعها الطبقي.

هذه الاهداف هي ايضا ماعرفتها أمريكا في مسرحها العمالي حيث يقول (جون بون)أول من ترأس أول مجموعة امريكية لفرق الاثارة والدعاية بامريكا.

ان وظيفتنا هي ايصال رساله الصراع الطبقي الى أكبر عدد ممكن من العمال يجب ان تذهب الى حيث توجد الجماهير في الاجتماعات، وفي تجمعات العمال وفي الشوارع وعلى ابواب المصانع وفي الاستعراضات، وفي النزه الخلويه وفي الاحياء المحدوده لمناطق العمل (٤) الرساله الطبقية هنا هي اساس مفهوم المسرح المعالي. ولعل طبيعة الجمهور ونوعيته هي ايضا مايحدد مسار العرض المسرحي ومفهوم ومعنى المسرح العمالي.

وقد عرفت بلدان عربية كثيرة المسرح العمالي منها المغرب حيث أسس عبد القادر البدوي ١٩٥٥ فريقا مسرحيا عماليا اسماه «العهد الجديد» كما عرفت العراق والسودان والجزائر المسرح العمالي الا ان فرقة عمال «حمصى» بالجمهورية العربية السورية تعد أبرز فرق المسرح العمالي في الوطن العربي فقد استطاعت ان تمارس دورها معتمده بالاساس على الروح الجماعية، فلا يجوز لواحد منهم ان يبرز على حساب الاخرين بل ان التساوى بين الجميع أمر حتمي انطلاقاً من حتمية هدم أسس العلاقات في مسرح البرجوازي.

ويرى المؤلف المسرحي السوري (فرحان بلبل) وأحد مؤسسي الفرقه ان الطبقة العامله التي أصبحت بحاجه الى مسرح يعبر عنها لم تكن قادره على افراز كتابها المسرحيين أو مخرجيها أو ممثليها ولهذا اعتمدوا على مسرحيين من الخارج شرط إيمانهم بالقضية.

وفي مصر اختلف الكتاب المسرحيون حول مفهوم المسرح العمالي فبينما رأى الدكتور رشاد رشدي في الستينيات انه لايوجد مسرح عمالي مؤكداً انه (ليس هناك مسرح يطلق عليه مسرح عمالي. فالطبقة العاملة هي الطبقة داخل مصر، وهي تمثل ربع رواد المسرح، ولايجوز اطلاقاً فصلها عن بقية المجتمع. في روسيا مثلاً.. وهي طليعة الدول الاشتراكية لايوجد للعمال مسرح ويتناول الكاتب المسرحي الرائد نعمان عاشور الموضوع بطريقه مختلفة فهو يشير الى انه حاول في اكثر من مسرحية ملامسه الشخصية العمالية خاصة في مسرحية (وابور الطحين) لكنه لم يستطع النفاذ اليها بالصورة التي ترضيه.. وقد كرر المحاوله في مسرحية (بلاد بره) التي عقد بطولتها لعامل، لكن العقبه الوحيدة كما يذكر نعمان عاشور امام المسرح العمالي هي ان كتابنا لايمارسون عملية الاندماج الجماهيري التي تمكنهم من التعرف على الشخصيات البيئيه ذات الابعاد العريضه.. وقد يقال ان العامل نفسه يحتاج الى كاتب خاص يبلور شخصيته والامر يتطلب وجود كتاب متخصصين اما من داخل الطبقات العمالية نفسها او من بين الكتاب البارزين. كان رشاد رشدي قد جانب في رأيه الحقيقه وتجاوز الواقع من حيث ان الطبقة العمالية في مصر لم تشكل يوماً ربع رواد المسرح المصري حتى في سنوات ازدهارها بالستينيات- فتاريخ الطبقة العاملة المصرية كما حققه أمين عزالدين يشير الى ان مكانة الطبقة العمالية ظلت دائماً عند قاعده السلم الاجتماعي سواء من نصيبها من الدخل القومي أو من حظها في النفوذ السياسي اما مقولة رشاد رشدي حول عدم وجود مسرح للعمال داخل روسيا الاشتراكية

تطور نفوذ الطبقة العاملة لم يقابله تطور فى الحركة الفنية العمالية

فان مفهوم المسرح الاشتراكى اساساً هو مفهوم طبقى قائم من أجل خدمة الطبقة العاملة.

وتشير عبارات الكاتب الرائد نعمان عاشور الى غياب العلاقة بين الكاتب المسرحى والطبقة العاملة وهو ما أدى الى غياب المسرح العمالى. ولعلنا هنا نتوقف قليلاً امام هذا الانفصال أو فقدان الاندماج بين الكتاب المسرحيين والجماهير العاملة كما أشار نعمان عاشور حيث يكشف هذا التباعد عن الطبقة البرجوازية لطبقة الكتاب المسرحيين المصريين والتى عكست دائماً نوعاً من العلاقات الفوقية. هل هى تعبير أخر أو صورة أخرى لانعكاس العلاقات الفوقية بل والتسلطية التى سادت دائماً بين المؤسسه الحاكمة والطبقات العمالية. ولكن هذا الانفصال على مستوى الواقع والممارسه لم يغير فى المفهوم النظرى والفكرى للطبقة العاملة.. فعلى الرغم من ان الكتاب البرجوازيين بل وحتى المفكرين الاشتراكيين المصريين لم يكونوا فى أغلبهم على صله مباشرة بالطبقة العاملة فأن أعمالهم كانت فى نهاية الامر تنقبياً عن حلول علميه لمشاكل الطبقة العاملة خاصة فى الستينيات حيث ارتبط المسرح العمالى لدى المثقف المصرى بالفكر الاشتراكى وتطلع المثقفون دائما الى الطبقة العاملة باعتبارها اكثر القوى الاجتماعية ميولاً للفكر الثورى واكثرها تطلعاً الى تغير المجتمع

أذن المسرح العمالى سواء برز فى صفوف العمال أو جاء من خارجها هو مسرح يقوم اساساً على خدمة الطبقة العاملة وقضاياها ولعل تطور الطبقة العاملة وزيادة حجمها وتطور دورها فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية يجعلها تفرز بالضرورة مسرحها وفنها، كما هى بالضرورة لابد وأن تفرز تنظيماتها وهيئاتها النقابية.. ولهذا ارتبط العمل على طول تاريخه خاصة فى مصر بالاشكال الفنية.. فأغانى العمل الشهيرة ظلت دائماً شكلا من اشكال التعبير الفنى بل هى جزء لايتجزأ من حركه العمل.

ان استعراض تاريخ العمل وحركته هو استعراض ايضا لحركة تعبير الفنى والتى ظلت دائما جزءا من حركة نضاله ودوره الفعال فى تغيير المجتمع والتقدم به الى الافضل صعوداً نحو قيم أعلى.. ولهذا فان المسرح العمالى يستطيع ان يلعب دوراً فى قضايا هامه..

ويرى ابراهيم الأزهرى رئيس مكتب رعايه الشباب باتحاد العمال.. ان المسرح العمالى يستطيع ان يلعب دوراً هاماً فى خطه التنمية يتمثل فى شحذ همم العمال لزيادة الانتاج وتجويده. والفن يستطيع ان يلعب دوراً كبيراً له عائد قومى لاصلاح ما افسدته سنوات الغضب فى مصر وخاصة تلك الفترة التى شهدت انفتاحاً استهلاكياً كاد ان يقوض أركان العماله المدربه فى مصر.

وهنا نستعيد التجربة الرائده فى الخمسينات التى اقامها العامل الفنان «كمال علام» ورفيقه سيد سلامه فى مصنع (مسباهمى) للغزل والنسيج المصرى حيث تنتمى هذه التجربة لهذا الفهم لدور المسرح العمالى كمسرح موجه يمكن ان يسهم فى خطط التنمية فقد كان نتاجها زيادة فى الانتاج وانخفاضا فى حجم العادم وهو مافهمه صاحب العمل- قبل التأميم حتى أنه قام بتخصيص صالة واسعه بالمصنع لتقديم العروض المسرحية يوم عطله المصنع أو فى ايام المناسبات.

نعمان عاشور يعترف بأنه حاول ملامسة الشخصية العمالية لكنه لم يستطع

العروض المسرحية التى تقدمها فرق العمال التابعة للشركات تكشف عن جهل بمفهوم المسرح!

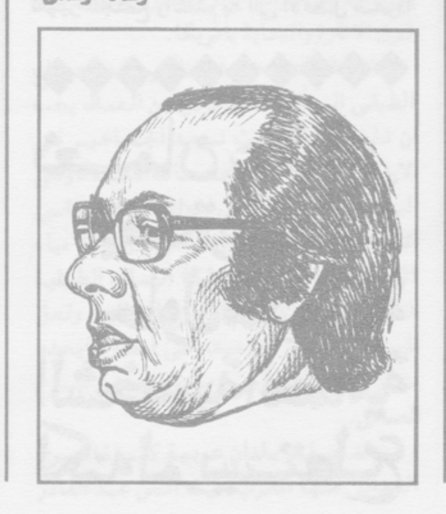
وقد كان دافع العامل فى صنع مسرحيته مشهداً يراه يوميا وكان يرفضه تماماً وهو سير زملائه من العمال باهمال غير متعمد على القطن وهو مايعرض الخام منه للتلوث اللونى أو يصيب ماتم تصنيعه على شكل (بوبين) بالتلف التام.. لهذا صاغ العامل مسرحيته من خلال أحداث تفقد العلاقة بين القطن والانسان منذ ان كان بزره فى الارض حتى نهايات خطوات تصنيفه كل ذلك من خلال صور شعبيه يتأكد بها معنى اساسى هو أهمية القطن واهمية جهود البشر التى تبذل وراءه. وقد حققت المسرحية الغرض منها، وكانت الترجمه الفعليه انخفاضاً ملحوظاً فى حجم كميه العادم من القطن.

وهناك تجارب ايجابية اخرى عرفها العامل المصرى فى اطار صعوده نحو المسرح لكنها ظلت دائماً تجارب محدوده لم تستطع ان تحقق بلوره واضحه لمسرح عمالى مصرى حيث الهدف غير واضح تماماً او حيث المعوقات والمشاكل العمالية من الكثره بحيث أعاقت دائماً الحركه الصحيحه للمسرح الصاعد.

ونظره الى المسرح العمالى فى مصر الان نجد أن تطور الحركه النقابية ونفوذ الطبقه العاملة وزيادة وتطور دورها لم يقابله تطور متابل فى الحركه الفنية العمالية وعلى الاصح فى مجال المسرح حتى أن البعض من الدارسين والمختصين المسرحيين لازال يؤكد ان مصر لم تعرف ابداً المسرح العمالى وكل ما هناك ان العمال يصعدون بين الحين والاخر على المسرح لان العروض المسرحية العمالية التى تقدم فى المصانع او الشركات لم تأخذ بعد اتجاه ومفهوم المسرح العمالى الصحيح فى شكله ومضمونه وقضاياه وهمومه.

ولعل سبب ذلك هو ارتباط المسرح العمالى بحركة نقابتة العمالية فى تقدمها وجمودها، وهو ما أدى الى انعدام الفهم الحقيقى لطبيعة المسرح العمالى ودوره لأنه منذ نشأته وهو فاقد لاستقلاليته التى تتيح له ان يحقق هدفه ورسالته.. فقد ظل المسرح العمالى مرتبطاً بالنموذج المسرحى البرجوازى من حيث كتابه أو طبيعة عروضه وانتاجه،.. هذه العلاقه بين المسرح العمالى ومسارح الدوله والمسارح البرجوازية هى ذاتها طبيعة العلاقة بين الثقافة العمالية والدوله والتى لم تستطع ان تحقق فى أى من أيامها استقلاليتها.. بل أنها على طول تاريخها وتجربتها كانت صيغة التعامل مع الحكم تحتوى على كثير من الموالاه، وظلت الحكومات تتعامل مع النقابات العمالية بما يخدم فكرة السيطرة.. وعلى سبيل المثال اثناء

رشاد رشدى



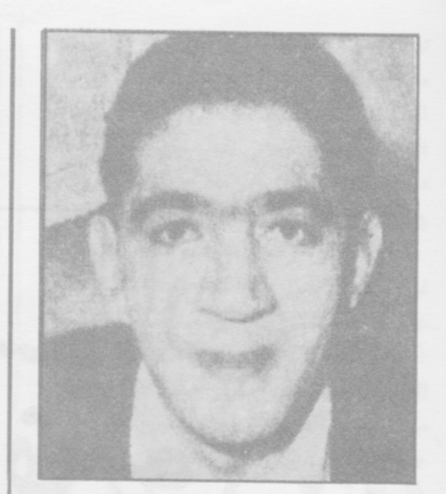
رغم انحياز عبد الناصر للطبقة العاملة فقدت حركتها النقابية فى عهده استقلاليتها!



حكم الوفد كان عبد الرحمن فهى زعيم الاتحاد العام للنقابات العمالية يرى انه لايمكن ان تسوس النقابات العمالية الا عضدتها فيها الحكومة! كما ان صدقى باشا ١٩٣٠ اصدر قراراً بانشاء مكتب العمل والحاقة بادارة عموم الامن بوزارة الداخلية.

وبرغم اختلاف الظروف والاهداف بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ بل وبرغم انحياز عبد الناصر الى الطبقة العاملة كطليعة لقوى الشعب العامل فقد ظلت السياسة الثابتة للمؤسسه العسكرية فى الاتحاد القومى ان يكون لها موطن قدم داخل الحركة النقابية.. وهو ما اسهم دائما فى محدودية الحركة النقابية وفقد انها استقلاليتها وهو ما انعكس بالتالى على وسائل تعبيرها التى ظلت فى كثير مما تقدمه مرتبطه بمسارح الدوله والمسرح البرجوازى ومسارح الثقافة الجماهيرية التابعة انتاجياً الى وزارة الثقافة وبذلك تناقضت حركتها نحو مسرح عمالى مع مصالحها الحقيقية ودورها ورسالتها الاساسيه.

فالاتحاد الشركات الصناعية ظل ينظم سنوياً مسابقات للعروض المسرحية دون شروط محدده وهو مايسمح بطرح أى عمل مسرحى حتى أن اغلب النصوص المسرحية المقدمه من الفرق العمالية فى المسابقات خلال السنوات العشر الاخيرة ليست نصوصا عمالية، بل ولاتحمل سمة عمالية أو تدافع عن أيه قضية عمالية.. بل ان أغلبها نصوص كوميدية تجارية قديمة، أو نصوص مسرحية سبق ان قدمتها مسارح الدولة أو فرق الثقافة الجماهيرية وبطريقة تناول فنية تكاد أن تتطابق مع طبيعة تقديم هذه العروض على مسارحها، كل ذلك فى الوقت الذى تمتلىء فيه



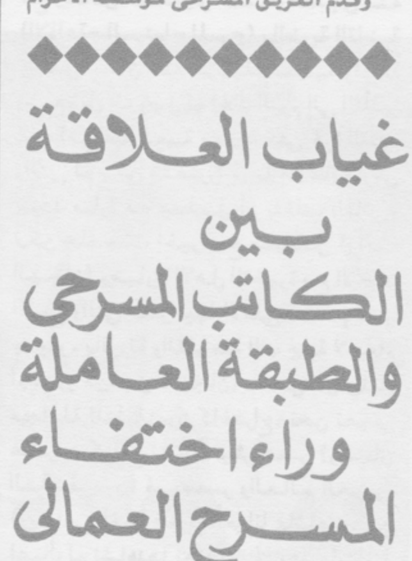
نعمان عاشور

المصانع والشركات بالمشاكل والمخالفات دون أن يلتفت المسرح العمالى لها ليبقى الوضع على ماهو عليه دائماً ايضا لم يسع (اتحاد العمال) فى أى يوم لانشاء فريق مسرحى عمالى على مستوى عال وفق مفهوم علمى صحيح ليكون نموذجاً للفرق المسرحية فى جميع المواقع العمالية ويكفى معرفة ان مسرح اتحاد العمال هو مسرح مجهز باحدث الامكانيات الفنية ويقع فى قلب مدينة القاهرة (بشارع الجلاء) يتركه اتحاد العمال منذ سنوات لفرقة قطاع خاص هى فرقة عبد المنعم مدبولى والتى تقوم بتأجيره من الباطن لاى فرقه مسرحية خاصه أخرى!

ايضا (البيت المسرحى لشباب العمال) والذى كون بمقر الاتحاد العام لرعاية نشىء الشباب العمال بشارع الجمهورية بالقاهرة قاموا بتجهيزه كمسرح فرقه يصلح لتقديم العروض المسرحية الا انه سرعان ما تلاشى فى ظل امتلاء القاعة بانشطة اخرى من اجتماعات ودورات لغات بل وفى بعض الاحيان لاقامة الافراح.. دون ان يستطيع اعضاء البيت المسرحى طرد الانشطه الاخرى.. كل ذلك فى الوقت الذى انحسر فيه ايضا دور المؤسسه الثقافية العمالية فى دورات العلاقات العامة والامن الصناعى متجاهله الدورات التثقيفية والمسرحية. كما ان صحيفة العمال الصادرة اسبوعياً تحت اسم (العمال) أو الصادرة شهرياً باسم (أوراق عمالية) تغفل بدورها الاهتمام بالمسرح تماماً .وسط هذا الخلل القيادى والتثقيفى فى العمل العمالى يوجه سعد محمد احمد رئيس اتحاد عمال مصر سابقا رساله يطالب فيها العاملين من العمال بالسعى الدائب والاستمرار فيما بدأوه خاصه بعد زحف القطاع الخاص التجارى على الحركة المسرحية ليقدم اعمالاً لاتهدف الا الى الربح السريع، وامام اتساع المفهوم التجارى وعجز مسرح الدوله بمشاكله الماليه والفنيه تكون الفرصه سانحه لعمالنا وخاصة الشباب.

رساله رئيس اتحاد عمال مصر السابق تؤكد مره اخرى انفصال القيادة العمالية عن قاعدة العمال.. وانطلاق الحركة الثقافية العمالية دائما موقف من فوقى.. فرساله سعد محمد أحمد تحمل المسرح العمالى مسئوليه حركة مسرحية جاده ودائمه فى الوقت الذى يتراجع فيه الدور التثقيفى للحركة النقابية العمالية ولايشير الواقع المادى إلى أى محاولة للعب اداور ايجابية كما تؤدى الازمه الاقتصادية الطاحنة الى انصراف اغلب العمال إلى تأمين معيشتهم اليومية اكثر من انشغالهم بالدور الثقافى فيما ..ففى (منطقة التبين الصناعية بمنطقة الجيزة) والتى يشكل عمال الحديد والصلب فيها مايقرب من ٢٦ الف عامل اجرى استطلاع رأى فى عام (١٩٨٨) بواسطة أجهزة البحوث فى المصنع ثبت ان غالبية سكان المدينة السكنية من العمال الفنيين اذ بلغت نسبتهم ٩٢ ٪ من مجموع السكان وبرغم ذلك تفتقد المدينة العمالية الى الانشطه الثقافية

وباستعراض اسماء العروض المسرحية التى قدمتها فرق العمال التابعة للشركات والمصانع خلال مواسم (٨١-١٩٨٢) أشارة كافيه لانحراف الرساله الأساسيه للمسرح العمالى عن دوره فى خدمه الطبقة العاملة وتكشف عن جهل بدور ومفهوم المسرح العمالى اساسا فقد قدمت فرقه المقاولين العرب مسرحية (سنه أولى خطف) حول عصابه تقوم باختطاف أبنه أحد الاثرياء لاجباره على دفع الفدية بينما تدور الاحداث فى شاليه رئيس العصابة وقدم الفريق المسرحى لمؤسسة الاهرام مسرحية (العملية الكبرى) حول زراعة مخ الانسان ومدى قدرة العلم على زراعة الذكريات وقدمت فرقة الشركة المصرية العامة للخزف والصينى مسرحية (الحاله جيم)حول زواج بنات الاسر الفقيرة المصرية من الاثرياء العرب.

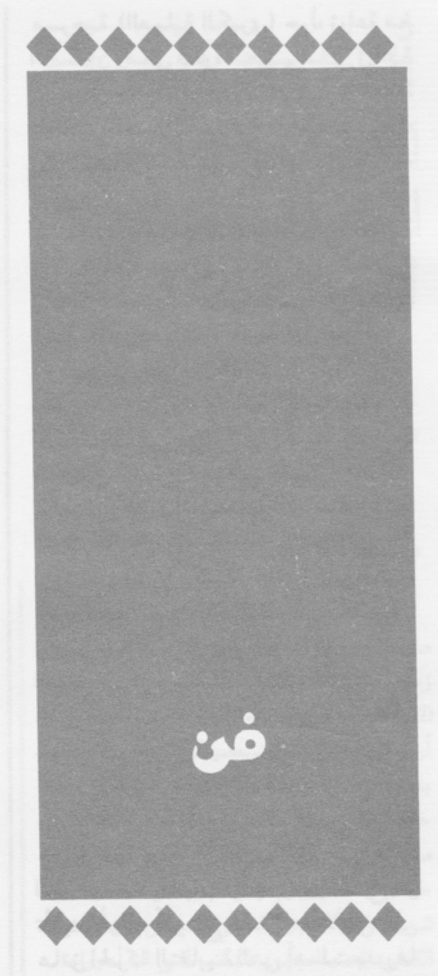


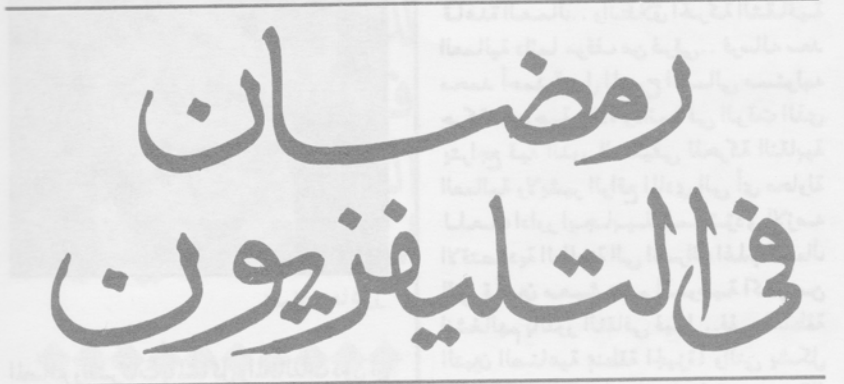
وقدمت فرقه شركة الكروم المصرية بالاسكندرية مسرحية (بابا زعيم سياسى) لسعد الدين وهبه وهى سخرية لاذعه من زعماء الاحزاب والحياة الحزبية قبل الثورة.

وباستعراض أعمال (البرنس ابوالفتوح) وهو واحد من رواد الحركة العمالية منذ الخمسينيات فى مدينة شبرا الخيمة وهو أحد مؤسسى (المسرح العمالى العربى) نجد أنه ساهم فى تقديم العديد من المسرحيات منها (اولاد الفقراء –الدم الملعون– المائده الخضراء) ليوسف وهبى (حكم قراقوش) للريحانى، (لوكانده الانس) لامين صدقى (عسكر وحرامية) لألفريد فرج وبرغم هذا الاستعراض السريع لبعض اسماء المسرحيات التى قدمتها الفرق العمالية إلا أنها تبقى اشاره داله على غياب الوعى الحقيقى والدور الحقيقى للمسرح العمالى من خلال غياب الفهم وعدم وضوح القصد تماماً فى رساله المسرح كقضية عمالية لها دورها الايجابى المؤثر فى الحركة العمالية هذا الغياب للفهم بدور المسرح هو تأكيد لغياب أخر تقع مسئوليته الاولى على عاتق الحركة النقابية التى أهملت بدورها مسئولياتها التثقيفيه متجاهلة دور المسرح كسلاح فعال وإيجابى ومؤثر فى حركة النضال العمالى مسئوليه الحركه النقابية التى تعثرت كثيراً فى مشكلاتها السياسية وعدم قدرتها على تحقيق استقلاليتها وهو ما اصابها فى كثير من الاحيان بالتبعيه للدوله وللسلطه الحاكمة مما انعكس بدوره على المسرح العمالى فى تبعيته هو ايضا لمسرح الدوله وللثقافه البرجوزياة السائده. هذا فى الوقت الذى يعانى فيه العمال من مشاكل الأميه والبؤس الاقتصادى الذى جعله منصرفا تماماً إلى تأمين معيشته ولهذا يقع فريسه سهله فى قبضه الثقافة الاستهلاكية والمسرح التجارى ومفهوم الفن السائد.

وبهذا تتراكم المشاكل لتحجب دور ووجود المسرح العمالى المصرى بل لتفسد هذا الدور وتنحرف به عن قضيته الاساسيه.

عبلة الروينى





بين عودة فنانة لها شعبية

إلى عودة الحماس القومي للهجان

انتهى رمضان الكريم، شهر الصيام والعبادة، كأى مناسبة دينية تهل وتذهب لكن لاتنتهى آثاره ومظاهره (الدينوية)، وهى مظاهر اختلفت ايام الفاطميين مثلا، عن العثمانيين، عن الماضى القريب، عصر ثورة يوليو ١٩٥٢ والذى جاء بالجديد الذى ارتبط برمضان- دنيويا- ومازال حتى اليوم وهو التليفزيون، تلك النافذة التى استخدمت فى اكبر واخطر تغيير جذرى فى التعامل مع الشهر الكريم بتأثير فاق كل حدود التصور وأخطر مظاهره انه استطاع أن يبقى الشعب المصرى، فى البيوت بعد الافطار لساعات تطول ولاتقصر، بعيدا عن تقاليده القديمة فى ايصال ماانقطع بين العائلات وذوى القربى ومد جسور جديدة للمحبة بين الناس بالحوار والمشاركة الوجدانية الثقافية، التليفزيون اجلس الناس دون كلمة حوار عائلى واحدة، فى صمت لتتابع برامجه، وإلى حد توقف وسائل المواصلات احيانا، وإلى أن أصبح التلميذ من سن التعليم الالزامى وحتى الجامعة يرتب مذاكرته ويكيفها ، تبعا للتليفزيون واوقات الفراغ بين البرامج، كما أن (رمضان التليفزيون)، أن جاز هذا التعبير، أستطاع أن يحسم وبشكل شبه نهائى صراعه مع وسائل التعبير الفنية الاسبق منه (الاذاعة- السينما- المسرح) بالضربة القاضية واحتل المكان كله كوسيلة تسلية وفرجة وسمع، بل أنه وصل به الحال اليوم إلى التأثير على أهم لعبة شعبية مصرية وهى كرة القدم، والتى لم يكن متصورا يوماً إذا ماتعارض موعد مباراة مع مسلسل أن يتغلب الثانى، لكن هذا حدث أخيراً مع مسلسل (رأفت الهجان) ومباراة الاهل الاخيرة مع الاتحاد الليبى والتى خسر فيها الاهلى، صاحب اكبر جمهور، بالورقة والقلم مئة الف جنية لاحجام الجمهور من اجل (الهجان)، فنحن اذن وبدون مجاملة للتليفزيون كاختراع، نحن نعيش عصره، وكواقع نحن نعيش عصر (رمضان التليفزيون) فى مصر والعالم العربى (ويتباهى علينا العرب أحيانا بماشاهدوه عن اعمال لم نشاهدها نحن بعد)، وهو ماينقلنا إلى الحقيقة التى لابد من التوقف أمامها، وهو انه إذا كنا قد وصلنا إلى هذا الحد فى تأثير التليفزيون على رمضان فى مصر فإن التليفزيون بالتالى (القائمين عليه بالطبع) لابد وأن يكون أهلاً لتلك الحقيقة الرهيبة التى تجعل لهم اليد الاولى فى تشكيل وجدان اجيال كاملة من الامس القريب للغد القادم، لأن أى منتج يعرض على شاشته لم يعد ممكنا تصوره، بعد اليوم، بمعزل عن قدرته على التأثير بشكل نهائى على المشاهدين، ومن ثم فان التقييم والحكم على ما رأيناه طوال رمضان لابد وأن ينبع من تلك الحقيقة شئنا أم ابينا، فلا يمكن- مثلاً- تمرير اى عمل يتمتع بقدر من السذاجة أو الاستخفاف بعقل المشاهد، دون حساب، لأن عدد المشاهدين ليسوا بضعة آلاف، أو حتى مليون بمفهوم النجاح المدوى لفيلم سينمائى أو عرض مسرحى، انما هو- فى اقل تقدير- اكثر من عشرين مليون مشاهد فى لحظة واحدة (يرتفع العدد كثيرا فى اوقات الذروة فى رمضان) ولنا أن نتصور الرقم ودلالته رغم أن

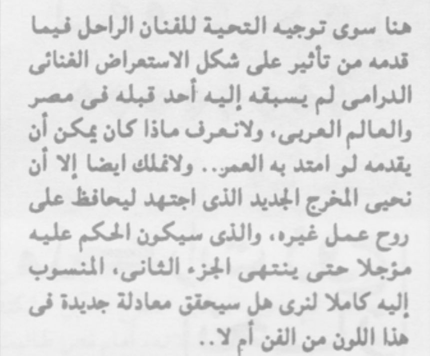


لقطة من فوازير نيللى



تعداد الشعب المصرى الآن يقارب الستين مليون نسمه، وأن التليفزيون امتدت هوائياته لتشمل المصريين العاملين فى الدول العربية من الاردن والعراق وحتى السعودية حيث يرونه هناك بكل وضوح. ومن خلال هذا التصور أذن يمكننا تناول ما قدمه التليفزيون فى رمضان ١٩٩٠، على ارض المشاهدة بعد أن تناولنا فى العدد الماضى آلية التعامل مع المشاهد فى هذه المناسبة لسنوات طويلة. وبحيث أصبحت (حدود التعامل) معروفة سلفاً لم يتابع التليفزيون بدون إصرار على الرصد، وهو منهج ينبع بالطبع من فكر وتصور لمفهوم دور جهاز التليفزيون لدى واضعى السياسة الاعلامية.

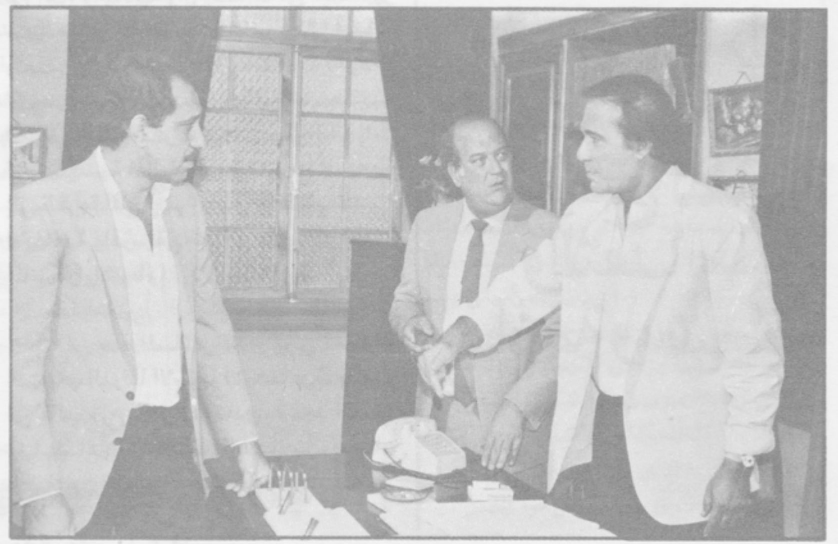
. لعل أهم ماعرضه التليفزيون فى رمضان هذا العام كان (الف ليله وليله) و (الفوازير) و (الهجان) و (مذكرات زوج) و (ليالى الحلمية) وسوف تقدم للاعمال الاربعة الاولى التى بدأ عرضها من اليوم الاول رمضان، فى مسلسل (الف ليله وليلة) التى يقدر للفنان فهمى عبد الحميد أن يكمله لوفاته فى مرحلة دقيقة من تصويره والذى إستكمله المخرج الشاب ممدوح مراد فى شجاعة ووفاء من البدايه تقريبا وحتى النهاية، سنجد أنه برغم هذا الظرف المأساوى لرحيل المبدع الأصلى للعمل فإن بصماته كانت واضحة عليه (الجزء الاول) من خلال ماتعودناه لسنوات من استخدام للحيل الالكترونية) ومزج اغناء بالرقص بالدرما، والفانتازيا بالكارتون، إلى استخدام حوار (الف ليله) الاذاعية المسموع بصوت زوزو نبيل، فى حوار كل حلقة وبأسلوب متسق، وأن كانت الملحوظة الاساسية هذا العام هى أن القضية فى الجزء الاول من الف ليله (حكاية بدر باسم والأميرة جوهرة) لاتسمح بكثير من الابتكار والخيال عكس سنوات سابقة وقع فيها عبد السلام أمين المعد الغنائى مع فهمى عبد الحميد على قصص والليالى تتمتع بقدر وفير من امكانيات اعمال الخيال، فشتان بين القدرة على الأبهار التى وضعها الراحل مع شريهان فى إحدى القصص، حينما قدمها ثلاث مرات فى شكل ثلاثة احداث، وما اقتضاه ذلك من جهد رهيب كى يجعل ممثلة واحدة تجتمع مع نفسها ثلاث، مرات، فى لقطة واحدة تتحدث فيها بأصوات وملابس مختلفه وسمات متناقضة، بما يجعل ذلك أشبه بالمعجزة خاصة مع استخدام الغناء والرقص والدراما وحيث لايحتاج الامر اكثر من ذلك توضيحا للفرق بين العملين اللذين خطط لها معا المخرج الراحل، وبصرف النظر عن من اكمل العمل بعد رحيله، وبحيث أيضا لانملك



هنا سوى توجيه التحية للفنان الراحل فيما قدمه من تأثير على شكل الاستعراض الغنائى الدرامى لم يسبقه إليه أحد قبله فى مصر والعالم العربى، ولانعرف ماذا كان يمكن أن يقدمه لو امتد به العمر.. ولانملك ايضا إلا أن نحيى المخرج الجديد الذى اجتهد ليحافظ على روح عمل غيره، والذى سيكون الحكم عليه مؤجلا حتى ينتهى الجزء الثانى، المنسوب إليه كاملا لنرى هل سيحقق معادلة جديدة فى هذا اللون من الفن أم لا..

من الصعب تقييم (الفوازير) التى استعادت اسمها القديم (فوازير نيللى) والتى يحتم انفصالها ومكانتها تقييم كل حلقة بشكل مستقل، لكن، الملامح العامة لها تؤكد أن عودة نيللى إلى تقديمها أضافت قدرا من الجمال والبهجة معا فهى فنانة استعراض

لقطة من مذكرات زوج



فنانة الاستعراض المجيدة نيللى تعود فى قالب لم يعد له مبرر!

مؤلف مذكرات زوج انحاز إلى البطل دون سبب معقول

مستوى اخراج رأفت الهجان متواضع للغاية والتفاصيل ساذجة ومضحكة

مجيدة لاتجد امكانية أظهار قدرتها إلا من خلال شكل انتاجى سخى لاتقدمه عادة السينما المصرية، ولا التليفزيون إلا استثنائا كهذا العمل، وبالمقارنة مع غيرها ممن قدموا هذا العمل فى السنوات الأخيرة تقف هذه الفنانة مع فنانة اخرى هى شيريهان وحد هما، لأن كلاها فصيلة واحدة يحتاجها هذا الفن فى العالم ويحترمها، لكن يبقى للأسف وبرغم هذا الجهد والحب الذى يسرى بين الفنانة والمشاهد فهى تعود فى نفس القالب (الفوازير) بدون اى مبرر سوى أنها (تقاليد رمضان التليفزيون) ليس إلا، وليس من خلال أسلوب آخر وفكر آخر يوظف الاستعراض فى أعمال اكثر شمولاً وايجابية، وفى أطار هذا يأتى المخرج الجديد جمال عبد الحميد الذى تولى أخراج العمل بعد رحيل فهمى عبد الحميد (وليست هناك قرابة بينهما) ليقدم نفسه كموهبة جديدة، فلم نشعر بأحباط وخيبة امل، وربما الملاحظة الاساسية على اسلوبه هو البعد عن الحيل التى عودنا عليها المرحوم، إلا أن عناصر أخرى قدمت التوازن المطلوب للعمل، خاصة الاحساس بالايقاع، والأعتماد الاساسى على الوحدة الاستعراضية الحية السريعة التى تبرز فيها قيمة مصمم الرقصات واداء الراقصين والديكورات وتحريك الكاميرا والحيوية التى تضع كل ذلك مجتمعا فى فقرة منوعات تؤديها فنانة تعود بمخزون ذاخر من الطاقات المعطلة لسنوات: لكن يبقى أن موضوع الحلقات (ورق.. ورق) الذى كتبه الشاعر عبد السلام أمين الذى كتب ايضا كلمات المقدمة والنهاية الذين وضع الحانهما عمار الشريعى (بينما شارك عدد كبير من الملحنين فى الحان الحلقات نفسها) يبقى أن الموضوعات والحكايات التى تدور حولها الفزورة تفاوتت فى القوة والجاذبية وأن اعتمدت فى عدد كبير منها.- وهو مايحسب للمؤلف- على قضايا وقصص واقعية موجودة فى صفحات الحوادث اليومية، وهو ما أضاف لها بجانب جاذبية العرض البعد بقدر كبير عن سذاجة الدراما الاستعراضية المألوفة حيث تتراجع أهميتها إلى الدرجة الادنى فى سبيل الاهتمام بالفنون الايقاعية والموسيقى (مثال على ذلك حلقتا المانيكان والشحاذ)

مذكرات زوج

فى هذا المسلسل الذى يمكن تصنيفة تحت باب الدراما الاسرية الاجتماعية، والمقدم فى قالب مرح اكثر منه نقدى، سنجد أنفسنا أمام الماهية الحقيقية، لتأثير رمضان التليفزيون الخطير، وحيث كل مايقدم فيه هو فى حقيقته هدف يسجله لاعب فى استاد ممتلىء عن آخره، فى حالة من التشجيع المجنون، اى ليس المهم هو مستوى المباراه أو حتى جمال الهدف، لكنه الهدف الذى أشبع المتعطشين للفوز بأى طريقه، وبهذا المعنى نحن امام مسلسل لو عرض فى توقيت عادى من العام، اربما فقد الكثير، فأين هذا من مسلسلات اخرى، تحت نفس التصنيف، عرضت فى رمضان فى الاعوام السابقة مثل (بابا عبده) أو (صيام صيام) أو (ايام المرح).. نحن أمام موضوع حاول كاتبه احمد بهجت أن يتناول فيه العلاقات الاسرية، وبالذات علاقة الزوج والزوجة بعد سنين طويلة من الزواج فتر فيها الحب، وكبر الاولاد، وذا دت هموم الحالة الاقتصادية. الموظف هنا، الزوج يعيش أزمة غير مفهومة مع الزوجة، ينحاز المؤلف بشكل صارم وعجيب ومخل له، دون أن يقدم مبررا واحداً لهذا لانحياز فلم نر تلك الزوجة فى لحظة فى موقف يهزمه أو يهزم العلاقة من جانبها على الأقل.

وليس امام المشاهد من دافع لتحريك ازمته الشديدة تجاهها فليست أمرأة مسرفة أو لعوب أو مقززة أو طبقية أو متسلقة، إلاشيئا واحداً هو أنها أمرأة تقليدية فى بعض مواقفها، وحيث يحولها الكاتب بقدرة قادر إلى شهادة إدانة لها! تجعل الزوج يفكر فى العودة إلى حبه القديم لابنة خالته بعد عودتها من امريكا، وتجعله مريضا نفسياً (يلمح العمل أنه تزوجها من أجل الاستقرار والبعد عن أكل المطاعم)، على جانب آخر، فإن أهم جوانب هذه الاعمال عادة هو تشريحها للواقع، وهو مالم يتم إلا بشكل هامش مثل علاقات العمل والنمامين الهم إلا اذا كانت سكرتيرة (المدير الدميمة تمثل مأساه. أو علاقة والد الزواجة بفتاة فى عمر ابنته، وبالطبع ليس المطلوب لوى عنق الاشياء من أجل عمل شديد العمق، لكن ليس المطلوب أيضا أن يرين العمل طرفا اساسا فى المجتمع والاسرة وهو المرأة ويرميها بكل النقائص (ومنها الجوئها للدجالة ماتيلده!!) لانحياز كاتبه فى زمن ترتفع فيه الدعوات الرجعية لعودة المرأة للمنزل ولتحجيمها لأسباب غير حضارية وها هو العمل- فى وقت ذروة العام وامشاهدة، يقول للمشاهد أنه ليس مهما أن يكون هناك سبب لتكره زوجتك وتحملها بمويك وأزماتك انت والحكومة معا! غير انه احقاقا للحق، فقد حاول النجم الفنان محمود ياسين جاهدا أن يقدم جديدا فى ادائه الذى تعودنا عنه وأن يخفف من اتجاه المؤلف، بأداته، لاداته الزوجة مسبقاً، كما أن فردوس عبد الحميد ظلمها الدور كثيرا، والذى لايتناسب مع وعيها كفنانة تدرك جيدا ابعاد ماتقدمه، وشتان بين احمد بهجت مؤلف (لألف ليلة) ومذاقة الساخر الجديد فى تناولها وقتها، وبين

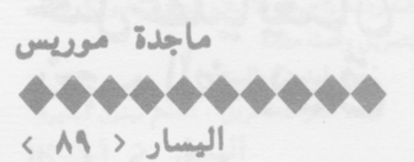
لقطة من رأفت الهجان

هذا العمل الذى ينقصه كل اسباب الاقناع والاقتناع وأن كان له من حسنات فهو ومع مخرجه حسن بشير إلى عدد من الوجوه الجديدة الشاشة فى اوادر هامة مثل خالد محمود وعزة بهاء.

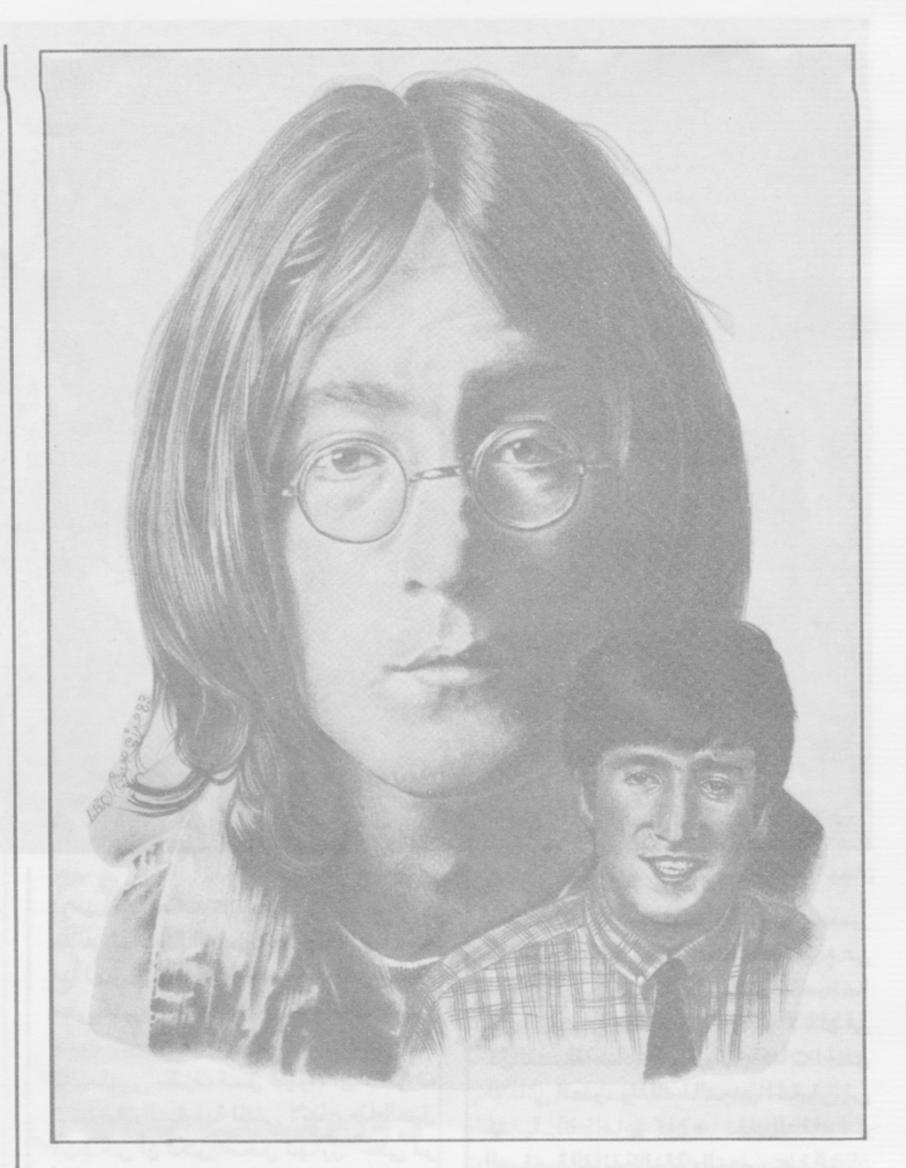
الهجان.. ملاحظات على الهامش

لا أعتقد أن هناك خلافا على مشاهدة (رأفت الهجان) لدى أي مصري، وعربى ايضا حيث تعرض فى العالم العربى مع مصر، لأنه استخدم الوعاء فى افضل طعام.

وهو احتياج هذا الشعب للشعور بقوته وتفوقه، وانه لايقل فى ذكاء عن اعدائه. عندما تتاح له الفرصة. والفرصة هنا هى تحقيق انتصار على مخابرات العدو اى على عقول من افترضوا يوما أنهم فقط الذى يمثلون العقول العبقرية التى لاتهزم، أنه المسلسل الذى يقدم مباراه الذكاء بين واحد من ابناء هذا الشعب وهؤلاء.. ومن هنا سيظل الهجان، مع أى ملاحظات، هو رمضان التليفزيون الحقيقى الذى نحتاجه.. لأجيالنا القادمة. أنه هنا ممثل أولاً فى شخص محمود عبد العزيز الممثل، الذى له مكانة فى القلوب، ووجه يشع ذكاء فطريا وخفة ظل تنبع من ممثل ترا جيدى كأنما خلق لهذا الدور ومن هنا كانت مقومات توحد المشاهد مع شخصية البطل ممهدة من خلاله. ثم يحيى العلمى المخرج المتألق ، لكنه هنا ليس فى أحسن حالاته، أمام نص طالبت معى كثيرون باستكماله منذ عامين، ومهما حدث من اضطراب وفوضى (الظروف) فالعلمى يعرف قبل غيره، أن الظروف الانتاجية والتنفيذية المثلى لانتاج هذا العمل لان يمكن أن تكون محل تهاون. حتى لو أدى» إلى الانتظار عاماً آخر، مادمنا قد انتظرنا عاماً سابقاً، فكيف مثلا يتصور أن نرى قمة المقطم والقاهرة تحتها على انها تل ابيب، ليس معنى هذا مطالبته بالذهاب إلى تل ابيب، وأنما بالبحث الدقيق عن مكان مناسب تماماً (وهذا بأخذ وقتا وجهدا بالطبع) ثم كيف نتصور أن نرى سياسة موديل الخمسينات يركبها عزيز الجبالى بالقاهرة، وخلفها سياسة بجيو موديل الثمانينات أونهاية السبعينات، وورا ،هما سيارة نقل حديثة!، ثم من الذى قال أن الأسرائيلى دائما يرتدى چاكته وباقة قميص خارجة منها فى كل الاحوال! بينما يرتدى (الهجان)بدل سفارى على أحدث موديل، وعشرات التفاصيل الساذجة والمضحكة، بالاضافة إلى مستوى الاخراج نفسه الذى جاء متواضعاً للغاية فى إطار السرعة، وهو مايقلل من قوة العمل مهما بلغت عظمة الموضوع والدراما، ولنا أن نتصور ملسلا يدور فى الحرب العالمية الثانيه عن النازى (وما أكثرها، وما اكثر ماعرضها التليفزيون فى مصر) ونتصور كم الاتقان فى كل تفصيلة حية، حتى أزرار چاكتات الجندى الالمانى العدو، ولذلك فالتحدى الحقيقى فى تنفيذ (الهجان) كان هو تلك التفاصيل الصغيرة الفائقة الدقة والتعبير عن الزمان والمكان والتى تأخذ وقتها، وتكلفتها، فى نظير اجتذاب احترام المشاهد بعد أن اجتذبت حبه الجاهز مسبقاً، خصوصا، أيضا، أن تقديم مثل هذه الاعمال سلاح ذو حدين، وبالذات بالنسبة لنا الذين نقدم لأول مرة مجتمع العدو فى صورة من لحم ودم، عكس الصورة القديمة، فأما أن نقدمها صحيحة، او نظل قانعين بالحديث عنها، لأن الفيصل هو ماذا سيرسب فى ذاكرة حبى فى العاشرة من العمل، وهو ممثل جيل قادم سيؤثر فى كل شىء حوله، فإذا لم نقدم له هذه الاعمال فى اعظم صورة من الصدق والامانة والاتقان، فعدم انتاجها أفضل..



ماجدة موريس



ثورة فى الموسيقى (٢)

سر الحزن فى أغانى البتلز

مختل عقليًا يغتال نجم الفريق

كان الخبر الذى تناقلته وكالات الانباء مقتضبا وحادا :

" فى تمام الساعة ١٠:٥٠ مساء الاثنين ٨ ديسمبر ١٩٨٠ تم اغتيال جون لينون ، عضو فريق البيتلز السابق امام منزلة فى نيو يورك . وقد نقل لينون الى مستشفى روزفلت حيث اعلن

رسميا وفاته متأثرا برصاصات قاتلة فى تمام ١١:١٥ مساء "

هكذا وفى كلمات قليلة اعلن للعالم ولجيل الستينات الذى تعلق بجون لينون وبفكره وموسيقاه

تعلقا شديدا فاق التعلق بأية شخصية فنية اخرى فى أي زمان ومكان .

جون لينون لم يكن مجرد موسيقى عبقرى ، عضو فى أنجح فريق موسيقى فى التاريخ . كان رمزا لكل ماكان يحلم به شباب الستينات . كان تجسيدا حيا لآمال ملايين جائعة لمعرفة الحقيقة عما يحدث فى العالم . حقيقة الحروب والانتصارات الكاذبة والحرية الوهمية والديمقراطية

المنقوصة . حقيقة الاعيب الاستعمار العالمى وسرقات الاحتكارات العالمية وهيمنتها على مصائر الناس . وكان جون لينون يفكر ويتحدث ويتظاهر ويغنى من أجل معرفة الحقيقة .

وكان رافضا للتفسيرات والتبريرات . كان يحلم بتغيير العالم ، ولذا كان أيضا يغنى عن السلام والحب . الحب ليس بصورتة البلهاء التى تبدو عادة فى أغانى الشباب ، وانما حب حقيقى ، بسيط ، يربط الانسان بأخيه الانسان . بالارض ، بالعالم ، بالزهور ، بكل ماهو جميل

وباق .

وكان ضد الحرب وضد العنف بكل اشكالة وصورة .

ولذا كان مؤسفا بل مروعا أن يغتال هذا الانسان الفنان بدون داع وبدون معنى . رصاصات

طائشة من مختل عقليا ، نتاج مجتمع أهوج اعتاد حل مشاكلة بالرصاص .

وبالنسبة لجيل الستينات ، توقف الزمن لحظة اغتيال جون لينون . وجاءت لحظات مراجعة النفس .

اثناء حقبة الستينات كنا نعيش اللحظات سويا . الحلوة . والمرة . كنا نتنفس سويا .

وكان الاغتيال يبدو بعيدا . تركناه للساسه والعسكريين . لم يكن الفن ابدا مجالا للاغتيال .

وكان جون لينون يرمز الى أمل . كان يفكر ويتخيل ولم يتنازل قط عن مثالية الستينات .

ولد جون لينون يوم ٩ اكتوبر ١٩٤٠ فى ميناء ليفربول بإنجاترا اثناء غارات الحرب

العالمية الثانية من اب بحار ترك زوجتة وابنه ولم يظهر ثانيا الا بعد ان اصبح ابنه عضوا فى أكبر فريق موسيقى فى العالم . (أى بعد ان اصبح مشهورا وثريا) وترك ذلك اثرة بالطبع على جون الذى

لم ينس قط انه تربى بدون أب . فقد جون امه ايضا وهو فى الرابعة عشر من عمره حيث راحت ضحية سائق متهور . وهكذا تربى جون لينون فقيرا ، يتيما ، محروما مع خالته وزوجها العامل .

وظل هذا الاحساس الجارف بالوحدة والحرمان والمرارة مسيطر على فن جون لينون سواء الغنائى

أو التشكيلى ، حتى بعد نجاح الفريق ماديا ووصوله الى أعلى قمم النجاح الفنى والانتشار العالمى . وقد عبر لينون عن هذة المشاعر فى عشرات الاغانى والالحان . حتى فى أغانيه التى كانت تبدو وكأنها مرحه ، كانت فى واقع الامر مرحه فى الحانها فقط ، ولكن ظلت الكلمات تعبر عن الخوف والقلق الكامنين بداخله . ولعل افضل مثال على ذلك اغنية HELP!
(عنوان ثانى افلامهما)التى تقول كلماتها

HELP! I NEED SOMEBODY, HELP! NOT JUST ANYBODY,
HELP! YOU KNOW I NEED SOMEONE...HELP!
WHEN I WAS YOUNGER SO MUCH YOUNGER THAN TODAY
I NEVER NEEDED ANYBODY'S HELP IN ANYWAY
BUT NOW THESE DAYS ARE GONE I'M NOT SO SELF ASSURED
NOW I FIND I'VE CHANGED MY MIND I'VE OPENED UP THE DOORS
HELP ME IF YOU CAN I'M FEELING DOWN
AND I DO APPRECIATE YOU BEING ROUND
HELP ME GET MY FEET BACK ON THE GROUND, WON'T YOU PLEASE, PLEASE HELP ME
AND NOW MY LIFE HAS

آلاف من الفنانين يدافعون عن "لينون" بعد اتهامه بالميل للشيوعية!

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

CHANGED IN OH SO MANY WAYS
MY INDEPENDENCE SEEMS TO VANISH IN THE HAZE
BUT EVERY NOW AND THEN I FEEL SO INSECURE
I KNOW THAT I JUST NEED YOU LIKE I'VE NEVER DONE BEFORE

ساعدنى . . احتاج لشخص ما . . ساعدنى . . احتاج لأى شخص . .
ساعدنى . . تعلم اننى محتاج المساعدة
عندما كنت صغيرا . . اصغر مما انا عليه الان
لم اكن محتاجا لمساعدة أحد
ولكن ولت تلك الايام واهتزت ثقتى بنفسى
وغيرت رأي وفتحت جميع الابواب .
ساعدنى لو استطعت . . اشعر بالاكتئاب وأقدر تواجدك معى
ساعدنى لأقف على قدمى مرة اخرى . . ارجوك . . ساعدنى
الان تغيرت جوانب كثيرة فى حياتى
استقلالى يبدو وكأنه يختفى فى الضباب
من حين لآخر اشعر بعدم الامان
واعلم انى احتاجك كما لم احتاجك من قبل

. . . .
. . . .
. . . . .

ولم يتخلص لينون قط من عقدة اختفاء امه " جوليا " من حياته ، فكتب اغانى كثيرة عنها واليها منها "JULIA","MOTHER","MY MUMMY'S DEAD" : وربما يكون هذا الاحساس باليتم
أحد الاسباب وراء اعتزال جون لينون

الموسيقى فور ميلاد ابنه الثانى من زوجته اليابانية "يوكو اونو" .فقد قرر آنذاك تكريس نفسه تماما لرعاية الطفل والسهر عليه ليحصل على الحد الاقصى

من الاهتمام والحنان اللذان افتقدهما فى طفولته .

وكان كذلك الاحساس بالظلم الاجتماعى دافعا لاغانى لينون التى اختلفت شكلا وموضوعا عن

اسلوب باقى اعضاء الفريق ، خاصة بول ماكارتنى الذى اتسمت اغانيه بالسطحية والتملق لطبقة

عليا حاول ماكارتنى ارضائها بكل الوسائل . اما لينون فلم يشعر ابدا بضرورة ارضاء تلك الطبقة بل على النقيض ، كان يشعر انها وراء مشاكل العالم الاقتصادية والسياسية . وكان من الطبيعى ان تلتفت تلك الطبقة ومالديها من قوة وتسلط على اجهزة الاعلام الى اغانى وتصريحات جون لينون المستفزة ، فبحثت عن سقطة ما تهاجمة من خلالها . وحدث عام ١٩٦٦

ان وقع لينون فى الفخ ، ووجد اجهزة الاعلام فى امريكا تنقلب ضده ، وتهاجمه بشدة بل وتستعدى المعجبين بفنه ضده . وفى لحظة ، اقيمت حفلات حرق صور واسطوانات جون لينون

فى ميادين عامة خاصة فى مناطق ممفيس وماساتشوسيتس بالولايات المتحدة . ولم تتراجع الحملة الا تحت ضغط جماهيرى رهيب رفض تصديق الاتهامات الموجهة ضد لينون .

تراجعت الحملة ولم تنتهى . انتظروا حتى اللحظة المناسبه للبدئ من جديد .

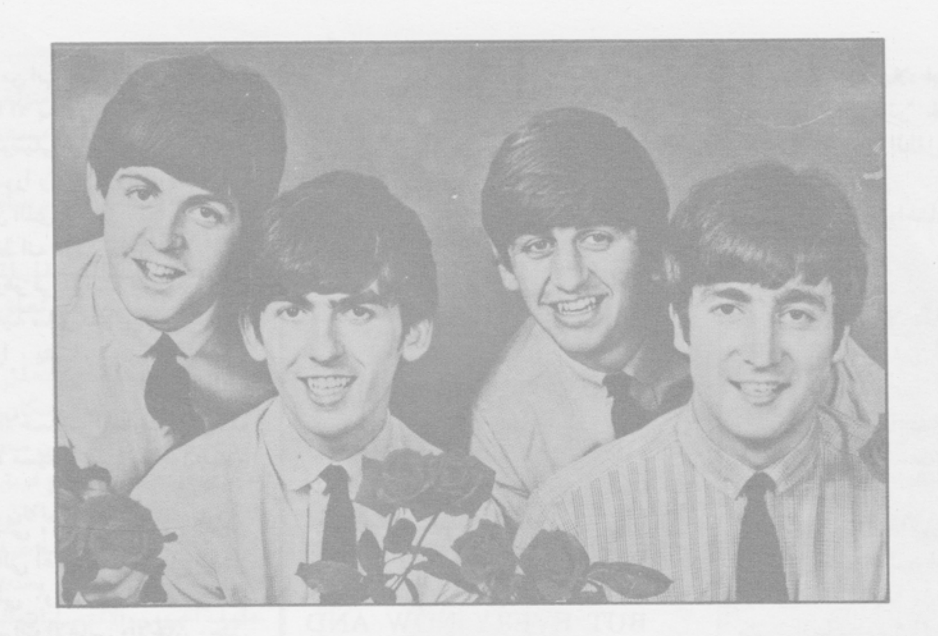
وواتتهم الفرصة مرة ثانية بعد اعتزال البيتلز الغناء عام ١٩٧٠ وزواج لينون من "يوكو اونو"

وهى فنانة تشكيلية يابانية اشتهرت بالتجريب والافلام الطليعية الغريبة التى طالما استفزت نقاد الفن واستعدت عليها اجهزة الكنيسة والامن فى امريكا لخروج بعض معارضها وافلامها عن المتعارف عليه ، وفى بعض الاحيان عن حدود الاداب العامة فى ذلك الوقت .

ووجدت الفنانة اليابانية فرصتها فى هذه العلاقة مع احد اشهر واغنى الشخصيات العالمية لتواصل التجريب واقامة المعارض الغريبة واخراج الافلام العبثية وكل هذا بتمويل وتحت مظلة

"جون لينون" والبيتلز .

وبعد انفراط الفريق ، انضم لينون لمسيرة



السلام العالمية واشترك وبحماس فى اغلبية المظاهرات المناهضة للحرب فى فيتنام وقام بتمويل الانشطة المناهضة للتدخل البريطانى فى بيافرا وطالب بانهاء الحرب فى الشرق الاوسط . ووجد نفسة يدور فى دائرة الفهود السوداء والهنود الحمر المطالبين بالاستقلال عن امريكا الخ .وكان من الطبيعى ان يتضمن الحوار فى تلك اللقاءات هجوما على الماكينة العسكرية الامريكية والبريطانية ومن يقف وراءهم من قوى الاقتصاد الرأسمالية والاحتكارات العالمية .

واصبح التخلص من هذا المشاغب وماله من تأثير خطير على جيل كامل يسمع اغانيه ويصدق تصريحاته ويأخذة قدوه فى اراءه الاجتماعية والسياسية .

وكانت أول ضربة هى القبض على لينون وزوجتة فى لندن بتهمة حيازة عدة جرامات من مخدر الكنابس . وتم القبض وسط حملة اعلامية مكشفة بقصد الاساءة الى لينون وزوجته .

وعلى الرغم من سرعة الافراج عنه الا ان تلك الحادثة استغلت بعد ذلك ولسنوات طويلة ذريعه

لطرده ومنعه من زيارة والاقامة فى الولايات المتحدة الامريكية.

وكان لينون قد قرر الانتقال للمعيشة فى نيويورك حيث الاتصال مع حركة الثورة العالمية مباشر،

وحيث افضل ستوديوهات التسجيل وحيث تتمركز اغلبية شركات الاسطوانات والانتاج السينمائى العالمى .

ومع وصوله الى شواطئ امريكا بدأت المشاكل . مراقبة دائمة من قبل اجهزة ال FBI

وهى المباحث الفيدرالية الامريكية . ثم انتقلت المواجهة الى ال CIA المخابرات المركزية الامريكية . ووصل الامر الى تبنى الرئيس ريتشارد نيكسون شخصيا موضوع ترحيل لينون من امريكا وتلفيق التهم اليه ومحاولة محاصرتة داخل شقتة فى نيويورك وعرقلة اصداره لأغانى جديدة . (يشير لينون الى "ديكى الالعبان" وهو اللقب الذى اطلقة البعض على نيكسون فى اغنية "اعطنى بعض من الحقيقة")

وعلى الرغم من هذا الحصار المحكم قام لينون بتسجيل اغانى جديدة وجدها النظام مستفزة منها اغنية تدافع عن "انجيلا ديفيس" واغنية اخرى بعنوان POWER TO THE PEOPLE "السلطة للشعب" مما الصق بلينون "تهمة" جديدة وهى "الميول الشيوعية" . وعبثا حاول لينون شرح بعدة

عن الشيوعية وان المسألة لاتتعدى مشاعر انسانية يؤمن بها تجاه جميع طبقات الشعب المختلفة،

وإيمانه العميق بعدم جدوى الحروب لحل مشاكل العالم .

ولكن لا جدوى من التبريرات . كان القرار قد اتخذ على اعلى المستويات . ودخل لينون فى مرحلة جديدة مع الحكومة الامريكية والماكينة العسكرية اتسمت حياته خلالها بحضور جلسات فى محاكم نيويورك والاستماع للنيابة تترافع ضدة .

وهب الاف من الفنانين دفاعا عن لينون وعن ضرورة وجوده شخص مثله يساعد فى اثراء عالم

الفن والثقافة فى امريكا . ولكن المشكلة لم تنتهى الا بعد انتهاء الحرب فى فيتنام واقصاء

ريتشارد نيكسون من الحكم والتغيير الذى طرأ على اجهزة المخابرات فى امريكا . وربما يكون هناك ثمن آخر دفعه جون لينون فى حياتة فى ذلك الوقت .

ربما يكون ماحدث للينون سببا آخر عجل باعتزاله الفن والغناء والحياة السياسية فور حصولة على "الكارت الاخضر" وميلاد ابنه "شون" .

وامتد الاعتزال خمس سنوات . وفجأة . انتصر الفنان داخل لينون وقرر العودة للستوديوهات

وقام بالفعل بتسجيل البوم جديد ، كانت أهم اغانيه بعنوان STARTING OVER أي البدئ من ثان .

وقبل اصدار الالبوم ونزوله الى الاسواق ، انطلقت رصاصات قاتله لتودى بحياة جون لينون .

وطبعا . . طبعا . . تم استغلال الحزن الجارف عليه لبيع ملايين جديدة من اسطواناته القديمة والجديدة ، وصدرت الآف الكتب والمجلات عنه وعن "نضاله"من أجل السلام والحب والحرية .

هكذا عاش لينون سنواته الاخيرة . وهكذا اصبح مادة لشراء شركات واناس طفيليين بعد موته

وباسلوب ظل طوال حياته يحاربة .



من اغانى جون لينون :

بطل الطبقة العاملة

WORKING CLASS HERO

تأليف وتلحين: جون لينون

منذ ميلادك تولد يجعلونك تشعر بأنك تافه
AS SOON AS YOU'RE BORN THEY MAKE YOU FEEL SMALL

بعدم اعطائك وقت ،بدلا من كل شئ
BY GIVING YOU NO TIME INSTEAD OF IT ALL

حتى يصير الالم ضخما حتى لاتشعر بشئ
TILL THE PAIN IS SO BIG YOU FEEL
NOTHING AT ALL

بطل للطبقة العاملة هو ما يجب ان تكونه
A WORKING CLASS HERO IS SOMETHING TO BE

بطل للطبقة العاملة هو ما يجب ان تكونه
A WORKING CLASS HERO IS SOMETHING TO BE

يجرحونك فى المنزل ويضربونك فى المدرسة
THEY HURT YOU AT HOME AND THEY HIT YOU AT SCHOOL

يكرهونك ذكيا ويمقتونك غبيا
THEY HATE YOU IF YOU'RE CLEVER AND THEY DESPISE A FOOL

حتى تصبح مختلا ولاتستطيع اتباع نظمهم*
TILL YOU'RE SO * CRAZY YOU CAN'T FOLLOW THEIR RULES

وبعد تعذيبك وإخافتك ٢٠ عاما تقريبا
WHEN THEY'VE TORTURED AND SCARED YOU FOR 20 ODD YEARS

يتوقعون منك ان تختار مستقبلك
THEN THEY EXPECT YOU TO PICK A CAREER

ولكنك لاتقدر على العمل لأنك امتلأت بالخوف
WHEN YOU CAN'T REALLY FUNCTION YOU'RE SO FULL OF FEAR

يتركونك مخدر بالجنس والتليفيزيون
KEEP YOU DOPED WITH SEX AND T.V.

وتظن انك ذكى ولاطبقى وحر
AND YOU THINK YOU'RE SO CLEVER AND CLASSLESS AND FREE

ولكنكم مازلتم فلاحين كما ارى
BUT YOU'RE STILL * PEASANTS AS FAR AS CAN SEE

بطل للطبقة العاملة هو مايجب ان تكون
A WORKING CLASS HERO IS SOMETHING TO BE

مازالوا يقولون لك ان هناك غرفة علويه
THERE'S A ROOM AT THE TOP THEY ARE TELLING YOU STILL

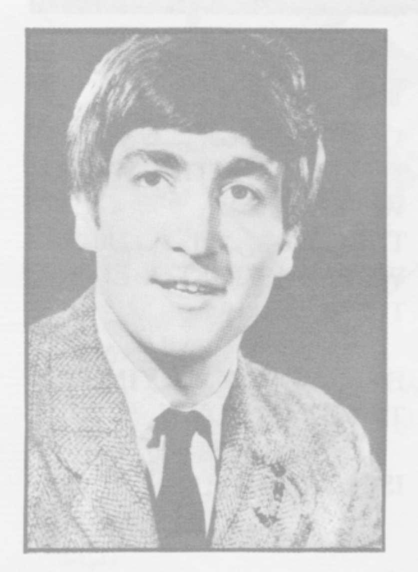
ولكن عليك اولا التعلم كيف تقتل وانت تبتسم
BUT FIRST YOU MUST LEARN HOW TO SMILE AS YOU KILL

لو كنت تريد ان تعيش مثل صفوة القوم
IF YOU WANT TO BE LIKE THE FOLKS ON THE HILL

بطل للطبقة العاملة هو ما يجب ان تكون
A WORKING CLASS HERO IS SOMETHING TO *BE*

لو اردت ان تصير بطلا فإتبعنى
IF YOU WANT TO BE A HERO,JUST FOLLOW ME

لو اردت ان تصير بطلا فإتبعنى
IF YOU WANT TO BE A HERO,JUST FOLLOW ME



ISOLATION العزلة

تأليف وتلحين : جون لينون

يقولون اننا قد وصلنا الى القمة
PEOPLE SAY WE'VE GOT IT MADE

ألا يدركون كم نحن خائفون
DON'T THEY KNOW WE'RE SO AFRAID

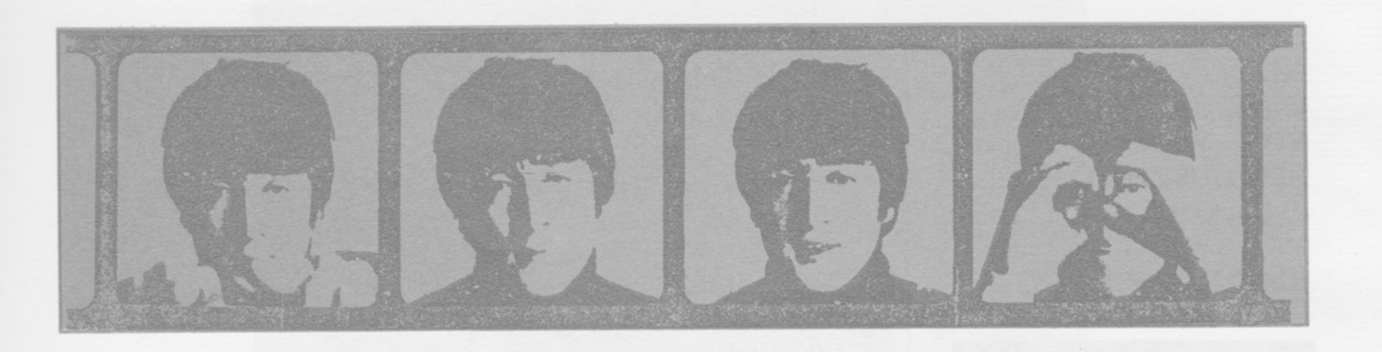
ISOLATION العزلة

نخاف ان نكون بمفردنا
WE'RE AFRAID TO BE ALONE

للجميع الحق فى ان يكون لهم دارا
EVERYBODY GOT TO HAVE A HOME

ISOLATION العزلة

مجرد ولد وبنت صغيرة
JUST A BOY AND A LITTLE GIRL



يحاولان تغيير العالم كلة TRYING
TO CHANGE THE WHOLE WIDE WORLD
العالم ماهو إلا قرية صغيرة THE
WORLD IS JUST A LITTLE TOWN

الجميع يحاولون
سحقنا EVERYBODY TRYING
TO PUT US DOWN

ISOLATION العزلة

لا اتوقع ان تتفهم I DON'T EX-PECT YOU TO UN-DERSTAND

بعد كل الالم الذى سببته AFTER
YOU CAUSED SO MUCH PAIN
ولكن أعود فأقول انت غير مدان BUT
THEN AGAIN YOU'RE NOT TO BLAME
انت مجرد انسان ، ضحية هذا الجنون
YOU'RE JUST A HUMAN, VICTIM OF THE INSANE
نحن خائفون من الجميع ، من الشمس
WE'RE AFRAID OF EVE-RYONE, AFRAID OF THE SUN
ISOLATION العزلة

الشمس لن تغيب ابدا THE SUN WILL
NEVER DISAPPEAR
ولكن ربما ماتبقى للعالم ليس بكثير BUT
THE WORLD MAY NOT HAVE TOO MANY YEARS

ISOLATION العزلة
GIMME SOME TRUTH

I'M SICK AND TIRED OF HEARING THINGS
FROM UPTIGHT-SHORT SIGHTED-NARROW MIND-ED HYPOCRITICS
ALL I WANT IS THE TRUTH
JUST GIMME SOME TRUTH
I'VE HAD ENOUGH OF READING THINGS
BY NEUROTIC-PSYCHOTIC-PIG HEADED POLITICIANS
ALL I WANT IS THE TRUTH
JUST GIMME SOME TRUTH
NO SHORT HAIRED-YELLOW BELLIED SON OF TRICKY DICKY
IS GONNA MOTHER HUBBARD SOFT SOAP ME
WITH JUST A POCKET-FUL OF HOPE
MONEY FOR DOPE
MONEY FOR ROPE
I'M SICK TO DEATH OF SEEING THINGS
FROM TIGHT LIPPED-CONDESCENDING-MOMMIES LITTLE CHAUVINISTS
ALL I WANT IS THE TRUTH
JUST GIMME SOME RUTH
I'VE HAD ENOUGH OF WATCHING SCENES
OF SCHIZOPHRENIC-EGO-CENTRIC-PARANOIC-PRIMA-DONNAS
ALL I WANT IS THE TRUTH
JUST GIMME SOME TRUTH

اعطنى بعض من الحقيقة
تأليف وتلحين: جون لينون

لقد سئمت وتعبت من الاستماع الى المنافقين قصيري النظر ، ضيقيى الافق
كل ما اريدة هو الحقيقة
فقط اعطنى بعض الحقيقة
كفانى قراءة اشياء لساسة مختلين ومرضى نفسيين
كل ما اريدة هو الحقيقة
فقط اعطنى بعض الحقيقة
ولن اسمح لـ"ديكى" الالعبان بشعرة القصير ان يضحك علىّ
بقليل من الامل
بمال للمخدرات
بمال لحبل
لقد سئمت حتى الموت من رؤية اشياء صادرة من شوفونيين متآمرين ، لا يقولون الحقيقة
كل ما اريدة هو الحقيقة
فقط اعطنى بعض الحقيقة
كفانى رؤية مواقف لنجوم مصابين بالانفصام والبارانويا ، لا يفكرون الا فى انفسهم
كل ما اريدة هو الحقيقة
فقط اعطنى بعض الحقيقة

محمد شبل



مؤسسة «عدم إتخاذ القرار»!

كلمة حق اود التصريح بها أمام صرح مجلة اليسار كقارئ متتبع لكل جديد فى عالم الصحافة.. وجدت نفسى مشغوفا بالكتابة اليكم لابعث اليكم بالتقدير لإخراج مجلة جريئة فى مواضيعها.. هادفة وحقيقية تعمل لصالح مصر

.. واتساءل لماذا لانتحرك جديا لحل مشاكلنا المعاصرة وهى ساخنة ولها تفاعلاتها وتداعياتها واصبحت تؤثر تأثيرات سلبية خطيرة على مستقبل شعبنا المصرى. فالخطر هو الا نضع مشاكلنا فى اطارها الصحيح.. ونحن نعيش فى خندق واحد.. والمشاكل اصبحت متشابكة بعضها البعض ومؤثرة ومتأثره.. واصبحنا بحاجة لنوايا صادقة وعمل متصل وتجرد شامل من اجل اعلاء مصالح هذا الشعب..

حتى على المستوى العربى لا نجد العقلانية العربية الجديدة التى تنقلنا الى قرن قادم واصبحنا اسرى العقل الجامد.. والافق الضيق.. والمصالح الضائعة..

.. ننظر الى السلام وهو صعب المنال فى القضية الفلسطينية فاسرائيل قامت على كنف الدول الكبرى وتحت معطفها ومظلتها وحمايتها،، ان اسرائيل تتحرك لبث المتاعب للعرب.. ومع ذلك لاتزال لها سفارة بالقاهرة.. التجمعات العربية مابين خليجى وعربى ومغربى وهناك جامعة عربية تستطيع أن تعيد التوازن بين هذا وتلك وهاهى الجامعة العربية تعود الى مقرها الدائم بالقاهرة.. ورغم الظروف التى مرت بنا عربيا لم نكبر ولم ننضج لكى ندخل العصر الجديد بقوة فعالة ومؤثرة. لاننا لانمتلك القدرة على التحرك وفى الداخل.. قضايا محيرة نذكر منها تزوير الانتخابات حتى طفت على السطح مؤخرا قضية مجلس الشعب والعجز عن قرار الحل او قرارعدم الحل، فضلا عن البطالة.. وسوء حال التعليم.. وارتفاع الاسعار... والاسكان وما شابه من أصدار قرارات لاتحل المشكلة ولدينا ٨ر١ مليون وحده سكنيه مغلقة .. فهى اذن لمن؟؟

الديون وصندوق النقد الدولى؟؟

فماذا اقول.. والرسالة تطول..

يحيى السيد النجار
دمياط

المحرر: الشائع فى الدنيا كلها أن هناك مؤسسات لاتخاذ القرار، بعضها يمثل الحكومة، والاخر يمثل الشعب أما السياسة المصرية، والى حدما العربية، فإن الذى يسيرها هو «مؤسسة عدم اتخاذ القرار» ولذلك تتراكم المشاكل وتتعقد ونحن محلك سر، فضم صوتك الى صوتنا، من أجل حل مؤسسة عدم اتخاذ القرار!

المستضعفون فى «أبو قرقاص»!

نلفت نظركم الى بعض ملاحظات ودروس مستفادة من احداث ابو قرقاص الأخيرة:

١- أن هناك شائعات قوية تتردد أن ضابط المباحث قد عقد اتفاقاً مع المخربين بأن يطلق لهم العنان لمده ساعة يجهزون فيها على كل شئ فاذا صحت هذه الاشاعة فهى أمر يصل الى مرتبه الخيانه العظمى وعلى جهات الأمن التحقق من هذا.

نشرت جريدة الاهالى فى تحقيقها الاربعاء ٩ مارس بأن احد الأطباء استنجد برئيس المباحث لحمايته من الارهابيين فسبه بأمه.

سبق أعتقال ابن عم الضابط المذكور فى

يمين × شمال

عام ١٩٨١ كاحد قيادات تنظيم الجهاد

٢ - أن ضابط شرطة نقطة بن عبيد بأبو قرقاص أبلغ عن محاولة لحرق . كنيسة الكاثوليك فسب المبلغين، وفى اليوم التالى مباشرة تم احراق الكنيسة- أى فى يوم الاحد ٦ مارس - وهذا يبين إلى أى حد أن بعض ضباط الشرطة من فرط الخوف لايستحقون بقاءهم.

٣- أن مدينة ابو قرقاص لاتلقى عناية أمنية كافية بالرغم من قدم عهدها فى تخريج كوادر الأرهاب وعلى سبيل المثال: صفوت حسن الزينى قاتل الشيخ الدهبى وزير الاوقاف الأسبق- خالد الاسلامبولى قاتل الرئيس السادات من ملوى ونصف عائلته تتوزع بين ملوى وابو قرقاص والبلدتان متجاورتان- الكوادر الأولى فى تنظيم التكفير والهجرة تم ضبطها فى صحراء ابو قرقاص- كثير من قيادات الارهاب فى جامعات المنيا وأسيوط.

٤- هذا يجرنا الى مناقشة مايجرى فى «مدرسة ابو قرقاص الثانوية» وبعض المدارس الثانوية الفنية فالمدرسون يحولون الحصص الى ندوات لاثارة الفرقة بين الطلاب المسلمين والمسيحيين والى تعبئة المشاعر ضد المجتمع واتهامه بالكفر، والى مناسبة لتربية كوادر ناشئة للعنف والارهاب، وللاسف هم ينجحون فى ذلك ووزارة التعليم والمسئولون بها صامتون

٥- أن زعيم الارهابين والذى قاد مخططات التدمير والاحراق اسمه(.........) وهو شقى سابق وسيئ السمعه وأنه وكثير من الاشقياء سيئ السمعه أطلقوا لحاهم وذابو وسط التيارات الاسلاميه فى محاولة لتغطية ماضيهم الاجرامى من جهة ولتسهيل أعمالهم من جهة أخرى وهذه ظاهرة خطيرة إذ سوف نواجه بعصابات وجيوش مسلحه منظمه تتشح بعباءة الدين تسرق وتقتل واذا وصل البوليس يجدهم ساجدين يصلون!

٦- أن الصحفيين وهم خط الدفاع الاول ضد الارهاب وهم ضمير الأمه ومفكروها وصانعو وجدانها وحراس أمنها المعنوى مطالبون بعمل أكتتاب عام أو الدعوة الى أكتتاب عام لتعميد ما خربه المخربون وليكن المبلغ المادى الذى يبدأون به لتبرع مائه جنيه فقط ولكن المردود المعنوى والنفسى سوف يكون عظيماً أن أكتتاباً مثل هذا هو صرخة يطلقها المجتمع يقول فيها للارهاب : لافائدة! والحرب طويلة ولكن من يضحك أخيراً يضحك كثيراً.

٧- أن قوى اليسار وهى الأمينة على مصالح الوطن مطالبة بأن تكون هى طليعة الصحفيين فى مواجهة الارهاب فى ابو قرقاص وغيرها لأن الارهاب فى القاهرة له من يواجهه أما بعيداً عن القاهرة فليس للمستضعفين فى الأرض إلا الله... واليسار : ودمتم.

مواطن

عائد من قلب الجحيم فى أبو قرقاص

المحرر: حذفنا الأسماء من رسالتك. ونقدر الظروف التى دفعتك لاخفاء إسمك. والملاحظات والمعلومات الواردة فى الرسالة نضعها تحت أنظار من يعنيهم الأمر للتثبت منها.. ونحن نقف بحسم وضراوة ضد كل محاولة لتفتيت وحدة الوطن والشعب، ونقاوم إرهاب الأفراد والجماعات، كما نقاوم إرهاب الحكم، وندعو الى وحدة وطنية تقوم على تنوع الآراء ، وعلى الحوار كوسيلة لحل الخلاف فى وجهات النظر.

أهنئكم من كل قلبى على صدور هذه المطبوعة الرائعة وهذه المقالات الفذة وهذه الجرأة غير المسبوقه، ونعاهدكم أن أبناء الشعب المخلصين يضعون أيديهم فى أيديكم من أجل الكشف عن الفساد فى كل مكان. ومن أجل تحقيق المبادئ العليا للإشتراكية ومن أجل أن تعود مصر أم الدنيا

ابراهيم مرسى
كلية الآداب - جامعة طنطا

أهلا مصرى أفندى

والله سلامات. الف حمد لله ع السلامه. أنت كنت فين ياراجل؟ ياترى كنت مع «بن بيلا.. ولا فى زنزانه جنب مانديلا؟.. أصلى بقى لى زمان مش سامع صوتك. ياترى خايف من بتوع الطوارئ؟ ولا من ترزية قوانينهم؟ عهدى بيك أنك أقوى من أبو الهول وأكبر من الهرم.. واذا كانت بريطانيا بجلالة قدرها ماعرفتش تسكتك... حاتقولى ولاد البلد .. اقول لك آه همه الحرافيش حتى جريو وراء «شاوشيسكو» وحدفوه بالطوب لغاية مامات؟ ياعمى أنا دردشة معاك كفايه أنت لسه جاى من السفر وتعبان على كل حال أهلا بيك.. وبأسرة تحرير اليسار

محمد عبد المعطى أحم
د (المصرى أفندى)
السويس- الجناين

قلوبنا معكم

الف مبروك ومبروك على اصدار مجلة اليسار فهى فعلا اسم على مسمى وكانت أملنا من زمن بعيد قلوبنا معك فى مسيرتك الصعبه وأنتم لها. ومعكم باقى الرجال صلاح عيسى وعبد العظيم انيس والعالم ورفعت السعيد وفؤاد مرسى وابراهيم بدراوى وكل كتابكم ومحرريكم الذين نود أن نرى بينهم الدكتور «اسماعيل صبرى عبد الله»

على العقاد
الاسكندرية

المحرر : شكرا لك. الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله سيكتب لليسار قريبا جداً

تلغراف

د. رفعت السعيد

تهانينا القلبية على الانجاز الرائع لمجلة اليسار ولكل من شارك فيها بمجهود، وتهنئه خاصة للأستاذ حسين عبد الرازق

صابر السيسى
مراسل الأهالى بالشرقية

يمين × شمال

صفحة للشباب

لاتغيروا أى شىء فى «اليسار». لا الأسم ولا السعر، فهى مجلة متميزة، تقوم بدور هام فى التثقيف والتوعيه..

زيدوا عدد الصفحات، اكتبوا الحقائق وانشروا الوثائق، وأرخوا للابطال الذين كافحوا من أجل مصر..

وخصصوا- لوصفحة واحده- لآراء الشباب.. وشكرا لكل من خط سطراً فى مجلتكم. قواكم الله.

سيد سلطان ابراهيم

شرك النيل لأتوبيس الوجه القبلى

الضعفاء والمستضعفون

نهنى انفسنا بأصدار مجلتكم الغراء.. ونثنى على جهدكم العظيم الذى لولاة ماكان الحلم واقعا، ولكنى أعترض على شعاركم:راية المستضعفين فى الأرض إذ لم يكن اليسار المصرى فى يوم من الأيام مستضعفا ولأمستكينا.. بل كان على مر التاريخ فاعلاً وقائداً ومؤثراً.. كان قائداً للنضال الوطنى ضد الأحتلال الأنجليزية فى الأربعينيات «اللجنة العليا للعمال والطلبه» كان فاعلاً فى ثورة يوليو ١٩٥٢ برجاله الأشداء فى تنظيم الضباط الأحرار من خالد محيى الدين ويوسف صديق «وآخرين». وهم الذين قالوا لا للعدوان على الحقوق والحريات الديمقراطية للشعب المصرى «ازمة مارس ١٩٥٤».. وتحملوا تبعات موقفهم بالنفى وتحديد الأقامه. وعندما تعرض الوطن للخطر «العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦» قام اليسار المصرى بتشكيل كتائب الفدائيين فى مدن القنال» ودفع ثمن ذلك بالأعتقال والتعذيب «حمله يناير ١٩٥٩» فكان قويا فى مواجهه المحنه.

ولم تتعرض اى قوة سياسية للتنكيل والتعذيب مثلما تعرض الشيوعيين المصريون- فيماعدا الأخوان المسلمين ومع ذلك ظل صامداً، بل وقدم نموذجاً فريداً فى أنكار الذات..فحينما انهالت الطعنات على المكاسب التى تحققت للشعب المصرى فى فترة الستينات.. تناسوا ماتعرضوا له من تعذيب وتنكيل وهبوا للدفاع عن عبد الناصر..

كان اليسار المصرى المبادر للتصدى لسياسات السادات الخيانيه ونظم المقاومه الشعبيه مظاهرات ٧٢، ٧٣، ٧٥ وتوجت بهبه الشعب المصرى العظيم ١٨، ١٩ يناير وكان طبيعيا ان تنهال علينا الضربات المتلاحقة فلماذا تقولون بعد هذا أنكم مستضعفون

سيد أبو زيد- المحامى

المحرر: الاستضعاف شىء آخر غير الضعف، وقد تكون قويا ومع ذلك يستضعفك الآخرون..ووصف المستضعفين فى الأرض»، لاينصرف إلى «اليسار»، ولكن إلى الجماهير المظلومة، والمضطهدة، والفقيرة، والجائعه، التى يستضعفها الظالمون والمتجبرون وسارقو الأقوات، وتعتبر «اليسار» نفسها راية لهم ولسان حال يدافع عنهم.. ولذلك فليس هناك خلاف بيننا وبينك..!

الملك.. والمملوك

بعد فترة انتظار جعلتنى معروفا لكل موزعى الصحف فى مركزنا حصلت على العدد الأول من اليسار ولا تستطيعون معرفة مقدار فرحتى وفرحة الأسرة بها وأطلب

١- زيادة الصفحات الدينية لأنها غذاء الروح

٢- الأهتمام بالطباعة لأن طريقة كتابة الحروف والكلمات تجعلها أقرب للنشرات السياسية منها إلى مجلة عامه

٣- تبسيط اللغة والحوار حتى تناسب كل الأعمار والمستويات

٤- زيادة موضوعات «المصرى أفندى»

كما أقدم شكرى إلى الأساتذة حسين عبد الرازق وحسين عبد ربه وصلاح عيسى وأمينة النقاش على مقالاتهم الدسمة فى العدد الثانى، لكن لى ردا على الأستاذ أحمد الخميسى بخصوص مقالة «ليتوانيا الصغيرة إلى أين» ماقدمة الاتحاد السوفيتى فى الحرب العالمية الثانية لايعطيها الحق فى استعمار ليتوانيا حتى لو فقدت ٤٠٠ مليون جندى وليس ٤٠٠ ألف وأنا اعتمد فيما أقول على مقولة «جان جاك روسو» «إننى أكره أن أعيش ملكا فى مجتمع مسلوب الارادة حتى لو عشت مملوكا فى مجتمع حر، فالمهم هو الحرية».

عبد الناصر سعد أبو العينين

الدلنجات- محافظة البحيرة

المحرر: الاهتمام بالتراث أحد هموم اليسار الرئيسية.. ولعلك تتابع مايكتبه د. حامد نصر أبو زيد على صفحات المجلة ملاحظاتك الأخرى، تنفذ تباعا.

أحضان أمريكا

إلى متى سنظل فى أحضان أمريكا؟ الم يحن الوقت لكى نفيق من هذا الحلم؟ ألا تكفى كل البراهين على أن أمريكا ضدنا، ألا يكفى ١٩٤٨، ١٩٥٦. ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ حرب الإيدز والهيروين ألا يكفى تأييدها لإسرائيل فيما تفعله فينا. ألا يكفى تأييدها لإعلان القدس عاصمة لإسرائيل.

ألا يكفى تهديداتها أخيراً للعراق الشقيق؟

إننا بفرقتنا وتشتتنا قوينا حثالة العالم على حسابنا.

واليوم عدنا أمة واحدة، قوه واحدة، وقد آن الأوان لكى نقولها بكل قوه لاومليون لا لأمريكا.

فهل نذكر قول الشاعر العربى: أخى جاوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق الفدا..

سمير عبد الحميد سليمان

بشلا ميت غمر- دقهلية

المحرر: يبدو أن هذا لايكفى.. مع ملاحظه أن هذه السياسات جميعها تخدم مصالح الاحتكارات الأمريكيه التى تستهدف السيطرة على العالم.. وهناك فارق كبير بين سلطة هذه الأحتكارات، وبين الشعب الأمريكى، الذى ليس بيننا وبينه خصومه، والذى تضره- هو الآخر- سياسات حكومته..



بكائية

لا أذكر متى التقيت به، ولا أين عرفته، وفى زحام الحزن، وضباب الدمع، اختفت من الذاكرة، المناسبة التى جعلتنى أناديه كلما لقيته ب «خالى عبد الله»!

ولعله هو الذى عاتبنى يوما- بعد تعرفى إليه بأسابيع قليلة- على خيانتى وقسوة قلبى، لأننى لاأسأل عن «خالى عبد الله» فاجتذبتنى الصفه لسبب لا أدريه، ومن يومها(هذا الذى يبدو الآن بعيداً جداً وسعيداً جداً) وأنا لا أتحدث عنه حاضراً أو غائباً، إلا باسمه الحركى: «خالى عبد الله»..

ولابد أن هو الذى التقى بى، وهو الذى عرفنى، وهو الذى تسلل الى قلبى فسكنته، فقد كان من ذلك النوع النادر من الرجال، القادر على اقتحام الآخرين، والتآلف معهم، واجتذابهم إليه، وكان زارع صداقات، وشاتل عواطف، ومستنبت مودات.. وواصل أرحام..

وفيما بعد، أدركت أن سره المطوى، يكمن فى حبه- الذى لاحدود له- للحياه، وشغفه- الذى لاأنتهاء له- بها، لذلك أحب الأرض، وأحب الناس وعاش يؤلف بين المتخاصمين فى حب الوطن، ويجمع قلوب المتنافرين فى الاخلاص للشعب، فلم يفقد تفاؤله فى سنوات خيبة الأمل، ولم تتراجع صلابته فى سنوات المراره، وعاش صدراً براحاً، وقلبا وسيعاً، وثغراً باسماً. وكان -ككل الذين انبتتهم أرض الوطن والهمتهم حبه- تنويعا شجيا على لحن الصابرين فى الباساء والضراء وحين البأس..

كان كذلك فى ظلام الزنازين، وكان كذلك وهو يتلقى - على قلبه- سياط الجلادين، وكان كذلك وهو يترافع أمام القضاه والمستشارين، وكان كذلك وهو يضرب فى مناكبها طولاً وعرضاً، يبحث عن جريح يأسو جراحه، أو مظلوم يرد عنه الظلم، أو صاحب قضية عادله، ينتصف له من قوى الظلام والبغى..

ويوم زحف السرطان على الحياة فى أرض الوطن، لم يضع وقتا فى البكاء على محترق الأمال، ولم يتوقف ليتوجع على محبط الأحلام، لكنه واصل السير فى الطريق باصرار لايلين على أن الحياة أقوى من الموت، وثقة بلاحدود فى أن النماء الثابت، لابد وأن ينتصر على الفناء الزاحف..

وحتى حين زحف السرطان الى دمائه، المعطرة برائحة الوطن لم يطق أن يظل قعيداً فى سرير مستشفى، يستنشق روائح الموت المضمخة بالديتول، هو الذى عاش يستنبت زهور الحياة فى الأرض الخراب، فهرب من سرير الموت القادم الى ساحات المحاكم يدافع- بسعادة بالغة- عن الورود الطالعة فى البرية، تواصل النضال من أجل غدٍ أقل قهراً واكثر عدلاً.

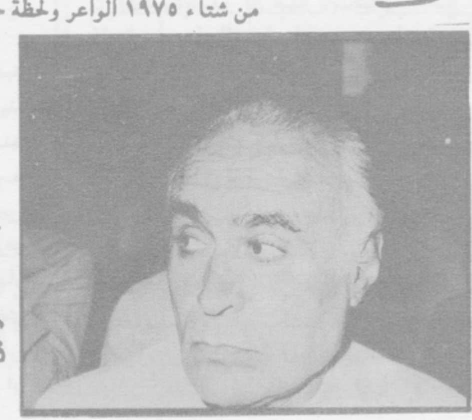
فى تلك الأيام، هربت منه لكى لا أتعس قلبى المتخم بالهموم، بذكريات اللقاءات الأخيرة برجل كنت أعرف أن أوان فراقى له سيحل وشيكا. وحين كنا نلتقى صدفة وتتلاقى عيوننا خلسة كنت أهرب من نظرته- التى لم يطفئ هزال المرض بسمتها، ولم يذهب بتفاؤلها- وهى تعاتبنى، لاننى لا أسأل عن «خالى عبد الله»!

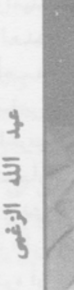
ولحظة جاءنى خبر موته، تداخلت صور الماضى والحاضر: خرجت أمى من قبرها لتقول لى، ماكانت تقوله دائما« أوعى تنسى خالك.. الخال والد»، تذكرت جيل الأربعينات الجسور، الذى رفع راية التمرد فى وجه القهر القومى والقهر الاجتماعى، وواصل السير على طريق النشوات العليا من أجل الحرية للوطن والخبز للناس، فلم تلن له قناه، أو تفتر له همة رغم طول الرحلة، وكلال الراحلة، وحتى عندما ولد جيلنا- من صلبه- وواصل السير على ذات الطريق، مستعذبا الألم فى سبيل الفرح الآتى، لم يتقاعد جيل الآباء أو تقعد به شيخوخه او يقيده مرض عن مواصلة الطريق.. هؤلاء الآباء العظام الذين منحوا الوطن حباً يفوق الوصف، وذابوا فى الآخرين، ولم يعرفوا لانفسهم مكانة أو مكاناً إلا بين أهله وناسه فكانوا فرحنا وكانوا سندنا وكانوا صلابتنا وكبريا منا.

وانشقت غلاله الدمع عن ذاكرتى التى طمسها الحزن، فرأيت نفسى أقرأ اسمه على جدران زنزانة حللت بها ذات يوم من شتاء ١٩٧٥ الواعر ولحظة حل الظلام بدت لى الزنزانة قبراً موحشاً، فارتجفت خوفا، لحظتها أضاءت طاقة نور بوجهه الضحوك، وهو ينشدنى:

خليك هنا.. وحاسب..
.. جبال المغطيس
خليك شديد..
مهما يكون الليل غطيس
مهما تكون الضلمه عُون
وليها ميات م القرون
وكل قرن فى عين ولد
خليك شديد..

صلاح عيسى



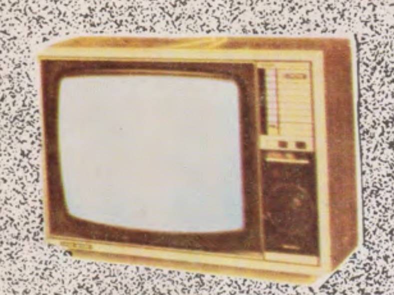


النصــر للتليفزيون والإلكترونيات

ت.ڤ.نصر TV NASR

رائـدة الصناعات الإلكترونيات

يسعدها أن تقدم



تليفزيون نصر شـارب

٢٠ بوصة متعدد الأنظمة

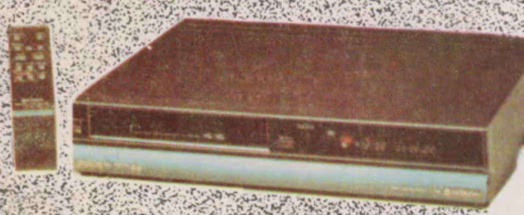
كما تفخر بأن تقدم أحدث ما أنتجته التكنولوجيا العالمية





مقاسات ١٤، ١٦، ٢٠ بوصة

بالريموت وبدون ريموت

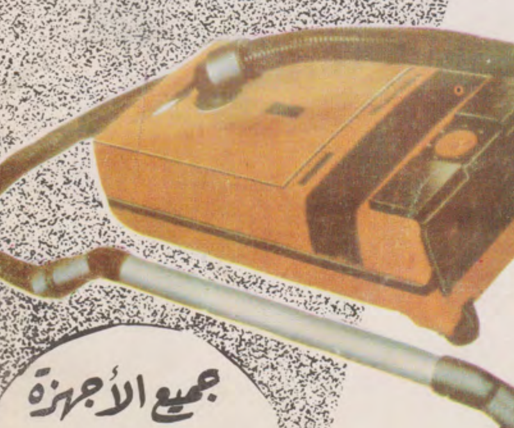


★ ڤيديو شارب

★ ڤيديو هيتاشي

★ ڤيديو كاسيو

المكنسة الكهربائية



نصر سوبر باور ١١٠٠ وات ٢٢٠ ڤولت

- قوة شفط عالية لجميع الأرضيات .
- مؤشر يوضح كمية التراب داخل الكيس الخاص بها .
- توافر قطع الغيار والأكياس .

نسليم الأجهزة للمنازل بالطلب

جميع الأجهزة متوفرة بالقطاع العام والخاص

الإدارة التجارية والمصانع :
دار السلام - طريق المعادي الزراعي / ت ٨٤٣٤٦٦
علاقات عامة